المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من كانت سورة النجم شهادةً له بالعصمة والصدق،
إلى صاحب الخُلق العظيم، الذي ما ضلّ وما غوى، وما ينطق عن الهوى،
إلى نجم الهداية الذي أضاء به الله ظلمات الجاهلية، فانكشف الشرك، واندحض الباطل، واستقامت القلوب على التوحيد...
إلى سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد ﷺ،
الذي رأى آيات ربه الكبرى، فما كذب الفؤاد ما رأى،
الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده...
إليه أهدي هذا السعي المتواضع،
علّ الله أن يجعلني ممن يقتفون أثره، ويتمسكون بسنته، ويعيشون على منهاجه، ويلقونه يوم القيامة وقد رضي عنهم وأرضاهم.

إلى الأستاذ الفاضل المُربّي المُحقق / منير عبده عثمان الصلوي،
الذي كان نجمًا مرشدًا في طريق إخراج هذا العمل،
وبصيرةً نيّرةً صحّحت المسار، وقوّمَت الرؤى، وأتقنت الصياغة،
فجزاه الله عن هذا الكتاب وعن مؤلفه خير الجزاء،
وجعله في موازين حسناته، ونوراً له يوم تشخص الأبصار.

إلى مَن كانا نجْميّ هدايةٍ في حياتي،
إلى روح والديّ الغاليين،
وإلى جسد والدتي الحنون الذي ما فتئ يدعو لي في ظلمات الليل،
إليهما أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع،
سائلا ً المولى أن يجعله صدقة جارية عنهما، وأن يغفر لهما ويرحمهما، وأن يسكنهما الفردوس الأعلى
،
ويُلحقهما بالصالحين من عباده.

إلى كل قلبٍ أتعبته حيرةُ الضياع،
وكل عقلٍ تاه في متاهات الشبهات والأوهام،
وكل نفسٍ تبحث عن بوصلةٍ تخرجها من ظلمات الهوى إلى نور اليقين،
وكل مؤمنٍ يريد أن يكون نجمًا ساطعًا في سماء حياته، يهدي الحائرين، ويضيء دروب الضالين...

إليك ـ أيها القارئ الكريم ـ أهدي هذا الكتاب،
رجاءً أن تكون رحلتك مع آيات النجم رحلةَ يقينٍ لا شك فيه،
وتوحيدٍ لا شرك معه،
وعزةٍ لا ذل بعدها،
وعبوديةٍ خالصةٍ لله وحده،
تجعلك من الذين إذا سمعوا آيات الله خشعوا، وإذا تليت عليهم سجدوا، وإذا ذكروا الله وجلت قلوبهم.

أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم،
نافعاً لعباده،
مباركاً في كل حرف منه،
وأن يكتب لي ولكم به الأجر والثواب،
وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه،

أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد وآله وصحبه أجمعين.

أحمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة النجم"

أولا ً: التعريف بالكتاب

عنوان الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة النجم

موضوع الكتاب:
دراسة تحليلية متعمقة لسورة النجم، تستهدف استخراج المفاهيم القرآنية والأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية والحضارية منها، مع تطبيقها على واقع الحياة المعاصرة .يسعى الكتاب إلى تقديم رؤية متكاملة للسورة، تربط بين آياتها، وتكشف عن مقاصدها الكبرى، وتستنبط الدروس العملية التي تغير نظر الإنسان للحياة، وتحرر عقله من أوهام الجاهلية، وتضبط قوى نفسه، وتصنع شخصيته على منهج التوحيد واليقين

طبيعة الكتاب:
كتاب تفسيري تحليلي تربوي، يجمع بين التأصيل العلمي والتطبيق العملي .يتميز بطابعه الوجداني العميق، وأسلوبه الخطابي المباشر، وقدرته على مخاطبة القلب والعقل معاً .يخرج عن النمط التقليدي في كتب التفسير، ليقترب من منهجية "التدبر العملي" و"بناء المفاهيم" و"صناعة الشخصية المسلمة".

تأليف: أحمد عبد الرزاق مربوش العامري
مراجعة وتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوي

ثانيا: منهجية الكتاب

يعتمد الكتاب على منهجية متكاملة تجمع بين عدة مسارات، تعكس عمق الرؤية وشمولية المعالجة:

1.المنهج الموضوعي: دراسة السورة كوحدة متكاملة، مع التركيز على:
- ربط السورة بما قبلها) سورة الطور (من خلال التناسب اللفظي والمعنوي بين خاتمة الطور وافتتاحية النجم.
- استعراض الموضوع الرئيسي للسورة) إثبات مصدرية الوحي وعصمة النبي ﷺ، وتقرير التوحيد والجزاء (ومحاورها.
- تحليل البنية التحليلية العميقة للسورة، والتي تنتقل من القسم بالنجم إلى البرهنة على صدق الوحي، ثم إلى هدم أصنام الشرك، ثم إلى ضبط الأماني والشهوات، ثم إلى تقرير الإيمان بالآخرة ونبذ الظن، ثم إلى بيان عدل الله ورحمته، وصولا ً إلى الأمر بالسجود والعبادة الخالصة.

2.المنهج التحليلي البياني والمفاهيمي:
- تحليل كل آية لغويا وبيانيا، مع استعراض دلالات الألفاظ والتراكيب
- استخراج المفاهيم والدلالات العقدية والنفسية والفكرية.
- ربط الآيات ببعضها البعض في نسيج محكم، يخدم المقصد العام للسورة

3.المنهج التطبيقي: تحويل الآيات إلى:
- دروس حياتية عملية
- مهارات سلوكية ومعرفية قابلة للتطبيق.
- برامج يومية وأسابيعية للتطبيق في الواقع المعاش.

4.المنهج التربوي النفسي:
- استخراج الرسائل النفسية والتربوية العميقة.
- تقديم توجيهات للسلوك والبناء الشخصي والنفسي.
- معالجة القضايا الوجدانية كالخوف المرضي، والقلق الوجودي، والتمني الفارغ، والغرور، وتزكية النفس.

5.المنهج الاستنباطي:
- استخراج المفاهيم والأبعاد والآفاق والقيم من النصوص.
- بناء تصور متكامل لصناعة الشخصية المسلمة المتزنة.

- تنقية الوعي من رواسب الفكر الجاهلي والخرافي.

ثالثا: أسلوب الكاتب

1. الأسلوب الخطابي المباشر:
- يخاطب القارئ بضمير المخاطب: "يا من ذاق حلاوة اليقين"، "يا صديقي"، "تعال معي".
- يخلق حالة من التفاعل والحوار الداخلي مع النص، وكأنه يجلس مع القارئ في رحلة تدبر.
2. الأسلوب الوجداني المؤثر:
- يمتزج فيه الفكر بالشعور، والعقل بالوجدان.
- يستخدم اللغة العاطفية المكثفة التي تثير المشاعر الإيمانية.
- ينتقل بين الرهبة والرجاء، بين الخوف والطمأنينة، بين البكاء والضحك، ليعيش القارئ مشاعر القرآن.
3. الأسلوب التطبيقي العملي:
- لا يكتفي بالتحليل النظري، بل يقدم خطوات عملية وسلوكيات يومية.
- يضع برامج تدريبية) بروتوكولات (لتطبيق الآيات في البيت والعمل والمجتمع.
- يربط النص القرآني بالواقع المعاش وتحديات العصر.
4. الأسلوب التكاملي:
- يدمج بين العلوم الشرعية والتربوية والنفسية والاجتماعية والحضارية.
- يقدم رؤية شاملة لا تجزئ النص القرآني، بل تنظر إليه كمنظومة متكاملة للحياة.
5. الأسلوب التأملي التصوري:
- يدعو القارئ للتأمل والتدبر، ويستخدم الخيال لاستحضار المشاهد القرآنية.
- يثير التساؤلات ويحفز على التفكير، ويجعل القارئ شريكا في عملية الاستنباط.

رابعا: ما يمتاز به الكتاب

1. الشمولية والعمق:
- يغطي السورة كاملة آية آية، مع تحليل لكل مقطع.
- يجمع بين التحليل اللغوي والمفاهيمي والتربوي والنفسي والحضاري.
- يقدم رؤية متكاملة لمقاصد السورة وأبعادها المختلفة.
2. التجديد والابتكار:
- يخرج عن المألوف في كتب التفسير، ليقدم منهجية جديدة في التدبر العملي وبناء المفاهيم.
- يربط النص القرآني بالعلوم الإنسانية الحديثة) علم النفس، الإدارة، التنمية البشرية.(
- يقدم قراءة معاصرة لقضايا السورة، كتحطيم أصنام العصر) المال، الجاه، الشهوات.(
3. التطبيقية الشديدة:
- لا يكتفي بالنظرية، بل يقدم برامج تطبيقية يومية وأسبوعية.
- يحول الآيات إلى مهارات حياتية قابلة للتعلم والتمرين.
- يقدم خططا عملية للعيش مع القرآن في كل لحظة.
4. الأسلوب الوجداني المؤثر:
- يصل إلى القلب قبل العقل، ويمس أوتار المشاعر الإيمانية.
- يثير الخشية والرجاء والمحبة، ويخلق حالة من التفاعل الروحي العميق مع النص.
5. البناء المنهجي المحكم:
- يقدم خريطة واضحة للسورة ومحاورها الرئيسية والفرعية.
- يربط الآيات بعضها ببعض في نسيج عضوي، ويظهر التناسق الداخلي للسورة.
- يعتمد على التقسيم الموضوعي المدروس، مما يسهل على القارئ متابعة الرحلة.
6. العناية بالبناء الشخصي والحضاري:
- يقدم رؤية متكاملة لصناعة الشخصية المسلمة المتزنة) العزة، الثبات، التواضع، الإيجابية.(
- يربط النص القرآني ببناء الحضارة والنهضة، ويستخرج مفاهيم التنمية والبناء من الآيات.
- يحرر العقل من الخرافات والأوهام، ويؤسس لمنهج علمي ناقد.

خامساً: محاور الكتاب ومحتواه

ينقسم الكتاب إلى مباحث رئيسية تتناول السورة من مختلف جوانبها، وقد جاءت في خمسة أقسام كبرى، تناظر خمسة مباحث شاملة:

المبحث الأول: تمهيد في وحدة السورة وموضوعها

- روعة الارتباط بين سورتي الطور والنجم: بيان التناسب اللفظي والمعنوي بين خاتمة الطور) إدبار النجوم (وافتتاحية النجم) النجم إذا هوى(، وكيف أن التسبيح في جوف الليل كان تمهيداً للقسم الإلهي بالدفاع عن النبي.
- الموضوع الرئيسي لسورة النجم: "إثبات مصدرية الوحي وعصمة النبي ﷺ، وتقرير التوحيد ونفي الشرك، وإبطال أوهام المشركين".
- البنية التحليلية للسورة: تقسيمها إلى محاور متدرجة، تبدأ بالقسم، ثم تزكية النبي، ثم إثبات الوحي، ثم هدم الأصنام، ثم ضبط الأماني، ثم تقرير الإيمان بالآخرة، ثم بيان عدل الله ورحمته، ثم الأمر بالسجود.

المبحث الثاني: التحليل البياني والمفاهيمي العميق) القسم الأول(

- تحليل آيات القسم1) -(4:} وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ{، ودلالات القسم بالنجم، والتناسب بين حركة النجم ونزول الوحي.
- تحليل آيات تزكية النبي2) -(4:} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ{، وبيان عصمته العلمية والسلوكية، ودقة لفظ "صاحبكم".
- تحليل آيات الوحي ومصدره5) -(10:} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ{، وصف جبريل عليه السلام، ومشهد التلقي في الأفق الأعلى، ودلالة "قاب قوسين أو أدنى".
- تحليل آيات الرؤية والمعراج11) -(18:} مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ{، وصدق الرؤية البصرية والقلبية، ومشهد سدرة المنتهى، وآيات ربه الكبرى.

المبحث الثالث: التحليل البياني والمفاهيمي) القسم الثاني(

- تحليل آيات هدم الأصنام19) -(23:} أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ{، وفضح حقيقة الأصنام، وتفنيد القسمة الجائرة، وكشف أن اتباع الظن والهوى هو مصدر الضلال.
- تحليل آيات ضبط الأماني والشفاعة24) -(26:} أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ{، وإبطال التمني الفارغ، وتقرير ملكية الله للدنيا والآخرة، وتصحيح مفهوم الشفاعة.
- تحليل آيات الإيمان بالآخرة ونبذ الظن27) -(28:} إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ{، وبيان أن إنكار الآخرة هو أصل الانحراف الفكري والأخلاقي.
- تحليل آيات الإعراض عن المعرضين29) -(30:} فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا{، والأمر بالعزة والاستغناء عن أهل الدنيا، وأن منتهى علمهم هو الحياة الدنيا.

المبحث الرابع: التحليل البياني والمفاهيمي) القسم الثالث(

- تحليل آيات ملكية الله وعدله31) -(32:} وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ{، وتقرير الجزاء العادل، وصفات الناجين) اجتناب الكبائر والفواحش(، وسعة مغفرة الله، والنهي عن تزكية النفس.
- تحليل آيات ذم التولي والإكداء33) -(34:} أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ{، والتعجب من الموقف الجاهل لمن أعرض عن الطاعة بعد أن بدأ فيها، وكشف الجذور الفكرية لهذا الموقف) الجهل بالغيب وضعف التوكل(.
- تحليل آيات صحف موسى وإبراهيم36) -(38:} أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ{، وربط الوحي بالرسالات السابقة، واستلهام نماذج التوكل والوفاء منهما.
- تحليل آيات المسؤولية الفردية39) -(42:} وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ{، وتقرير أن لكل إنسان ما سعى، وأن سعيه سوف يُرى، ثم يُجزى الجزاء الأوفى، وأن المنتهى إلى الله.

المبحث الخامس: التحليل البياني والمفاهيمي) القسم الرابع (وخاتمة السورة

- تحليل آيات أفعال الله المطلقة43) -(49:} وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ{، وإثبات أن الله هو المتصرف في الضحك والبكاء، والموت والحياة، والخلق والرزق، وأنه رب الشعرى، مما يقرر توحيد الربوبية والألوهية.

- تحليل آيات مصارع الأمم(50) -(54:} وأنه أهلك عادًا الأولى{، واستعراض سنة الله في إهلاك المكذبين) عاد، ثمود، قوم نوح، قوم لوط(، وبيان أن العذاب واقع لا محالة.
- تحليل آيات الساعة والختام(55) -(62:} فبأي آلاء ربك تتمارى{، والتوبيخ الختامي، والإعلان عن قرب الساعة، والتعجب من غفلة المشركين، والختم بالأمر بالسجود والعبادة لله وحده.

سادساً: المفاهيم المستخلصة من السورة

المفاهيم العقائدية:

1. عصمة النبي ﷺ: في عقله، وعلمه، وقصده، ونطقه، فهو لا ينطق عن الهوى.
2. مصدرية الوحي: القرآن والسنة وحي من الله، تلقاه النبي بواسطة جبريل عليه السلام.
3. التوحيد الخالص: إبطال عبادة الأصنام والأوثان، وتقرير أن العبادة لله وحده.
4. الجزاء العادل: إثبات اليوم الآخر، وأن الله يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.
5. الشفاعة الحقة: ليست بالتمني، بل بإذن الله لمن يشاء ويرضى.
6. ملكية الله المطلقة: للدنيا والآخرة، وهو المتصرف في كل شيء.

المفاهيم النفسية:

1. اليقين والطمأنينة: بالتصديق بصدق النبي ﷺ ومصدر الوحي.
2. التحرر من الخوف: من الأصنام والأوهام والشفعاء المزعومين.
3. ضبط الشهوات: بتقوية الإرادة، ومراقبة الأماني، وربطها بالعمل.
4. الخوف الصحي: من عذاب الله، الذي يدفع للعمل والاستعداد.
5. التواضع ونبذ الغرور: بعدم تزكية النفس، وتذكر الأصل من نطفة.
6. السكينة في مواجهة الباطل: بالثقة بعدل الله وعلمه.

المفاهيم التربوية:

1. التربية بالقدوة والسيرة: استحضار التاريخ النبوي والقول "صاحبكم".
2. التربية على النقد والتمحيص: "أفرأيتم" تدعو لفحص الموروثات.
3. التربية على الصبر والثبات: وعدم التوقف عن الطاعة بسبب العوائق.
4. التربية على المسؤولية الفردية: كل نفس بما كسبت رهينة.
5. التربية على التوكل: الثقة بوعد الله، وعدم الخوف من الفقر.
6. التربية على العبودية: بأن السجود والعبادة لله وحده هي غاية الخلق.

المفاهيم الحضارية:

1. صناعة الشخصية القوية: الجمع بين القوة والجمال، والعزة والتواضع.
2. تحرير العقل من الخرافة: نبذ التنجيم والأبراج، ورفض اتباع الظن.
3. بناء الاقتصاد على البركة: بالإنفاق والتكافل، لا بالخوف والإمساك.
4. إقامة العدل الاجتماعي: رفض "القسمة الضيزى" والتمييز.
5. قراءة التاريخ للاعتبار: واستخلاص سنن الله في الأمم.
6. النهضة بالعلم النافع: الذي يورث خشية الله، لا العلم القاصر على الدنيا.

المفاهيم الأسرية:

1. القدوة الحسنة: في البيت والمجتمع.
2. إلحاق الذرية بالمؤمنين: بالدعوة والتربية.
3. العدل في التعامل: ورفض المحاباة والظلم.
4. التربية على ذكر الله: وجعل الحياة كلها ذكرًا.

سابعاً: الجمهور المستهدف

يخاطب الكتاب فئات متنوعة، كلٌ بحسب حاجته ومقامه:

1. طلاب العلم الشرعي:
- الدارسون للتفسير والتدبر الموضوعي.
- المهتمون بمنهجية استخراج المفاهيم من القرآن.
- الباحثون عن ربط النص القرآني بالعلوم الإنسانية.
2. الدعاة والعاملون في الحقل الدعوي:
- الذين يحتاجون إلى زاد روحي وفكري ووجداني.
- الباحثون عن أساليب جديدة وجذابة في التبليغ والتدبر.
- المهتمون ببناء الشخصية الدعوية الصامدة.
3. المربون والمعلمون:
- معلمو التربية الإسلامية والقرآن الكريم.
- الآباء والأمهات الباحثون عن منهج تربوي قرآني متكامل.
- المهتمون بتربية النشء على القيم والمفاهيم القرآنية.
4. المتخصصون في العلوم النفسية والتربوية والتنموية:
- الباحثون عن المنظور القرآني في التربية وعلم النفس.
- المهتمون بالصحة النفسية من منظور إيماني.
- الدارسون لعلم النفس الإسلامي والتنمية البشرية القرآنية.
5. عموم المسلمين:
- كل من يبحث عن تدبر عملي ومؤثر للقرآن.
- المهتمون بتطوير الذات والارتقاء الروحي من المنظور القرآني.
- الراغبون في العيش مع القرآن في حياتهم اليومية وتحويله إلى برنامج حياة.
6. القادة والمؤثرون وأصحاب القرار:
- القادة التربويون والدعويون والإداريون.
- المؤثرون في المجتمع والمسؤولون عن صناعة الرأي.
- المهتمون ببناء رؤية إسلامية معاصرة للتغيير والنهضة.

ثامنا: مخرجات الكتاب

1. مخرجات معرفية:

- معرفة متكاملة بمقاصد سورة النجم ووحدتها الموضوعية.
- فهم عميق للآيات وعلاقاتها البينية والسببية.
- استيعاب المفاهيم القرآنية المستخلصة من السورة في مجالات العقيدة والنفس والتربية والحضارة.
- إدراك البناء التحليلي للسورة وتدرجها الموضوعي.

2. مخرجات إيمانية:

- تعزيز اليقين بصدق النبي ﷺ وعصمته ومصدرية الوحي.
- ترسيخ التوحيد الخالص في القلب، ونبذ الشرك والخرافة.
- تعميق الخوف من الله والرجاء في رحمته.
- زيادة المحبة لله ولرسوله ﷺ، والغيرة على عرضه.

3. مخرجات سلوكية:

- تطبيق القيم القرآنية في الحياة اليومية) الصدق، العدل، التواضع، الصبر، الثبات.(
- تحرير السلوك من التبعية للظن والهوى.
- ممارسة الذكر العملي) إتقان العمل، الصدق، الأمانة.(
- تحمل المسؤولية الفردية والعمل للآخرة.

4. مخرجات تربوية:

- بناء شخصية مسلمة متزنة: قوية في الحق، جميلة في الخلق، عزيزة بالإسلام، متواضعة لله.
- تربية الأبناء على القيم القرآنية: النقد البناء، العدل، التوكل، العبودية.
- تنقية الوعي من رواسب الجاهلية: التنجيم، الخرافة، التمييز الظالم.
- صناعة القائد الرباني: الصبور، المتوكل، الواثق بالله.

5.مخرجات مهارية:

- مهارة التفكير الناقد وفحص الموروثات) "أفرأيتم".(
- مهارة إدارة الأماني وتحويلها إلى أهداف عملية.
- مهارة ضبط البصر واللسان والنفس.
- مهارة الصبر والثبات عند العوائق.
- مهارة التوكل الإيجابي) العمل مع الثقة بالله.(
- مهارة قراءة التاريخ واستخلاص العبر.
- مهارة تحويل النص القرآني إلى برنامج حياة.

6.مخرجات روحية:

- الارتقاء في مقام الإحسان واليقين.
- الشعور بالمعية الإلهية والحماية الربانية.
- تذوق حلاوة العبادة والسجود لله.
- الاستعداد للقاء الله ورجاء رحمته وخوف عدله.

7.مخرجات عملية:

- برامج يومية لتطبيق الآيات) بروتوكولات سلوكية.(
- خطط عملية للتربية الأسرية والمجتمعية.
- استراتيجيات للتعامل مع التحديات المعاصرة) الشبهات، الفتن، الضغوط.(
- أدوات عملية لضبط النفس وتزكيتها.

8.مخرجات قيادية:

- صفات القائد المؤمن) القوة، الثبات، التواضع، العزة.(
- أساليب القيادة القرآنية) بالقدوة، بالحجة، بالصبر.(
- بناء الرؤية والاستراتيجية على أساس اليقين والثقة بالله.
- إدارة الأزمات بالصبر والتوكل والتسبيح.

تاسعا: أقوال مأثورة بلسان المؤلف

1.في القسم بالنجم: "إن القسم بالنجم وهو يهوي، يحمل في طياته إشارة خفية إلى مصير الباطل المحتوم .فالباطل مهما علا وارتفع، فإن مآله الهوي والسقوط والتلاشي، بينما الحق والوحي ثابت لا يتبدل."

2.في عصمة النبي ﷺ: "إن الله لا يقسم على أمر هين يسير، بل على أعظم قضية في الوجود على الإطلاق، إنها قضية صدق الرسالة وعصمة صاحبها."

3.في مشهد التلقي: "إنه إعلان مدوي، وتصريح قاطع، عن نزاهة الحبيب المصطفى محمد ﷺ .إنه الا يحاد الإلهي، الذي لا يدانيه أي تزكية من أي مخلوق."

4.في هدم الأصنام: "أفرأيتم اللات والعزى ومناة ...إنها آيات تكشف سخافة الشرك، وتناقض المشركين ، وتعيد للإنسان كرامته التي أهدرها بسجوده لحجر لا يضر ولا ينفع."

5.في الأماني الفارغة: "الخير لا ينال بالتمني، بل بالعمل .والأماني قد تكون خواطر حسنة أو سيئة، فيجب فلترتها، فالخواطر تؤثر في النفس وتحرك الإرادة."

6.في الإيمان بالآخرة: "الإيمان باليوم الآخر هو السياج الذي يحمي فطرة الإنسان من الفساد .إذا ضاع هذا الإيمان، ضاع كل شيء، وانطلق الإنسان في تلبية رغباته كالحيوان."

7.في الإعراض عن المعرضين: "كن عزيزًا بدينك، لا تذل نفسك لمن أعرض عن الحق .اعرض عنه بكرامة، ووفر طاقتك لمن يستحق."

8. في عدل الله ورحمته: "النجاة ليست بترك الذنوب مطلقًا، فهذا غير ممكن، بل باجتناب الكبائر و الفواحش، وعدم الإصرار على الصغائر، مع سعة مغفرة الله."

9. في التوكل وعدم الإكداء: "لا تسأل نفسك: هل سأفقر؟ بل اسألها: هل سأطيع ربي؟ فالله هو الرزاق، وهو خير الرازقين، وهو الذي يخلف على من أنفق في سبيله."

10. في المسؤولية الفردية: "لا تنتظر أن يصلح الناس من حولك، بل ابدأ بنفسك. فلك ما سعيت، وسوف ترى سعيك، ثم تجزى به أوفى الجزاء."

11. في العبودية الخالصة: "اجعل حياتك كلها سجودًا لله، وعبادة له. فالمنتهى إلى ربك، وهو وحده المستحق أن تسجد له وتعبده، لا صنمًا، ولا هوىً، ولا نفسًا."

12. في الخاتمة: "وأن إلى ربك المنتهى ...هذا هو الهدف الأسمى، والغاية العظمى. فلتكن كل خطوة في حياتك خطوة إلى الله، وكل سعي لك فيه رضاه، وكل أمنية لك فيه طاعته. فدار الفناء ما هي إلا مقدمة لدار البقاء، واليوم عمل لا حساب، وغدًا حساب لا عمل."

الخلاصة

كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة النجم" هو عمل تفسيري تحليلي تربوي متكامل، يجمع بين الأصالة والتجديد، بين العمق العلمي والجمال الوجداني، بين التأصيل الشرعي والتطبيق العملي. يقدم رحلة إيمانية شاملة في سورة النجم، تبدأ بالتمهيد والربط بالسورة السابقة، ثم التحليل البياني والمفاهيمي المفصل لكل آية ومقطع، ثم استخراج الدروس والمهارات والتطبيقات العملية، ثم بناء المفاهيم والأبعاد والآفاق والقيم، وأخيرًا الختام بالسجود والعبادة الخالصة لله.

يتميز الكتاب بمنهجيته التكاملية التي تجمع بين التفسير الموضوعي والتحليل اللغوي والتربية النفسية والبناء الحضاري، وأسلوبه الخطابي الوجداني المؤثر الذي يصل إلى القلب قبل العقل، وقدرته على تحويل النص القرآني إلى برامج حياتية عملية ومهارات قابلة للتطبيق، وعمقه في استخراج المفاهيم وبناء الشخصية المسلمة وتنقية الوعي من رواسب الجاهلية المعاصرة، وإعادة تشكيل الإنسان ليكون قائدًا ربانيًا في حياته وأسرته ومجتمعه.

الكتاب يخاطب شرائح متنوعة من الجمهور، ويسهم في بناء الإنسان المؤمن الواعي القوي المتوكل، ويقدم رؤية متكاملة للحياة من منظور قرآني، ويجعل القارئ يعيش مع القرآن في كل لحظة من حياته، مستعدًا للقاء الله، متوكلًا عليه، مسبحًا بحمده، صابرًا على حكمه، ساجدًا له وحده.

الرسالة الختامية للكتاب:
"كن نجمًا ساطعًا في حياتك، تضيء لمن حولك، وتهدي الحائرين في ظلمات الحياة المعاصرة. تذكر أن لك في السماء ربًا يراك، وأن لك في الأرض رسالة تؤديها، وأن لك في الآخرة لقاءً تستعد له. فاجعل قلبك مصدقًا، وبصرك مضبوطًا، ونفسك زكية، وعملك خالصًا، وهمتك عالية، وعبوديتك خالصة لله وحده. وكن من الذين إذا سمعوا آيات الله خشعوا، وإذا تليت عليهم سجدوا، وإذا ذكروا الله وجلت قلوبهم. واعلم أن النجم يهوي، والأصنام تزول، والأماني تفنى، ولكن الله باقٍ، وعدله قائم، ورحمته واسعة، ومنتهى كل شيء إليه."

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة تعريفية بسورة النجم

١/ عدد آيات السورة

عدد آيات سورة النجم 62 آية باتفاق أهل العدّ .وعدد كلماتها 360 كلمة، وعدد حروفها 1433 حرفاً . وهي من السور التي تضم آية سجدة، حيث يسجد عند تلاوتها في قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ الآية.[62

٢/ مكان نزول السورة

سورة النجم مكية بإجماع أهل العلم، نزلت بعد سورة الطور وقبل سورة القمر .وهي من أواسط المفصل المكي، وتمتاز بكونها من السور التي نزلت دفعة واحدة، وهو ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه، حيث قال:» إِنّ أَوّلَ سُورَةٍ أُنزِلَتْ عَلَى النَبِيّ ﷺ سُورَةَ الحَمْدُ، ثمّ نزَلَتْ سُورَةَ ن وَالقَلَمِ، ثمّ نزَلَتْ سُورَةَ المُزّمّلِ، ثمّ نزَلَتْ سُورَةَ المُدّثّرِ، ثمّ نزَلَتْ سُورَةَ النّجْمِ .«وقد جمعت السورة بين العقيدة و التوحيد والبعث والجزاء والمعراج، وكلها موضوعات مكية.

٣/ أسباب النزول للسورة وبعض آياتها

السبب العام: نزلت سورة النجم رداً على ما كان يفعله المشركون من عبادة الأصنام) اللات والعزى ومناة(، وتكذيبهم بالنبي ﷺ فيما أخبرهم به من الإسراء والمعراج، واتهامهم له بالجنون والكهانة، ورداً على زعمهم أن الملائكة بنات الله.

أسباب نزول آيات محددة:

.1قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [1] – نزلت عقب حادثة الإسراء والمعراج، حين كذّب المشركون النبي ﷺ، وسألوه عن بيت المقدس، فأخبرهم بصفاته، فصدّقوه في ذلك لكنهم جحدوا ما أخبرهم به من رؤيته لله، فنزلت الآيات تؤكد صدقه فيما رآه بعينه وفؤاده.
.2قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾19] - [20– نزلت في شأن الأصنام التي كان المشركون يعبدونها ويتعلقون بها، ويزعمون أنها شفعاؤهم عند الله، فردّ الله عليهم بأنها مجرد أسماء لا حقيقة لها، ولا تنفع ولا تضر.
.3قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [22] – نزلت رداً على المشركين الذين جعلوا الملائكة إناثاً ونسبوها إلى الله، وزعموا أن البنات لله والذكور لهم، فنزلت تفضح ظلمهم وتناقضهم.
.4قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [29] – نزلت في الوليد بن المغيرة وأبي جهل وأصحابهما، الذين كانوا يعرضون عن دعوة النبي ﷺ ويستهزئون بالقرآن.
.5آية السجدة الأخيرة – نزلت تأمر النبي ﷺ والمؤمنين بالسجود لله وحده وعبادته، في مقابل كفر المشركين وعبادتهم للأصنام.

٤/ ترتيب السورة

· في المصحف: السورة رقم.53
· في النزول: السورة رقم) 23 وقيل(24 ، إذ نزلت بعد سورة الطور وقبل سورة القمر.
· موقعها في الجزء: تقع في الجزء السابع والعشرين من القرآن الكريم) الحزب53 ، الربع 7 و.(8

٥/ فضائل السورة

1.قراءتها في الصلاة: ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ سورة النجم في بعض صلواته، فعن أبي وائل قال:» جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ؟! قَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهِنَّ: سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ ...وَسُورَةَ النَّجْمِ وَسُورَةَ الرَّحْمَنِ.«
2.سبب إسلام بعض المشركين: روي أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم في المسجد الحرام، فلما بلغ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾، سجد وتبعه المسلمون والمشركون، حتى إن بعض المشركين أسلموا لما سمعوا من تأثير السورة في قلوبهم.
3.تثبيت اليقين: السورة من السور التي تؤكد صدق النبي ﷺ فيما أخبر به عن الغيب والمعراج، مما يثبت اليقين في قلوب المؤمنين ويقوي إيمانهم.
4.اشتمالها على آية سجدة: قراءتها سبب لسجدة التلاوة، التي هي من أسباب تكفير الذنوب ورفع الدرجات.

٦/ خصائص السورة

1.افتتاحها بالقسم بالنجم: بدأت بأسلوب القسم:) وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(، وهو قسم كوني مهيب.
2.تضمنها حديث الإسراء والمعراج: تفردت بذكر بعض مشاهد المعراج، كرؤية جبريل على صورته، وسدرة المنتهى.
3.إيراد قصة الأصنام الثلاثة:) اللات، العزى، مناة (وهو أسلوب فريد في هدم الشرك.
4.تركيزها على النفس الإنسانية: تناولت آياتها قضية الأماني والشهوات والظن والهوى، مما يجعلها سورة تربوية نفسية بامتياز.
5.ختمها بالسجود: انتهت بالأمر بالسجود لله وحده، وهو ختام يناسب موضوع التوحيد الذي بدأت به.
6.ورود لفظ "فؤاد" مكان "قلب": في قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، دلالة على عمق التصديق والإدراك القلبي.
7.تكرر أسلوب الاستفهام الإنكاري: مثل: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾، ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾، مما يحرك العقل ويدعوه للتفكر.

٧/ ما انفردت به السورة

1.اسمها المميز: لم تسمّ سورة أخرى في القرآن بهذا الاسم، وهو مشتق من لفظ) النجم (الذي أقسِم به في افتتاحها.
2.ورود مشهد المعراج مفصلا ً: لم ترد تفاصيل لقاء النبي ﷺ بجبريل ورؤيته لسدرة المنتهى في سورة غيرها بهذا السياق المتكامل.
3.ذكر الأصنام الثلاثة صراحة:) اللات، العزى، مناة (لم تذكر مجتمعة في موضع آخر بهذه الصيغة.
4.ورود لفظ) ضِيزَى(: وهي كلمة فريدة في القرآن، لم ترد إلا في هذه السورة، بمعنى الجور والظلم.
5.الجمع بين صفات الله في آيات متتالية:) أضحك، أبكى، أمات، أحيا، خلق الزوجين، أغنى، أقنى، رب الشعرى (في سياق واحد، يبرز توحيد الربوبية.
6.اختتامها بأمر مزدوج:) فاسجدوا لله واعبدوا(، جمع بين السجود والعبادة، وهو ختام جامع لمقاصد السورة.

٨/ أهداف وأغراض السورة

1.إثبات مصدرية الوحي وعصمة النبي ﷺ: التأكيد على أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل هو وحي يوحى.
2.تقرير التوحيد ونفي الشرك: هدم عبادة الأصنام، وإبطال ما كان عليه المشركون من نسب البنات إلى الله.
3.تثبيت النبي ﷺ والمؤمنين: بتأكيد صدق رؤيته في الإسراء والمعراج، ورفع معنوياته بالدفاع الإلهي عنه.
4.تزكية النفس وضبط القوى الإنسانية: معالجة الأماني الفارغة، والشهوات، واتباع الظن والهوى.

.5تقرير الإيمان باليوم الآخر والجزاء: بيان أن الله هو المالك للدنيا والآخرة، وأن الجزاء واقع لا محالة.
.6الدعوة إلى العبودية الخالصة: الأمر بالسجود والعبادة لله وحده، ورفض كل وسيط أو شفيع مزعوم.
.7تحرير العقل من الخرافة: نبذ التنجيم، وعبادة الأصنام، واتباع الظنون والأوهام.

٩/ المواضيع التي تتحدث عنها السورة

.1القسم بالنجم) الآيات1 -(4: تأكيد صدق النبي ﷺ وعصمته) ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى.(
.2مشهد التلقي والوحي) الآيات5 -(10: وصف جبريل عليه السلام) شديد القوى، ذو مرة(، ودنوّه وتدليّه حتى كان قاب قوسين أو أدنى.
.3المعراج ورؤية آيات الرب) الآيات11 -(18: إثبات صدق رؤية النبي ﷺ، ومشهد سدرة المنتهى، ورؤيته آيات ربه الكبرى.
.4هدم أصنام الشرك) الآيات19 -(23: تفنيد عبادة اللات والعزى ومناة، والرد على القسمة الجائرة)قسمة ضيزى.(
.5ضبط الأماني والشفاعة) الآيات24 -(26: إبطال التمني الفارغ، وتقرير ملكية الله للدنيا والآخرة، وتصحيح مفهوم الشفاعة.
.6تقرير الإيمان بالآخرة ونبذ الظن) الآيات27 -(28: بيان أن إنكار الآخرة هو أصل انحراف المشركين في وصفهم الملائكة تسمية الأنثى.
.7الأمر بالإعراض عن المعرضين) الآيات29 -(30: التوجيه بعدم الاكتراث بالذين لا يريدون إلا الحياة الدنيا، والذين منتهى علمهم الظن.
.8بيان عدل الله ورحمته) الآيات31 -(32: تقرير ملكية الله، والجزاء العادل، وصفات الناجين) اجتناب الكبائر والفواحش(، وسعة مغفرة الله، والنهي عن تزكية النفس.
.9ذم التولي والإكداء) الآيات33 -(35: التعجب من الموقف الجاهل لمن أعرض عن الطاعة بعد أن بدأ فيها، واستنكار خوفه من الفقر مع جهله بالغيب.
.10الإحالة إلى صحف موسى وإبراهيم) الآيات36 -(42: تذكير بأن التوكل والوفاء والمسؤولية الفردية هي سنن الله في رسالاته.
.11أفعال الله المطلقة) الآيات43 -(49: إثبات أن الله هو خالق الضحك والبكاء، والموت والحياة، و الزوجين الذكر والأنثى، وهو رب الشعرى وواهب الغنى والقنى.
.12مصارع الأمم المكذبة) الآيات50 -(54: استعراض سنة الله في إهلاك عاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط.
.13التوبيخ الختامي والسجود) الآيات55 -(62: التذكير بآلاء الله، والإعلان عن قرب الساعة، والا ستهزاء بموقف المشركين من القرآن، والأمر بالسجود والعبادة الخالصة لله.

١٠/ مقاصد سورة النجم

.1إثبات صدق النبي ﷺ وعصمته: تأكيد أن النبي ﷺ معصوم في تلقيه وتبليغه، وأن ما جاء به هو وحي من الله.
.2تقرير التوحيد الخالص: الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة، ورفض كل ما يُعبد من دونه، سواء كانت أصناماً، أو هوى، أو شهوات.
.3إبطال الشرك والخرافات: هدم أوهام المشركين، وتفنيد عقائدهم الفاسدة، وتحرير العقل من التنجيم والأساطير.
.4تزكية النفس وضبط قواها: تهذيب قوة الشهوة) الحب (وقوة الغضب) البغض (وقوة العقل) الإيمان والعلم(، وربط الأماني بالعمل، وتنقية النفس من الظن والهوى.
.5تثبيت الإيمان بالآخرة: تأكيد أن الجزاء حق، وأن الله مالك الدنيا والآخرة، وأن الشفاعة بإذنه لمن رضي عنهم.
.6بناء الشخصية المسلمة المتزنة: تكوين إنسان قوي بالإيمان، متواضع لله، عزيز بالحق، صبور على ا لأذى، متوكل على الله، ثابت على الطاعة.
.7تحقيق العبودية الخالصة: ختم السورة بالأمر بالسجود والعبادة لله وحده، لتكون الغاية النهائية هي

الانقياد لله والمحبة له.
.8تحرير الإنسان من عبودية المادة والهوى: جعله يعلم أن كل شيء بيد الله، فلا يخاف إلا منه، ولا يرجو إلا إياه، ولا يسجد إلا له.

الخلاصة

سورة النجم هي سورة مكية، عدد آياتها62 ، ترتيبها في المصحف53 ، ونزلت بعد سورة الطور وقبل القمر .تتميز بافتتاحها بالقسم بالنجم إذا هوى، وبحديثها عن الإسراء والمعراج، ووصف مشهد التلقي بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام، وإثبات صدق رؤيته لآيات ربه الكبرى .تتصدى السورة لعبادة الأ صنام الثلاثة) اللات والعزى ومناة(، وتبطل عقيدة المشركين في نسب البنات إلى الله، وتفنّد اتباع الظن والهوى.

كما تعالج السورة قضايا النفس الإنسانية العميقة: ضبط الأماني الفارغة، وتحرير العقل من الخرافة، وتنقية القلوب من التعلق بغير الله، وتقرير مبدأ المسؤولية الفردية، وإقامة الحجة بالجزاء العادل وسعة مغفرة الله، مع التذكير بسنن الله في إهلاك الأمم المكذبة.

وتختتم السورة بأمر عظيم: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، لتجمع بين الخضوع القلبي) السجود (والانقياد العملي) العبادة (لله وحده، وتؤكد أن غاية الخلق هي تحقيق العبودية الخالصة لله، والاستعداد للقائه، وترك كل ما سواه.

خلاصة الخلاصة: سورة النجم هي سورة اليقين، والتوحيد، والعزة، والعبودية .تدعو الإنسان إلى أن يكون نجمًا ساطعًا في حياته، يهدي الحائرين، ويضيء دروب الضالين، ويعبد الله وحده حتى يلقاه.

بسم الله الرحمن الرحيم

المفاهيم من سورة النجم

مقدمة تمهيدية كمدخل لاستنباط المفاهيم من السورة

تعتبر سورة النجم من السور المكية الفريدة في إيقاعها وفواصلها، وتتمحور آياتها حول قضية عقدية كبرى. لِفهم هذه السورة بعمق، يمكننا تفكيك موضوعها الأساسي، وفكرتها الرئيسية، ثم بيان وجه التلا حم والترابط البديع بين افتتاحيتها وخاتمة السورة التي سبقتها (سورة الطور).

1. الموضوع الأساسي والفكرة الرئيسية لسورة النجم

الموضوع الأساسي للسورة هو **"إثبات مصدر الوحي، وصدق الرسالة المحمدية، وعلوّ مكانة صاحبها ﷺ"**، والدفاع عن هذه الحقيقة في مواجهة افتراءات المشركين وأساطيرهم حول الآلهة والملائكة.

ويمكن تلخيص **الفكرة الرئيسية** في النقاط التالية:

* **عصمة الوحي والرسول:** التأكيد على أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأن ما يبلغه هو وحي يوحى، مع بيان شدة قوى الملك النازل بالوحي (جبريل عليه السلام).
* **شهادة الرؤية وعلو المكانة:** إثبات رؤية النبي ﷺ لجبريل في صورته الملائكية، وبلوغه أعلى مراتب القرب عند "سدرة المنتهى"، ممّا يدل على سموّ رتبته الإنسانية والروحية.
* **تهافت العقائد الجاهلية:** تسفيه عبادة الأصنام (اللات والعزى ومناة) ودحض مزاعم المشركين بأن الملائكة إناث أو بنات الله، وبيان أنها مجرد أسماء أطلقوها باتباع الظن والهوى.
* **أصل العدالة الإلهية وحتمية الجزاء:** تقرير قاعدة المسؤولية الفردية: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن مصير الخلائق كلها إلى الله وحده، مستعرضةً مصارع الأمام السابقة (كعاد وثمود وقوم لوط ونوح) لبيان عاقبة المكذبين.

2. علاقة الفكرة الرئيسية بافتتاحية السورة

تبدأ السورة بقسم إلهي جليل:

> ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾
>

هذا الربط بين القسم (النجم إذا هوى) والمقسَم عليه (عصمة الرسول والوحي) يحمل دلالات عميقة تناسب الفكرة الرئيسية:

* **التناسب البصري والروحي:** النجم يهوي ويسقط من عل ليضيء ظلمات الأرض، والوحي ينزل من السماء العُلى (بواسطة جبريل) ليضيء ظلمات القلوب والعقول.
* **الاهتداء والضلال:** كان العرب يهدون طريقهم في الصحراء بالنُجوم، فالنجم وسيلة هداية حسية لا يضل من اتبعها؛ وكذلك الرسول ﷺ هو وسيلة الهداية الروحية، فحاشاه أن يضل أو يغوي (﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾).
* **الحركة الصاعدة والنازلة:** السورة تتحدث عن "عروج" النبي ﷺ إلى السموات العُلى، وافتتاحيتها تبدأ بـ "النجم إذا هوى" (أي نزل أو غاب)، فكأن في حركة النجم إشارة إلى حركة الصعود والنزول المتصلة بعالم السماء والوحي.

3. علاقة افتتاحية النجم بخاتمة سورة الطور

إن التناسب بين أواخر سورة الطور وأوائل سورة النجم يُعد من أبهى أمثلة **"علم المناسبات"** في القرآن الكريم، حيث تلتصق السورتان ببعضهما تلاحماً لفظياً ومعنوياً:

أ. التناسب اللفظي (المجاورة المباشرة):

تنتهي سورة الطور بأمر للنبي ﷺ بالتسبيح:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ **وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾

وتبدأ سورة النجم مباشرة بـ:

﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾

فالطور خُتمت بذكر **"إدبار النجوم"** (أي غيابها واختفائها في آخر الليل مع طلوع الفجر)، وبدأت النجم بـ **"النجم إذا هوى"** (وهو سقوط النجم أو غيوبه). هذا التوالي يجعل نهاية السورة السابقة ممهدة تماماً لبداية السورة اللاحقة من حيث الصورة الكونية الحاضرة.

ب. التناسب المعنوي والدعوي:

* **وقت التجلي والاقتراب:** إدبار النجوم هو وقت السحر وانبثاق الفجر، وهو وقت الخلوة والا قتراب الإلهي والصفاء الروحي، فجاءت سورة النجم بعد هذا الوقت لتتحدث عن أرقى وأعلى مراتب الاقتراب والقرب البشري من الحضرة الإلهية في رحلة المعراج (﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾).
* **تسليّة الرسول وتثبيته:** سورة الطور استعرضت اتهامات المشركين للنبي ﷺ (كاهن، مجنون، شاعر، مفترٍ)، وأمرته بالصبر والتسبيح حتى إدبار النجوم. فكأن سورة النجم جاءت **كإجابة سريعة وفورية** من الله تدافع عنه وتبرئه؛ فما إن أدبرت النجوم وسبّح النبي، حتى أقسم الله بالنجم إذا هوى قاطعاً دابر الشك: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾.

فالتسبيح في أواخر الطور كان هو "المفتاح"، والشهادة الربانية بعلو المنزلة في النجم كانت هي "التكريم والجائزة"

التفسير للسورة
القسم الاول
المبحث الأول
يا من تبحث عن يقين يسكن روحك القلقة، ونور يبدد ظلمات عقلك الحائر، وطمأنينة تملأ وجدانك المرهق بضجيج الحياة ...أقبل بقلبك وعقلك معًا، ودعني آخذك في رحلة استثنائية إلى مطلع سورة النجم، حيث تقف على أعتاب آيات كريمات، ليس لتقرأها قراءة عابرة، ولا لتفهمها فهمًا سطحيًا، بل لتحياها بكل جوارحك، وتستقبلها وكأنها تتنزل الآن، في هذه اللحظة، عليك أنت تحديدًا، لتلمس شغاف قلبك، وتحدث في كيانك زلزالًا من اليقين لا يخمد أبد الدهر.

تخيل معي أننا لسنا في مكة قبل ألف وأربعمائة عام، بل نحن هنا، معًا، في قلب حياتنا المزدحمة بـ الشواغل، وفي عقولنا التي أنهكتها الشبهات المتلاطمة، وفي وجداننا الذي أثقلته هموم الدنيا وغمومها . اسمع ...اسمع جيدًا ...إنه قسم الله العظيم، خالق الكون ومبدعه، يتجلى في هذه الآيات ليخاطبك أنت، ليصلح من شأنك، وليبني نفسك، وليصنع منك إنسانًا جديدًا.

أولًا: مقدمة تمهيدية – عتبة الدخول إلى رحاب اليقين

دعني أضع بين يديك مفاتيح هذا المقطع البديع، هذه الآيات الأربع من سورة النجم ليست مجرد افتتاحية لسورة، ولا هي مجرد كلمات تُتلى للتعبد، بل هي بحق "وثيقة تأسيسية" للعلاقة بين السماء والأرض، إنها صك العصمة الإلهي الذي منحه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، وإعلان السماء الصارخ المدوي في وجه كل من يحاول أن ينال من مصدر هدايتنا، أو يشكك في مرجعيتنا العظمى.

إن الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها هذه الآيات الكريمة تتمحور حول فكرة مركزية واحدة لا تتجزأ، وهي: تثبيت مصدرية الوحي الإلهي، والبرهنة القاطعة على عصمة المُبلِّغ عنه صلى الله عليه وسلم في كل ما يتعلق بالدين والتبليغ.
أما مقاصد الآيات وأهدافها فهي أسمى وأعظم مما نتصور؛ إنها تريد أن تنقلنا نقلة نوعية هائلة، من التردد إلى اليقين، ومن الشك الذي ينهش الصدور ويفتك بالعقول، إلى التسليم الذي يمنح السكينة و الطمأنينة.
إنها تريد أن تزرع في أعماقنا، وفي صميم وجداننا، أن البوصلة التي بأيدينا – كتابًا وسنةً – لم تُصنع في هذه الأرض، ولم تخطر ببال بشر، بل نزلت من السماء، معصومة محفوظة برعاية الله، فلا خوف علينا من الضياع أو التيه ما دمنا ممسكين بها بقوة، متبعين لها بصدق.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

دعنا الآن نبحر معًا في قلب هذه الآيات، محورًا محورًا، ونحن نربط السنن الكونية التي نراها بأعيننا كل ليلة، بالحقائق الإيمانية التي يجب أن تسري في عروقنا كجريان الدم، لأن هذا هو منهج القرآن ذاته، يمزج المحسوس بالمعقول، والكوني بالإيماني، ليبني فينا إيمانًا لا تهزه الأعاصير.

المحور الأول: تحليل آية القسم ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾

قف معي الآن تحت القبة الكونية الفسيحة في ليلة حالكة السواد، وتأمل هذا القسم المهيب .الله، رب العالمين، خالق الأكوان، لا يقسم بشيء من خلقه إلا ليلفت نظرك إلى عظمته، ويدلك على دلالته الباهرة، ويوقظ عقلك من غفلته .وهذا القسم العظيم يحمل في طياته من الأسرار ما يذهل العقول.

١.ما هو معنى الآية والمُقسَم به، وما دلالة وصف) إِذَا هَوَىٰ(؟
أقسم الله سبحانه وتعالى بالنجم، ولفظة) النجم (تحمل معاني واسعة؛ فمن المفسرين من قال إنه جنس النجوم كلها، ومنهم من قال هو نجم الثريا الذي كان العرب يعظمونه ويعرفونه باسم النجم معرفًا لشهرته، وقيل هي نجوم القرآن التي كانت تتنزل مفرقة على النبي صلى الله عليه وسلم .والأ رجح والأكمل أن يبقى المعنى على عمومه، ليشمل كل نجم، فيتسق هذا مع المظهر الكوني الإعجازي الذي يذهل الناظرين .أما كلمة) هوى (فهي كلمة عجيبة في لغة العرب، تأتي بمعانٍ متعددة تتكامل في هذا المقام تكاملًا بديعًا:

· المعنى الأول: الغروب والأفول .أي النجم إذا غاب وانحط في الأفق غاربًا .وفي هذا المعنى لفتة عظيمة للانتباه إلى حركة هذه الأجرام العظيمة التي تبدو لنا ثابتة، وهي في الحقيقة تجري في مداراتها وتخضع لسنن الموت والغياب، فلا يدوم لها حال، ولا تستقر على وضع واحد أبدًا.
· المعنى الثاني: السقوط والرمي .أي النجوم التي تُرمى بها الشياطين مسترقي السمع، وهي الشهب التي نراها تنقض في السماء لتخرق الظلام .وفي هذا المعنى تناسب مطلق بديع مع حماية الوحي،

ومنع الشياطين من الاقتراب من الملأ الأعلى، وهو عين المقسَم عليه الذي يأتي في الآيات التالية.

٢.التناسب بين خاتمة الطور وافتتاحية النجم) تناسب المجاورة(:
انظر كيف أن هذا الربط بين سورتي الطور والنجم يمثل ذروة التلاحم اللفظي والمعنوي في علم المناسبات القرآنية .لقد أمر الله نبيه في آخر سورة الطور بالعبادة والتسبيح، فقال له: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ ، وهو وقت مدبر الليل ومقبل الفجر، حين تغيب النجوم في الأفق .ثم افتتح سورة النجم فورًا، مباشرة، بالقسم بهذا المشهد المشهود عيانًا: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ أي إذا غاب وسقط.
إن المناسبة البلاغية والتربوية هنا لهي من أروع ما يكون: وكأن الله تعالى يقول لنبيه، ولكل مؤمن يسير على نهجه: "يا محمد، حين تلتزم بأمري وتسبحني في هذا الوقت الشريف، وقت إدبار النجوم، وتلوذ بجنابي في ظلمات الليل، فإنني فورًا، وفي مطلع السورة التالية، أقسم لك بهذا النجم إذا هوى لأدافع عنك، ولأقرر عصمتك وصدق رسالتك أمام المشركين، ولأعلنها في الملأ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾" .فالدفاع الإلهي العظيم جاء كجائزة فورية، كمكافأة ربانية، لامتثال النبي صلى الله عليه وسلم لأمر التسبيح في جوف الليل.

٣.ما هو سر تخصيص النجوم بالقسم والإشارة إلى مصير الباطل؟
ولِمَ النجوم تحديدًا من بين سائر المخلوقات؟ إن السبب ليدعوك للتأمل طويلًا .النجوم هي معالم الهداية الحية، البوصلة التي لا تخطئ للمسافرين في ظلمات البر والبحر، يهتدون بها في أسفارهم، ويعرفون بها اتجاهاتهم .والمقسَم عليه هنا هو "الوحي والرسالة"، والرسالة المحمدية هي معالم الهداية الروحية الوحيدة للبشرية في ظلمات الجهل والكفر والتيه الفكري .فكما أنه لا غنى للمسافر عن النجم ليهتدي في جغرافيا الأرض، فكذلك، بل وأشد، لا غنى للبشرية جمعاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم لتهتدي في جغرافيا الحق والباطل، والخير والشر .ثم تأمل في كلمة) هوى(: ألا تحمل في طياتها إشارة خفية إلى مصير الباطل المحتوم؟ إن الأفول والسقوط، والهويّ، يحمل معنى الزوال والا ضمحلال والتلاشي .فالباطل مهما علا وارتفع وانتفش في سماء الدنيا كالشهاب، أو كالنجم في كبد السماء، يلمع ويخطف الأبصار، فإن مآله الحتمي، وفق السنن الكونية، هو الهويّ والسقوط والتلاشي، بينما الحق والوحي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ثابت، لا يهوي ولا يتبدل، ولا تزعزعه العواصف، ولا تطويه القرون.

٤.المناسبة البلاغية والتشابه بين النبي صلى الله عليه وسلم والنجم:
والآن، دع عقلك يتأمل هذا التشبيه البلاغي البليغ، وهذه المشابهة المعنوية الدقيقة بين النجم و الرسول صلى الله عليه وسلم:

· العلو والرفعة: النجم مكانته عالية جدًا في السماء، لا تطاله أيدي العابثين ولا العابثات، والنبي صلى الله عليه وسلم في رتبة أخلاقية وتشريفية عالية،) وإنك لعلى خلق عظيم(، مصون من الدنايا، محفوظ من السفاسف.
· النور الذاتي والإضاءة: النجم يضيء بذاته فيبدد الظلام الحالك من حوله، والنبي صلى الله عليه وسلم وصفه ربه في كتابه بأنه) سراجًا منيرًا(، أضاء الله به ظلمات الجاهلية، فأصبح الكون كله نهارًا بنور رسالته.
· الرجم والحماية: النجوم جعلها الله رجومًا للشياطين، تحمي السماء من استراق السمع، والنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته الخالدة جاءت رادعة لشياطين الإنس والجن، مدمرة لأوهام الكهانة والسحر و الباطل، حامية للعقول من الخرافة والضلال.

٥.حكم قسم البشر بالنجوم، وما هي القاعدة المستنبطة؟
وهنا يبرز سؤال مهم: هل يجوز لنا نحن أن نقسم بالنجوم أو بغيرها من المخلوقات؟ والجواب: لا يجوز قطعًا للبشر أن يقسموا بالنجوم، أو بأي مخلوق آخر، كالكعبة، أو الأنبياء، أو الآباء، أو الشرف، أو الأمانة .لقول النبي صلى الله عليه وسلم محذرًا:» من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت) «متفق عليه(، وقوله عليه الصلاة والسلام:» من حلف بغير الله فقد أشرك .«والقاعدة المستنبطة من هذه الآية الكريمة هي:

"لله عز وجل وحده أن يقسم بما شاء من خلقه، دلالةً على عظمته سبحانه، ولفتًا لأنظار عباده إلى آياته الكونية الباهرة .وليس للمخلوق الضعيف أن يقسم إلا بالخالق سبحانه وتعالى، تعظيمًا لربوبيته وإلهيته، وإفرادًا له بالتعظيم المطلق".

فالقسم من المخلوق يقتضي تعظيم المقسَم به ولا محالة، ولا عظيم في هذا الكون على الإطلاق يستحق التعظيم المطلق إلا الله جل جلاله .أما قسم الله سبحانه بمخلوقاته، فهو لبيان شرف هذا المخلوق، أو لعظم فائدته ومنفعته، أو لتنبيه العقول إلى التفكر فيه واعتباره.

.٦الرسائل النفسية، التربوية، والفكرية والدروس العملية:
ولننظر الآن في الرسائل التي تبثها هذه الآية الكريمة في جنبات النفس، وبرنامج العمل الذي تفرضه علينا:

· أ .الرسائل الفكرية والتصحيحية:
· تحطيم الأوهام الجاهلية) التنجيم(: النجوم مسخرات مأمورات، لا علم لها بالغيب أبدًا، ولا تؤثر في سعادة إنسان أو شقائه .هذا هو الإبطال العملي لفكرة التنجيم والأبراج التي راجت في جاهليتنا المعاصرة .هي علامات جغرافية، وزينة للسماء، ورجوم للشياطين، وليست آلهة تدبر الكون، أو قوى غيبية تتحكم في مصائر العباد.
· حتمية الفناء للمخلوق: النجم، على ضخامته المهولة، واستقراره الظاهري، وسطوعه الباهر، مصيره إلى "الهويّ" والانكدار، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ .هذا يرسخ في الفكر البشري قاعدة عظيمة: أن التعلق القلبي لا يكون أبدًا إلا بالحي الذي لا يموت ولا يأفل، كما قال إبراهيم عليه السلا م وهو يحاج قومه: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾.
· ب .الرسائل النفسية والتربوية:
· الأمن النفسي عبر ثبات الوحي: حين يعلم المؤمن، علم اليقين، أن رسالة نبيه معصومة، ومحفوظة بحفظ الله، كمنظومة النجوم الحاكمة للكون، يمتلئ قلبه باليقين والطمأنينة، ويشعر بسكينة عجيبة وهو يرى أمواج الشبهات والشهوات تتلاطم من حوله، لأنه يملك مرجعية ثابتة لا تتغير.
· التربية على سموّ الهدف) كن نجمًا(: تدعوك الآية دعوة صريحة إلى ألا ترتكس إلى الطين والأ رض، وألا ترضى بالدنايا، بل أن تشرئب بعنقك وروحك نحو السماء، لتكون كالنجم في رفعته، ونوره، ونفعه لمن حوله، حريصًا كل الحرص على هداية الحيارى التائهين في ظلمات الحياة المعاصرة.
· ج .الدروس العملية للتطبيق اليومي:
.1 التفكر الكوني الراتب: خصص وقتًا للتأمل، ولو دقائق معدودات في الليل، تنظر فيها إلى السماء والنجوم، لتجدد إيمانك بقدرة الخالق وعظمته، ولتشعر بضآلة الدنيا في قلبك.
.2 تطهير اللسان: احذر كل الحذر من الحلف بغير الله في حديثك اليومي، مثل قول: والنبي، وحياتك، والأمانة، وشرفي .وطن لسانك على القسم باللهّ وحده عند الحاجة الماسة.
.3 محاربة الخرافة: لا تقرأ أبدًا ما يسمى "حظك اليوم"، ولا تصدق توقعات الأبراج، وارفع رأسك ع اليًا بأنك لا تؤمن بأن الغيب لله وحده، لا تملكه النجوم ولا الكواكب ولا الكهنة.
.4 القيام بالمسؤولية) صناعة الأثر(: كما أن للنجم وظيفة محددة) زينة، هداية، رجم(، يجب عليك، بل ويجب على كل مؤمن، أن يحدد ثغره ووظيفته في هذه الحياة، ليعمل ويجتهد، ويترك أثرًا مضيئًا نافعًا، قبل أن يحين أجله، وقبل أن "يهوي" نجمه ويرحل عن هذه الدنيا الفانية.

المحور الثاني: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾

هنا يأتي جواب القسم الذي انتظرته أسماعنا وترقبته قلوبنا .إنه الإعلان المدوي، والتصريح القاطع، عن نزاهة الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم .إن الله جل جلاله لا يقسم على أمر هين يسير، بل على أعظم قضية في الوجود على الإطلاق، إنها قضية صدق الرسالة وعصمة صاحبها.

.١ما هو المقسوم عليه في الآية؟
المُقسَم عليه، وهو جواب القسم، هو إثبات عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في عقله، وعلمه، وقصده، ونزاهة مسلكه ومنهجه عن أي انحراف، والتأكيد الجازم على صدق مصدر تلقيه للقرآن الكريم .إنها شهادة تزكية ربانية فريدة ومطلقة، لا يدانيها أي تزكية من أي مخلوق.

.٢معنى الآية الإجمالي:
تُعنى هذه الآية الكريمة بتقرير براءة النبي صلى الله عليه وسلم التامة والقطعية مما رماه به مشركو مكة من تهم باطلة؛ فنفت عنه "الضلال") وهو الانحراف عن الحق بجهل(، ونفت عنه "الغواية") وهي ا لانحراف عن الحق بعمد وهوى ومصلحة .(إنها شهادة تزكية ربوية فريدة ومطلقة لعقل الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوكه، وتأكيد على أنه يسير على صراط مستقيم برعاية إلهية لا تشوبها شائبة.

.٣دلالة ابتداء جواب القسم بأداة النفي ﴿مَا﴾:
توجيهك البلاغي هنا دقيق جدًا؛ فالبدء بأداة النفي ﴿مَا﴾ له دلالات إعجازية بالغة .إنها المواجهة والإ بطال الفوري، حيث جاء النفي ليفيد الاستغراق والقطعية، إبطالًا للتهم المتراكمة التي أوردتها سورة الطور) كاهن، مجنون، شاعر .(...فالسياق سياق ردّ وتكذيب لافتراءاتهم، والنفي بـ ﴿مَا﴾ هنا هو أقوى أساليب القلع والقلب لادعاءات الخصم في بلاغة العرب .ثم إن من القواعد البلاغية الراسخة أن "التخلية قبل التحلية"، فنفى الله عن نبيه العيوب أولا ً) الضلال والغواية(، لتهيأ العقول والقلوب

وتصفو، لتستقبل بعد ذلك إثبات الوحي في الآيات التالية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

٤.سر اللفظ ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ ولماذا لم يقل "رسولنا" أو "رسولكم"؟
يا لله! ما أعظم هذا اللفظ، وما أبلغه! إن اختيار لفظ) صَاحِبُكُمْ (لهو إعجاز دعوي ونفسي هائل، وحكمته تتجلى بوضوح في عدة أوجه:

· إقامة الحجة من واقع الخبرة: "الصحبة" تقتضي طول المعاشرة والمخالطة .فكأن الله يقول لكفار قريش، ويقول لكل معاند إلى يوم الدين: إن محمدًا ليس غريبًا طارئًا وفد إليكم من مكان مجهول، بل هو) صاحبكم (الذي نشأ بين أظهركم أربعين عامًا كاملة، جربتم فيه الصدق والأمانة ورجاحة العقل ، وسميتموه من تلقاء أنفسكم "الأمين" .فكيف تنقلب عقولكم فجأة، وتنتكس فطرتكم، لتتهموه بالجنون أو الضلال بعد هذه الصحبة الطويلة التي خبرتم فيها كل تفاصيل حياته؟!
· الاستعطاف والتأنيس: اللفظ فيه إثارة لروابط القرابة والجوار، وتذكير لهم بأن شرفه شرف لهم، وأنه ليس أجنبيًا عنهم بل هو واحد منهم، من صميم قبيلتهم، فلماذا يحاربونه ويكذبونه؟!

٥.من هو الضال لغويًا واصطلاحًا؟
الضال هو الذي ينحرف في مسالكه ويسلك طريق الباطل بغير علم .فهو الجاهل الذي يسلك طريقًا منحرفًا بغير علم .أما أسباب الضلال فغالبًا ما تنتج عن المغالاة في حب الصالحين، والمغالاة في الدين والتطرف، مما ينتهي بأصحابه إلى الابتعاد عن منهج الحق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ .فالضلال سببه الجهل، وهي صفة النصارى، وقد حذر الإسلام من المغالاة التي تؤدي إلى الا بتداع الذي يلوث المنهج فيحصل الانحراف عن الطريق المستقيم، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .والله يخبرنا هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس كذلك، فهو تابع للحق، عالم به، سائر عليه.

٦.من هو الغاوي لغة واصطلاحًا؟
الغاوي هو المنحرف عن قصد وعلم .إنه الذي يعرف الحق ويعلمه علم اليقين، ولكنه يزيغ عنه ويتجاوزه عمدًا، طمعًا في شهوة، أو خوفًا من لومة لائم .وهذه صفات اليهود الذين أخفوا الحق وكتموه، وسلكوا طريق الانحراف عن قصد وإصرار، كما ورد في سورة البقرة في قصة أصحاب السبت حين اعتدوا في السبت، وكما ورد فيها من بيان كتمانهم للحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .القرآن العظيم قد حذرنا من الفريقين، فنحن نقول في كل صلاة، في كل ركعة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

٧.كيف نزهت الآية فكر النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه عن كليهما؟
نزهته نزاهة مطلقة شاملة عبر "المقابلة الحكيمة" التي لا تترك منفذًا للشك .فنفيُ الضلال عنه هو إثبات لكمال علمه ورشده وبصيرته، وتأكيد على أنه لا يجهل الحق أبدًا .ونفيُ الغواية عنه هو إثبات لكمال قصده، وسلامة نيته، وعدم اتباعه للهوى، وتأكيد على أنه لا يزيغ عن الحق بعد علمه به .فجمع الله له، في هاتين الكلمتين، بين كمال القوة العلمية) بانتفاء الضلال (وكمال القوة العملية الإرادية)بانتفاء الغواية(، فصار بذلك في أعلى درجات الكمال البشري التي يمكن أن يصل إليها إنسان.

٨.الدلالات والرسائل النفسية، العقلية، والتربوية) الدروس العملية(:

· أ .الرسائل الفكرية والعقلية:
· الربط بين الوحي وسلامة العقل: الاستمساك بالمنهج الرباني هو الضمانة الوحيدة لعدم ضلال العقل البشري؛ فالمنهج الإلهي يحمي العقل من الشطط والوقوع في الخرافات، وصدق الله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.
· خطورة المغالاة والابتداع: الجهل والابتداع يقودان إلى الضلال المحقق .فالاستقامة المأمور بها شرعًا هي التي تحددها الآية الكريمة: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾، لا كما أردت أنت، أو هويت أنت.
· ب .الرسائل النفسية والتربوية:
· تزكية الصدق النفسي والاتساق: الدرس التربوي الأكبر من لفظ) صَاحِبُكُمْ (هو أن الداعية، أو المصلح، أو أي إنسان مؤمن، يجب أن يكون تاريخه وسلوكه الشخصي بين الناس هو أول شواهد صدق دعوته .لا تنظر إلى كلامي، بل انظر إلى تاريخي.
· الثبات الصادق في وجه حملات التشويه: الآية تمنحك حصانة نفسية هائلة؛ فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أكمل الخلق، قد رُمي بالضلال والجنون، فإن على كل المصلحين من بعده ألا يحزنوا أو يتراجعوا إذا واجهوا حملات التشويه والتشهير، بل يلوذوا بشهادة الله وتزكيته، ويمضوا

في طريقهم ثابتين.
· ج .الدروس العملية للتطبيق:
· طلب العلم الشرعي المؤصل: لمحاربة "الضلال" الناشئ عن الجهل؛ لأن العبادة بلا علم قد تورد صاحبها موارد المبتدعة.
· مجاهدة الهوى والشهوة: لمحاربة "الغواية" الناشئة عن تقديم الهوى على العلم والعمل؛ فكم من ع الم هلك لأنه لم يعمل بعلمه، واتبع هواه.
· الاستعاذة الراتبة في الصلاة بحضور قلب: عند قراءة الفاتحة ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، استشعر بكل جوارحك خطورة هذين المسلكين) علم بلا عمل، وعمل بلا علم (واسأل الله الاستقامة الوسطى بينهما.

المحور الثالث: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾

بعد أن نزّه الله نبيه عن ضلال العقل وغواية القلب، ها هو ينزّه لسانه الشريف ونطقه الكريم، في هذا المحور الذي يمسّ ركيزة كبرى من ركائز العقيدة والتشريع؛ فهو يحارب "الحديث بالمزاج والهوى" كصفة جاهلية مقيتة، وهذا فيه تفكيك فكري وتربوي رائع وعميق.

.١ما المقصود بـ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾؟
المقصود هو النفي القاطع والكامل بأن يكون كلام النبي صلى الله عليه وسلم، الناشئ عن التبليغ و التشريع، صادرًا عن دافع شخصي، أو رغبة ذاتية، أو مصلحة دنيوية، أو ميل نفسي) وهو ما يعبر عنه بالهوى والمزاج .(وانظر إلى دقة التعبير القرآني: دلالة حرف الجر ﴿عَنِ﴾؛ لم يقل الله "وما ينطق بالهوى" بل قال) عن الهوى(، وحرف) عن (يفيد المجاوزة والصدور .أي: ليس الهوى هو المنطلق، ولا المبدأ، ولا المبتدأ الذي يصدر عنه كلامه صلى الله عليه وسلم .فمنطوقه الشريف معصوم ومطهر في غاياته وفي بداياته.

.٢كيف تعزز الآية الثقة المطلقة بكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم؟
تعد هذه الآية بمثابة "صك العصمة والتوثيق الإلهي" لكل ما يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه ، وتعزز اليقين في نفس المؤمن من خلال أمور عدة: شمولية العصمة في التبليغ، حيث التشريع الإ لهي ليس مقتصرًا على لفظ القرآن الكريم فحسب، بل السنة النبوية الصحيحة) قولا ً، وفعلا ً، وتقريرًا (هي تبيان لهذا القرآن، وصادرة عن وحي وتوجيه إلهي .فالآية تدمج الثقة بالقرآن والثقة ب السنة في نسق واحد .ثم إنها تقطع دابر التشكيك الخارجي؛ فعندما يرسخ في قلب المؤمن أن قائد ا لأمة ومُعلمها صلى الله عليه وسلم مرتبط بالسماء، ومحميّ من رغبات النفس البشرية وتقلباتها، يسقط كل تشكيك أو طعن يوجهه أعداء الإسلام للسنة النبوية .ثم إن هذا اليقين يثمر الاستسلام والانقياد النفسي، فالثقة المطلقة تولد الطاعة المطلقة والرضا والتسليم.

.٣الرسائل والتوجيهات النفسية والتربوية والفكرية:

· أ .الرسائل الفكرية) تحطيم المنهج "المزاجي" للجاهلية(:
· ذمّ التفكير المبني على الهوى: الآية تعرض بالمنهج المعرفي للكفار والكهنة، الذين يطلقون الأحكام والتشريعات بناءً على "المزاج"، أو ينسبونها زورًا للنجوم والأفلاك لتحقيق مكاسب ذاتية.
· التفريق بين الحق والميل النفسي: ترسخ الآية في الفكر الإسلامي أن "الحق" قيمة موضوعية مستقلة ثابتة، لا تخضع لأمزجة البشر ولا لرغبات الأقوياء، وأن اتباع المزاج في صياغة الأفكار هو أصل كل انحراف.
· ب .الرسائل النفسية والتربوية) صناعة الشخصية السوية(:
· تربية اللسان على الاستقامة: تربي الآية المؤمن على أن يحاسب نفسه قبل أن ينطق: هل يتكلم انتصارًا لنفسه ولمزاجه ومصلحته؟ أم يتكلم إحقاقًا للحق وتجردًا له؟ فيصبح لسانه محكومًا بضميره ودينه لا بانفعاله الطائش.
· الشجاعة والصلابة في قول الحق: مَن كان كلامه منطلقًا من الحق لا من الهوى والمزاج، لا يخشى في الله لومة لائم، ويمتلك شجاعة أدبية عالية لأنه لا يطلب مرضاة الناس بل مرضاة رب الناس.
· تزكية النفس من الأنانية والكبر: نزع "الهوى" من النطق يعني تقديم العدل والإنصاف حتى مع الخصوم، وهو ما يدفع الإنسان لمعاملة الآخرين بالمعيار والعدل الذي يحب أن يعاملوه به.
· ج .الدروس العملية للتطبيق اليومي:
1. عرض الكلمات على ميزان الشرع: قبل إطلاق الأحكام على الأشخاص أو المواقف، على المؤمن

أن يتوقف ليتأكد أن حكمه نابع من علم وعدل، وليس تشفياً أو غضباً نفسياً) مقاومة النطق بالمزاج.(
.2 تعظيم السنة النبوية وتطبيقها: عند سماع أي حديث صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، يكون الموقف العملي هو السمع والطاعة والامتثال، والابتعاد عن رد الأحاديث الصحيحة بـ "الأهواء والعقلا نيات المجردة".
.3 تحري الصدق والموضوعية في الحوار: في النقاشات العائلية، أو المهنية، أو العلمية، يجب الا لتزام بالدليل والحق، والاعتراف بالخطأ فورًا إذا ظهر الصواب مع الطرف الآخر، تجنباً للوقوع في الغواية والانتصار للنفس.
.4 تطهير المجالس من الكهانة الحديثة: مقاطعة وإنكار كل كلام يُبنى على الظن والهوى والمزاج، ك التحليلات القائمة على التنجيم، ونشر ثقافة التثبت والعلم.

المحور الرابع: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

والآن، وصلنا إلى الذروة، إلى الخبر اليقين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .هذا المحور يمثل ذروة التوثيق الإلهي لمرجعية الإسلام) الكتاب والسنة(، والأساس الفكري الذي تبنى عليه عقيدة التسليم والانقياد.

.١معنى الآية الإجمالي والمقصود بها:
الضمير) هو (يعود على المنطوق والبلاغ الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم) القرآن والسنة التشريعية .(والمعنى: ما هذا الذي يتلوه عليكم ويبلغكم إياه من الدين، من قرآن كريم وسنة مطهرة، إ لا وحيٌ من الله تعالى، يوحيه إليه بواسطة الملك جبريل عليه السلام، مستورًا ومحفوظًا من الزيادة والنقصان .وجاء أسلوب الآية بصيغة الحصر والقصر الأكثر تأكيدًا في البلاغة العربية:) إنْ ...إلّا(، و)إنْ (هنا نافية بمعنى) ما .(فكأن الآية تقطع وتجزم: "ما ينطق به من الدين ليس أي شيء آخر على الإطلا ق، بل هو وحي خالص"، مما يغلق الباب تمامًا أمام أي شك أو ريب في مصدر التشريع.

.٢هل تشمل الآية كل ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم أم تقتصر على القرآن؟
هذه مسألة أصولية دقيقة، والتحقيق فيها يجمع بين أطراف المعادلة .الآية تشمل قطعًا كل ما يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى في أمور الدين والعقيدة والتشريع والغيبيات، وهذا ينقسم إلى: وحي متلو وهو القرآن الكريم، وهو الوحي بلفظه ومعناه المتعبد بتلاوته .ووحي غير متلو وهو السنة النبوية الشارحة، وهي الأحكام والأقوال التشريعية التي أوحى الله بمعناها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وصاغها النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه، لقوله عليه الصلاة والسلام:» ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه .«أما ما لا تشمله الآية: فهي الأمور الدنيوية المحضة القائمة على الخبرة البشرية ك التجارة والزراعة) مثل حادثة تأبير النخل حين قال:» أنتم أعلم بأمر دنياكم(«، أو الاجتهادات العسكرية الخططية التي قد ينزل الوحي بتصويبها .فالآية تمحور العصمة حول منظومة الدين والتبليغ.

.٣أصلية الوحي وتبعية السنة) الأصل والفرع(:
بناءً على الآية الكريمة، تتضح العلاقة الأصولية بين القرآن والسنة كالتالي: الوحي) القرآن (هو الأصل الأول، وهو الدستور الكلي الحاكم، الذي وضع القواعد العامة والأسس .والسنة هي الفرع التابع والمبين ، وهي لا تقابل القرآن كمنهج مغاير، بل هي "بيان وتطبيق عملي" للقرآن .فالقرآن أصل يأمر بالصلاة، والسنة فرع يبين كيفيتها ومواقيتها .وطالما أن السنة وحي بالمعنى، فإن طاعتها هي طاعة للأصل)القرآن (الذي أمرنا بذلك في قوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

.٤أهمية اليقين بأن تشريع النبي صلى الله عليه وسلم هو وحي من الله:
اليقين بهذه الحقيقة هو صمام الأمان العقدي، فهو يحمي المسلم من الانزلاق وراء الشبهات الحديثة التي تحاول عزل السنة عن التشريع أو الطعن فيها .وهو أيضًا يحقق الراحة النفسية؛ فعندما يتيقن العقل البشري المحدود أن الأوامر النبوية صادرة عن العليم الحكيم سبحانه، يرتاح من عناء الحيرة و الشك، ويعلم أن هذه السنن معصومة من الخطأ.

.٥حجم الاستجابة والتفاعل العملي مع الأوامر والنواهي:
يجب أن يكون حجم الاستجابة مطلقاً، وفورياً، وقائماً على التسليم التام، دون تلكؤ أو تخيير .ومعيار الاستجابة حدده القرآن في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾. .والتفاعل العملي يقتضي ألا يجعل المؤمن أوامر النبي صلى الله عليه وسلم محل نقاش للتأكد من موافقتها لمزاجه أو لثقافة العصر، بل تنفذ الأوامر حبًا وتعظيمًا، وتجتنب النواهي حذرًا وورعًا.

.٦الرسائل النفسية، العقلية، والتربوية) الدروس العملية(:

· أ .الرسائل العقلية والفكرية:
· استعلاء المنهج الرباني: الفكر الإنساني متقلب يعتريه النقص، بينما الوحي ثابت ومقدس .الآية ترشد العقل البشري ليعرف حجمه، فلا يطغى على نصوص الوحي.
· التبعية للحق لا للأشخاص: النبي صلى الله عليه وسلم يتبع ما يوحى إليه، وهذا يربي العقل المسلم على تتبع الدليل والحق أينما كان.
· ب .الرسائل النفسية والتربوية:
· غرس محبة الرسول وتوقيره: عندما يدرك المسلم حجم الصلة بين النبي والسماء، يمتلئ قلبه هيبة ومحبة وتوقيرًا لهذا الصاحب المصطفى.
· التربية على الانضباط والمسؤولية: الآية تعلمنا الأمانة في النقل والتبليغ؛ فالرسول يبلغ ما أنزل إليه بالدقة، وكذلك يجب على المؤمن أن يتحرى الصدق المطلق في نقل العلم والدين.
· ج .الدروس العملية للتطبيق اليومي:
.1 تقديم النص على الهوى والعقل القاصر: عند تعارض رأي شخصي مع حديث صحيح، يُقدم الحديث فورًا وتُتهم النفس بقصور الفهم.
.2 إحياء سنته صلى الله عليه وسلم في البيت والمجتمع: كالتزام آداب الطعام، والشراب، والمعاملة، والأذكار الراتبة، بصفتها وحيًا وهديًا ربانيًا مباركًا.
.3 الدفاع العلمي عن السنة: المساهمة في تبيان وجه الإعجاز في الأحاديث النبوية، وردّ الشبهات المثارة حولها بمنهج علمي رصين.
.4 التثبت قبل النشر: تطبيق درس "أمانة التبليغ" بعدم نشر أي حديث أو معلومة دينية عبر وسائل التواصل الاجتماعي إلا بعد التأكد من صحتها وثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

بعد هذا التحليل التدبري العميق، حان وقت جني الثمار، واستخلاص الدروس والتوجيهات التي تريد هذه الآيات أن تزرعها في حياتنا.

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟) المنظومة المعرفية للمطلع(
نفهم الآيات من خلال "المقابلة الحكيمة" التي عقدها الله سبحانه وتعالى بين المظهر الكوني والمقسَم عليه:

.1فهم ميكانيكية القسم ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾: نفهمها بأن الله يقسم بظاهرة أفول النجوم وغيابها، ليلفت عقولنا إلى أن كل جرم مستعل ومتحرك في الكون يخضع لنظام إلهي صارم، وله وقت ينتهي فيه.
.2فهم التزكية الثلاثية للرسول صلى الله عليه وسلم: نفهم الآيات التالية كشهادة براءة وتزكية مطلقة في ثلاثة مستويات بشرية: تزكية الفكر والعقل) ما ضل(، تزكية السلوك والقصد) وما غوى(، وتزكية النطق واللسان) وما ينطق عن الهوى.(
.3فهم حقيقة المصدر ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾: نفهمها بأسلوب الحصر القطعي؛ أي أن كل ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الدين والتشريع هو حقيقة سماوية محضة.

ثانيًا: ما هي دلالات الآية؟) الأبعاد والإشارات الدقيقة(
تحمل الآيات دلالات بلاغية وعقدية ونفسية بالغة الأهمية، منها: دلالة التناسب بين النجم والوحي، ف النجم يهتدى به في ظلمات الأرض، والوحي يهتدى به في ظلمات الجهل .ودلالة لفظ) صاحبكم (التي تعتمد على الاستدلال بالتاريخ والخبرة السابقة .ودلالة حرف الجر) عن (في قوله) عن الهوى (التي تفيد أن الهوى ليس هو المنطلق أو المبدأ الذي يخرج منه كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟
تصدت هذه الآيات لمعالجة أربع قضايا كبرى:

.1قضية "مصدرية التشريع وعصمة السنة النبوية": عالجت شبهات المشككين في السنة، وجعلتها أصلا ً ثابتًا ملزمًا بجانب القرآن.
.2قضية "المنهج المعرفي: اتباع الدليل ضد اتباع المزاج": هاجمت المنهج الجاهلي القائم على التفكير

بالمزاج والهوى، ووضعت بدلا ً منه التفكير القائم على العلم واليقين والوحي.
.3قضية "حتمية الفناء والتحرر من الماديات": من خلال القسم بالنجم إذا هوى، تعالج الآيات مرض التعلق بالمظاهر المادية الفانية، وترسخ في العقل قضية ترتيب الأولويات.
.4قضية "الحصانة النفسية للمصلحين ضد حملات التشويه": عانى النبي صلى الله عليه وسلم من حم لات التشويه، فجاءت الآيات لتعالج هذه القضية ببيان أن مقياس النزاهة يكمن في تزكية الخالق لا في ذم الخلق.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟) المطالب الإيمانية(
يريد الله منا بناء جدار عقدي ونفسي صلب يرتكز على أربعة أركان:

.1الاستسلام المطلق واليقين بالوحي: أن نقطع من قلوبنا كل شك أو ريب تجاه ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وندرك أن الإسلام ليس نتاج بيئة تاريخية، بل هو وحي معصوم.
.2تجريد الاتباع وتوقير الجناب النبوي: أن نعظم قدر النبي صلى الله عليه وسلم، ونعترف بمنزلته التي سما بها فوق البشر، فلا نقدم بين يديه رأيًا ولا فكرًا.
.3تطهير العقول من الخرافة و"المزاجية الجاهلية": ألا نكون كأهل الجاهلية الذين يربطون مصائرهم ب النجوم، أو يتحدثون بأهوائهم، بل نكون بعقول علمية محتكمة للدليل.
.4وعي سنة الفناء والزوال: أن يذكرنا الله بضعف المخلوقات مهما بلغت عظمتها، فلا يتعلق القلب إلا بالحي الذي لا يموت.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية والمهنية؟) البرنامج التطبيقي(
تترجم هذه الآيات إيماننا إلى سلوك حركي دقيق عبر خمس دعوات عملية:

.1صناعة "الماركة الأخلاقية" والمصداقية) دعوة من: صاحبكم(: ابن لنفسك تاريخاً من الصدق والأمانة في محيطك، حتى إذا تحدثت وثق الناس بك فورًا.
.2حوكمة القرارات وتجفيف منابع "الهوى والمزاج") دعوة من: وما ينطق عن الهوى(: قبل اتخاذ أي قرار، جرد نفسك من العاطفة المحضة، والتشفي، والمصلحة الشخصية، وضع أمام عينيك ميزان العدل.
.3الثبات الأخلاقي أمام المغريات والضغوط) دعوة من: ما ضل وما غوى(: في بيئة العمل، ستعرض عليك مواقف تطلب التنازل عن المبادئ .تفرض عليك الآية أن تكون صاحب مبدأ مستقيم، تقاوم الضغوط بصلابة.
.4ضبط اللسان وتحري الدقة) دعوة من: إن هو إلا وحي يوحى(: في عصر الشائعات، اضبط لسانك وبنانك؛ فلا تنقل معلومة، ولا تنشر حديثًا، ولا تشارك خبرًا إلا بعد التثبت والتوثيق التام.
.5ترتيب الأولويات وإدارة الوقت بذكاء) دعوة من: والنجم إذا هوى(: تذكيرك بأن النجوم العظيمة "تهوي" وتزول، يدعوك إلى عدم إهدار عمرك في صغائر الأمور، والتركيز على المشاريع التي يبقى أثرها بعد رحيلك.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

إليك بلورة شاملة ومنهجية لهذه الدروس والعبر، مع آليات إسقاطها عملياً في الحياة:

.١عقيدة الفناء والزوال) من آية: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾(:

· الدرس والعبرة: كل عظيم في هذه الدنيا مآله الحتمي إلى السقوط والأفول والزوال .الدنيا متغيرة وليست دار قرار، والتعلق بالفاني خسارة.
· كيفية التطبيق: عند خسارة وظيفة، أو مال، أو تراجع منصب، تذكر أن هذا ناموس الدنيا، فلا تبتئس .وإذا رزقك الله سلطة أو علمًا، فلا تتكبر، فالمنصب مستعار وسيزول، ولن يبقى لك إلا أثرك الطيب.

.٢صناعة رأس المال الأخلاقي) من آية: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾(:

· الدرس والعبرة: إن أعظم حجة يملكها الإنسان لإقناع الآخرين هي "سيرته الذاتية وتاريخه الأخلا قي".

· كيفية التطبيق: احرص على أن تعرف في بيئة عملك بالصادق الأمين .التزم بمواعيدك بدقة، وسلم أعمالك بأمانة .حسن السمعة يفتح لك الأبواب المغلقة.

.٣الثبات الأخلاقي وحتمية الاستقامة) من آية: ﴿وَمَا غَوَى﴾(:

· الدرس والعبرة: النزاهة تعني العصمة من الانحراف الناتج عن الجهل) الضلال (أو الانحراف الناتج عن المصلحة والهوى) الغواية.(
· كيفية التطبيق: في مسيرتك المهنية، سترفض أي فساد مقنع، وستقول "لا" حاسمة للرشاوى أو المحاباة .وستحارب الضلال بالتعلم المستمر وتطوير مهاراتك.

.٤حوكمة اللسان وتجفيف "المزاجية") من آية: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾(:

· الدرس والعبرة: النطق بالمزاج والهوى، وإطلاق الأحكام بناءً على الانفعال العاطفي، هو مسلك جاهلي بامتياز.
· كيفية التطبيق: عندما تقيّم موظفاً أو تفض نزاعاً، اعزل مشاعرك الشخصية تماماً، واحتكم للحقائق و العدل .ودرب نفسك على "الصمت المؤقت" عند الاستفزاز.

.٥أمانة النقل والتوثيق) من آية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(:

· الدرس والعبرة: التشريع الإسلامي مبني على التوثيق الإلهي المعصوم .والأمانة تقتضي الدقة المطلقة في نقل العلم والرسائل.
· كيفية التطبيق: امتنع تماماً عن نشر أي معلومة أو حديث دون تثبت .وإذا كنت باحثاً أو محاسباً، فانقل الأرقام والحقائق في تقاريرك بدقة متناهية، دون تزوير أو تلوين للحقائق.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

إن هذه الآيات ليست مجرد نصوص تقرأ، بل هي "نظارة معرفية وفلسفية كاملة" تصحح طريقة نظر الإنسان إلى الوجود، وتحدث في عقلك ونفسك خمسة تحولات جذرية:

.1من التعلق بـ "الفاني" إلى الارتباط بـ "الباقي": تدرك أن كل جبار أو متكبر مصيره الزوال، فيهون في قلبك فقدان أي مكسب مادي، ويتعلق قلبك بالحي الباقي الذي لا يأفل ولا يهوي.
.2من الحيرة والشك إلى اليقين المطلق) امتلاك بوصلة(: تمتلك "مرجعية عليا" صلبة وواضحة للحلال والحرام، والحق والباطل، مما يمنحك ثباتاً فكرياً فلا تتأرجح مع الموضات الفكرية أو الأهواء المتقلبة.
.3من التخبط وراء "المزاج والنفس" إلى الانضباط والموضوعية: تتغير نظرتك لقراراتك الشخصية و المهنية، فتصبح أكثر حزمًا مع نفسك، وتسأل قبل كل حكم: "هل هذا حق وعدل؟ أم هو انتصار لنفسي ومزاجي؟".
.4من العيش على الهامش إلى "صناعة الأثر والمصداقية": تدرك أن مصداقيتك في عملك وفي أسرتك هي أثمن ما تملك، وتصبح حريصًا على أن تكون كالنجم؛ مكاناً عالياً بأخلاقه، ومصدراً لإضاءة ظلمات الحيارى.
.5من الخوف من تشويه الخلق إلى الاكتفاء بتزكية الخالق: تتحرر تماماً من "عبودية نظرة الناس وثنائهم أو ذمهم" .طالما أنك تسير على منهج الحق، فلا يضرك من خذلك أو هاجمك، فطاقتك النفسية تصبح موفرة للإنتاج والبناء.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

هذه الآيات لا تمنحك إيمانًا فقط، بل تزودك بمجموعة من المهارات الحياتية والمعرفية الأساسية لنجاحك في الدنيا والآخرة:

· مهارة التفكير الموضوعي: القدرة على تحليل المواقف واتخاذ القرارات بناءً على الحقائق والدلائل، بعيدًا عن العواطف والمصالح الشخصية.
· مهارة إدارة الوقت بفاعلية: وعيك بأن الزمن كالنجم يهوي سيجعلك تبخل بأنفاسك على ما لا ينفع، وتركز على الأولويات العظمى في حياتك.

· مهارة بناء الثقة والتأثير: بتطبيقك العملي لسر "الصحبة"، ستتحول إلى شخصية مؤثرة، يُحتفى بوجودها في كل مكان، ويُعمل بنصحها.
· مهارة الصلابة النفسية والثبات: ستبني لنفسك جدارًا نفسيًا منيعًا ضد الإحباط والتشويه، تستمد قوته من السماء، فلا تنكسر أمام عواصف الأرض.
· مهارة حوكمة الذات: وهي أعلى درجات الانضباط، حيث تراقب نطقك وسلوكك وقراراتك، وتزنها بميزان الحق والعدل قبل الإقدام عليها.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية من الآيات؟

· الأبعاد العقدية) التوحيد والاتصال بالسماء(: ترسخ الآيات قضية "الوحي" كحقيقة موضوعية مطلقة، وأن هناك اتصالا ً دائماً بين الخالق والمخلوق عبر الوحي المعصوم .كما تؤصل للتوحيد من خلال بيان أن النجوم مخلوقات مأمورة مآلها الأفول، فلا تستحق العبادة.
· الأبعاد الدلالية) بلاغة المزاوجة والتقابل(: الدلالة اللفظية لـ "صاحبكم" تقابلها دلالة "عن الهوى"؛ حيث زاوج القرآن بين مظهر "البشرية القريبة المعاشة") الصحبة(، وبين "المكانة الروحية المعصومة")نفي الهوى.(
· الأبعاد الفكرية) تحطيم السفسطة والنسبية(: في عالم يعاني من "السيولة الفكرية"، تأتي هذه الآيات لتبعث الفكر الإسلامي عن التخبط .فالحق قيمة ثابتة مصدرها الوحي، والآية تحارب "الفكر المزاجي و الهوى المعرفي".
· الأبعاد النفسية) السكينة والطمأنينة المطلقة(: تمنح الآيات المؤمن "أمناً نفسياً" هائلا ً؛ فعندما يوقن أن دينه وتشريعه معصوم ومسدد، تذوب في نفسه كل حيرة أو قلق وجودي، ويمتلئ قلبه بالرضا و التسليم.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية من الآيات؟

· مقصد "حفظ المرجعية العليا للأمة": الآفاق البعيدة لـ "إن هو إلا وحي يوحى" هي صيانة الأمة من التشتت والتمزق عند النوازل والأزمات.
· مقصد "حوكمة العقل البشري": تهدف الآيات إلى إخراج الإنسان من "ظلمات الظن والخرص و التنجيم" إلى "أنوار العلم والتثبت واليقين"، وبناء مجتمع قائم على الدليل.
· مقصد "الاستدامة الأخلاقية": من آفاق السورة صياغة مفهوم "الاستقامة المستدامة"؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن صادقًا بشكل مؤقت، بل كانت حياته كلها مستقيمة.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· فقه النزاهة وحياد المسؤولية) من: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾(: عند تقييم الموظفين، أو توزيع المهام، يجب أن أخلع عباءة عواطفي ومزاجي الشخصي، وأزن الأمور بميزان الإنتاجية والعدل.
· صناعة "الموثوقية والوفاء") من: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾(: أجعل تاريخي اليومي في العمل والتعامل المالي شاهداً لي لا عليّ .الالتزام الصارم بالكلمة، وتحري الأمانة.
· الجاهزية للتلاشي وإدارة الأولويات) من: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾(: أخطط لحياتي بوعي الفناء؛ فلا أضيع وقتي في معارك جانبية، وأركز على إرساء "مشاريع باقية وأثر مستدام".
· أمانة الكلمة وتوثيق المعرفة) من: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(: ألا أنطق ولا أنشر معلومة، أو فتوى، أو خبراً مهنياً، إلا بعد إخضاعه لفلترة "التوثيق والتثبت الحرفي".

الأمر الثاني: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

إن استخلاص المفاهيم الحياتية والعملية من هذه الآيات العظيمة وتحويلها إلى ركائز سلوكية، هو جوهر المنهج القرآني في بناء الإنسان وإعمار الأرض .هذه الآيات الأربع تلخص منظومة قيمية متكاملة يمكن إسقاطها على واقعنا المهني، والأسري، والاجتماعي عبر خمسة مفاهيم أساسية:

.1مفهوم "المرجعية الثابتة") مستوحى من: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(: في عالم يموج بالفلسفات المتقلبة، يحتاج كل مهني إلى "دستور عمل" واضح ومستقر .اجعل قيم الوحي) العدل، الأمانة، تحري الحلال (هي المرجعية العليا والنهائية لكل قراراتك.
.2مفهوم "الموضوعية وتجرد القرار") مستوحى من: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾(: يؤسس لمفهوم "الحوكمة الذاتية والموضوعية" .إذا كنت مديراً، أو أباً، فعندما تصدر عقوبة، اخلع عباءة "المزاج والميل النفسي"، واجعل الدليل ومصلحة العمل هو المعيار الوحيد.
.3مفهوم "التاريخ الأخلاقي وصناعة الثقة") مستوحى من: ﴿صَاحِبُكُمْ﴾(: إن قبول الناس لأفكارك، أو ثقة المستثمرين في مشروعك، لا يأتي من منصبك، بل من "سيرتك الذاتية الحية" التي تلمسها الناس منك يومياً .ابنِ لنفسك تاريخاً نقياً من الوفاء بالوعود.
.4مفهوم "النزاهة الثابتة والاستقامة المستدامة") مستوحى من: ﴿مَا ضَلَّ ...وَمَا غَوَى﴾(: حارب "الضلال المهني" بالتعلم المستمر، واستشر أهل الخبرة حتى لا تخطئ بجهل .وحارب "الغواية المهنية" بصلابة المبدأ، وارفض أي مكسب سريع مبني على باطل.
.5مفهوم "وعي الفناء وترتيب الأولويات") مستوحى من: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾(: هذا المفهوم يغير بوصلة اهتمامك في الحياة؛ فالمناصب تزول، والشركات تتغير، والجاه المادي يفنى .أعد هندسة وقتك وأولوياتك بوعي ذكي، وركز جهدك على صناعة "الأثر الباقي والنفع المتعدي".

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

إن هذا المحور الأول من سورة النجم يُعد منبتاً خصباً لـ "علم النفس القرآني" و"هندسة الفكر البشري"؛ فالآيات لا تقرر حقائق عقدية فحسب، بل تعالج تركيبة الإنسان النفسية، وتضبط بوصلته العقلية، وتقدم دليلاً تربوياً عملياً لبناء الشخصية السوية.

.١المفاهيم النفسية) الأمن والاتزان الداخلي(:

· مفهوم "الأمن النفسي عبر المرجعية المعصومة": يعاني إنسان العصر من "القلق الوجودي" والضياع النفسي نتيجة غياب اليقين .عندما تقرر الآية ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، فإنها تمنح نفس المؤمن "مرساة أمان"؛ فالإنسان يدرك أنه مرتبط بالسماء، وأن هناك إلهاً حكيماً يدبر أمره ويرشده، مما يبدد حيرته النفسية ويمنحه سكينة واطمئناناً داخلياً.
· مفهوم "التحرر من عبودية نظرة الآخرين) الحصانة النفسية(": واجه النبي صلى الله عليه وسلم حم لات تشويه شرسة، فجاء الدفاع والتزكية مباشرة من الخالق سبحانه .والأثر النفسي لذلك هو أن يتعلم المؤمن مفهوم "الاكتفاء بتزكية الله"؛ فإذا كنت تسير على الحق وتتحرى الصدق، فلن تهتز ثقتك بنفسك إذا انتقدك الحاقدون، وتتحرر تماماً من أسر طلب رضا الناس وثنائهم.

.٢المفاهيم الفكرية) الحوكمة العقلية ومحاربة الانحراف(:

· مفهوم "الموضوعية وتجريد الفكر عن الهوى": تنعى الآية على الجاهلية منهجها القائم على التفكير ب المزاج ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ .في الفكر الحديث، يُسمى هذا "التحيز المعرفي"، وهو أن يرى الإنسان الحقائق وفقاً لما تهواه نفسه .والأثر الفكري هنا هو أن يؤصل لمفهوم "التجرد العلمي"؛ فالعقل المسلم عقل موضوعي محكوم بالدليل والبرهان والحق المجرد.
· مفهوم "نسبية المخلوق ومطلقية الخالق": القسم بـ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ يرسخ في الفكر البشري "مفهوم الفناء والتحول" .النجم الساطع الضخم يتغير ويسقط .هذا المفهوم يحمي العقل من "تأليه الماديات" أو تقديس الأشخاص والنظم الأرضية الفانية، ويرسخ حقيقة أن الثبات المطلق والكمال المطلق هو لله وحده.

.٣المفاهيم التربوية) بناء السلوك وصناعة الأثر(:

· مفهوم "التربية بالقدوة والسيرة الحية") الرصيد الأخلاقي(: أحالت الآية قريشاً إلى تاريخ النبي المعاش بينهم بلفظ ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ .في التربية الحديثة، "القدوة الصامتة" أو التربية بالسلوك أبلغ بآلاف المرات من المواعظ الشفهية .والأثر التربوي هو أن كلامك لن يكون له وزن في أسرتك أو مجتمعك ما لم يكن مدعوماً برصيد أخلاقي سابق من الأمانة والصدق.
· مفهوم "الانضباط الذاتي وأمانة التبليغ": وصفُ الوحي بـ ﴿يُوحَى﴾ يعكس منتهى الدقة والأمانة دون زيادة أو نقصان .يربي القرآن المسلم على "الأمانة الفكرية والمهنية المطلقة"؛ فلا ينقل إشاعة، ولا يشهد بزور، ولا يزور تقريراً، بل يتحرى الدقة المتناهية في نطق وكتابة كل معلومة.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية ودورها مع بقية المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة وصناعة التطور في الحياة والتقدم الحضاري

إن مفاهيم البناء والتنمية في الرؤية الإسلامية لا تقتصر على الجانب المادي الحضاري فحسب، بل تبدأ أولا ً ب- "بناء الإنسان" باعتباره خليفة الله في أرضه، ثم تنطلق منه ل- "عمارة الأرض وتطوير الحياة" .هذا التلازم الدقيق بين بناء الشخصية وتنمية الواقع هو الذي يصنع التوازن النفسي والفكري، ويقود إلى التطور الشامل.

أولًا: مفاهيم البناء والتنمية في المنظور الإسلامي:
ينقسم البناء والتنمية في المنظور الإسلامي إلى مسارين متكاملين: البناء الداخلي) الذاتي (وهو تزكية النفس، وتقويم الفكر، وضبط السلوك وفق مرجعية الوحي) وهو ما تمثله آيات مطلع سورة النجم في تزكية عقل النبي ونطقه وسيرته .(والتنمية الخارجية) الحضارية (وهي عمارة الأرض، واستثمار الطاقات والسنن الكونية، وتطوير العلوم والمهن لتسهيل حياة البشر وتحقيق النفع العام، امتثالا ً لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة:
تسهم مفاهيم البناء والتنمية في صياغة شخصية متوازنة، تجمع بين متطلبات الروح والجسد، والعقل والعاطفة، وذلك من خلال الأبعاد التالية:

.1التوازن بين الروح والمادة) الاتزان النفسي(: التنمية الإسلامية تربي المسلم على أن سعيه المهني و الدنيوي هو "عبادة" إذا صحت فيه النية؛ فالعمل لكسب الرزق وعمارة الأرض يتوازن مع الصلاة و التسبيح.
.2حوكمة الفكر والتحرر من "الهوى والمزاج") الاتزان العقلي(: التنمية الفكرية في الإسلام تقوم على تحري الحق والموضوعية والعدل، وهذا يصنع عقولا ً متزنة تعتمد على الدليل والعلم والتثبت.
.3صناعة الموثوقية والرصيد الأخلاقي) الاتزان الاجتماعي(: مفهوم البناء الاجتماعي يفرض على المسلم أن يصنع لنفسه "تاريخاً أخلاقياً" ناصعاً في محيطه، مما يجعله شخصية قيادية ومؤثرة.

ثالثًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور والنهضة في الحياة:
لا يمكن للواقع أن يتطور بصورة إيجابية ومستدامة إلا إذا تحركت الشخصية المتزنة بمفاهيم التنمية الشاملة، ويظهر هذا الأثر في مجالات عدة:

.1الانتقال من الاستهلاك إلى الإنتاج وصناعة الأثر: تأمل مشهد الفناء الكوني في قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ يولد لدى المسلم "وعياً حاداً بقيمة الوقت"، فيدفعه لتطوير المهن، وابتكار الحلول، وصناعة "الأ ثر المستدام والنفع المتعدي".
.2محاربة الفساد والنزاهة المهنية: مفهوم التنمية القائم على انتفاء الجهل والهوى ﴿مَا ضَلَّ ...وَمَا غَوَى﴾ يُثمر حوكمة صارمة للعمل .فالمسلم يرفض الفساد المالي والإداري، ويتحرى الحلال والحرام، مما يوفر بيئة استثمارية واجتماعية صحية تقود للتطور السريع والآمن.
.3إتقان العمل والتطوير المستمر) الجودة الشاملة(: التنمية في الإسلام مرتبطة بمفهوم "الإحسان"؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:» إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا ً أن يتقنه .«فالبناء المستمر للشخصية يفرض عليها التعلم الدائم، وتطوير المهارات، واستخدام أحدث التقنيات لعمارة الأرض بـ الحق.

رابعًا: خلاصة المنهج العملي للتطبيق:
لكي تتحول هذه المفاهيم إلى واقع معاش في حياتنا العملية والمهنية، يجب تبني أربعة بروتوكولات سلوكية يومية:

.1التطوير الذاتي المستمر: خصص وقتاً يومياً لرفع كفاءتك العلمية والمهنية والشرعية، محاربةً للجهل والضلال.
.2التجرد والموضوعية: اعزل مزاجك وعواطفك الشخصية عند اتخاذ القرارات الإدارية، أو تقييم الموظفين، أو فض النزاعات الأسرية، مستلهماً التنزيه عن الهوى.
.3الاستثمار في الباقيات: ركز مشاريعك وأهدافك الكبرى حول الأفكار والأعمال التي تقدم نفعاً حقيقياً ومستداماً للمجتمع، وتترك أثراً يمتد لما بعد غيابك وأفولك.
.4تحري النزاهة المطلقة: اجعل قيم الأمانة والموثوقية هي عنوان هويتك المهنية؛ فالاستقامة الأخلا قية هي رأس مالك الحقيقي والضمانة الوحيدة لبركة الإنتاج وتطور الحياة.

اخرج الآن من هذه الرحلة الإيمانية العظيمة، وقد نزلت هذه الآيات على قلبك، لا ككلمات تُتلى، بل كحياة تُعاش، وكمنهج يُطبق .ارفع رأسك إلى السماء، وتذكر أن هناك نجمًا قد هوى، وهناك نجمًا سيسطع .كن أنت النجم الساطع في محيطك، قبسًا من نور النبوة، ودليلًا على طريق الجنة، ونفعًا متعديًا للبشرية جمعاء.

المبحث الثاني

يا من ذاق حلاوة اليقين في مستهل السورة، وملأت روحه أنوار العصمة والنزاهة... تعالَ معي الآن لنرتقي في مدارج الكمال، ونخترق حجب الغيب، لنقف على أعتاب حدث كوني لم تشهد الأرض مثله، حدث يهتز له الوجدان، وتطيش له العقول، وتخبت له القلوب.. نحن الآن على موعد مع الآيات (5-10) من سورة النجم، حيث يُكشف الستار عن مصدر الوحي، وعن رحلة التلقي العظمى، وكيف اتصلت السماء بالأرض اتصالًا مباشرًا، ليمتلئ كيانك هيبةً وجلالا ً، وتوقن أن هذا الدين ليس فلسفة بشر، و لا تأملات عقل، بل هو خبر السماء المحض.

أولًا: مقدمة تمهيدية – في رحاب العرش والوحي

بعد أن أثبت الله جل جلاله في الآيات الأربع الأولى أن كلام نبيه صلى الله عليه وسلم ليس صادرًا عن ضلال عقل، ولا عن غواية نفس، ولا عن هوى مزاج، بل هو وحي يوحى... يأتي السؤال المنطقي الذي يفرض نفسه على كل عقل: "من الذي علمه هذا الوحي؟ وكيف تمت عملية التلقي؟ وما هو مصدر هذا النور الذي يغمر الكون؟"

تأتي هذه الآيات الخمس (5-10) لتجيب عن هذا السؤال بأبلغ بيان وأعظم تصوير. إنها تنقلنا من مرحلة "نفي التهمة" إلى مرحلة "إثبات المصدر الإلهي المباشر". إنها تنتقل بنا من الحديث عن سلامة القناة (الرسول) إلى الحديث عن قوة المصدر (المرسِل) وعظمة الوسيط (المَلَك). إنها آيات تجعلك تشعر وكأنك واقف على مشارف السماء، ترى ما لا تراه العيون، وتسمع ما لا تسمعه الآذان، وتعي ما لا تدركه العقول لولا نور الوحي.

إن الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها هذه الآيات هي: التعريف بمصدر الوحي المباشر (جبريل عليه السلام)، وصف قوته وصفاته التي تؤهله لحمل الأمانة، ووصف مشهد التلقي العلوي المهيب، وتأكيد حقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته الحقيقية في الأفق الأعلى، وأنه بلغ الغاية في القرب والتلقي.

أما مقاصد الآيات وأهدافها فهي: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن ما جاءهم به هو الحق اليقين من عند الله مباشرة، تعظيم شأن الوحي وبيان جلالة مصدره، إقامة الحجة على المعاندين بأن هذا القرآن ليس من عند بشر ولا من تلقاء نفسه، بل هو تنزيل من حكيم حميد، وصل إلى النبي عبر ملك كريم قوي أمين. إنها تريد أن تنقلنا من الإيمان النظري بالوحي إلى الاستشعار القلبي العميق لعظمة المصدر، فنسلم تسليمًا مطلقًا، ونطيع طاعة واثقة، ونحب هذا الدين الذي ارتبط بالسماء هذا الارتباط الوثيق.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

دعنا الآن نبحر في قلب هذه الآيات الجليلة، محورًا محورًا، ونحن نربط مشاهد الغيب التي تخبرنا بها، بالحقائق الإيمانية التي يجب أن تسري في عروقنا، لأن هذا هو منهج القرآن: يخبرنا عن الغيب ليزداد يقيننا، ويثبت فؤادنا، ويسمو إيماننا.

المحور الأول: المعلم الإلهي ومن هو؟ (الآيات 5-6)

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6)﴾

قف معي الآن، واجمع شتات قلبك، وتأمل هذا الخبر العظيم. بعد أن قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾،

جاء البيان عمن يوحي: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾. إنه ليس تعليمًا بشريًا، ولا تلقينًا أرضيًا، بل هو تعليم من كائن مهيب، وصفه الله بأنه "شديد القوى".

١.معنى الآيتين والموصوف بهما:

· المعنى والمُعلِم: الضمير في (عَلَّمَهُ) يعود على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، و(شديد القوى) هو جبريل عليه السلام، أمين الوحي، وسفير السماء إلى الأرض. إن الله ينسب تعليم نبيه إلى جبريل، مع أن المعلم الأول هو الله جل جلاله، ولكن جبريل هو الواسطة التي اصطفاها الله لحمل هذا النور. فـ التعليم هنا تعليم مباشر، تلقين وتفهيم، وليس مجرد إلقاء. وهذا التعليم يشمل القرآن الكريم، معانيه وألفاظه، ويشمل السنة النبوية الشارحة.
· دلالة وصف ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾: تأمل هذه الصفة! إنها تعني أن جبريل عليه السلام يتمتع بقوة هائلة لا توصف، قوة في خلقه، وقوة في أداء مهمته، وقوة في تنفيذ أوامر ربه. لماذا هذا التأكيد على قوته؟ لأن المهمة الموكلة إليه هي أعظم مهمة في الوجود: نقل كلام الله إلى خاتم أنبيائه. وهذه المهمة تحتاج إلى قوة تحمي الوحي من الشياطين، وقوة تثبت النبي عند التلقي، وقوة تحمل الأمانة العظيمة. إنها رسالة طمأنة لنا: ثقوا أن الرسالة وصلتكم محمية بأقوى الأقوياء بعد الله.
· دلالة وصف ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: وهذا وصف آخر يزيد الصورة جلالا ً. (المِرّة) في اللغة: شدة الخلق، ومتانة التركيب، وكمال الرجولة والعقل. وقيل: (ذو مرة) أي ذو منظر حسن، وجمال باهر، وهيئة قوية متينة. فهو ليس قويًا فحسب، بل هو جميل المنظر، كامل الصورة، فريد في خلقه. وهذا يعلمنا أن القوة الحقيقية تقترن بالجمال والكمال، فهو خلق عظيم يحمل ايات الله (القرآن). إنه جمع الله له بين قوة البدن وجمال الصورة وكمال العقل، ليكون مؤهلا ً تمامًا لحمل أشرف رسالة.
· دلالة ﴿فَاسْتَوَى﴾: هذا الفعل يحمل أبعادًا رهيبة. (استوى) بمعنى: استقام، واعتدل، وظهر، وارتفع. اختلف المفسرون في تأويله على قولين متكاملين:
· القول الأول: أنه استوى في الأفق الأعلى، أي ظهر جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، في أفق السماء، بعد أن كان يأتي النبي في صورة بشر. وهذا هو المشهد المهيب الذي سنراه في الآية التالية.
· القول الثاني: أنه استوى بمعنى استقام واعتدل وأظهر قوته واستعد للقيام بالمهمة على أكمل وجه. وفي كلا المعنيين، صورة من العظمة والهيبة تملأ قلبك خشية وإجلالا ً لهذا المَلَك العظيم.

٢.لماذا كل هذا الإسهاب في وصف جبريل عليه السلام؟
إنه إعداد نفسي للحدث الأكبر. إن القرآن يهيئ عقولنا وقلوبنا لتلقي خبر اللقاء العلوي، فيصف لنا الوسيط بأبلغ الصفات وأقواها، لنعلم أن ما سيأتي بعده من خبر (دنو، وتدلي، ووحي) هو أمر فوق طاقة البشر، لا يحتمله إلا من أعطاه الله تلك القوة. إنه يريد أن يقول لك: "إن هذا الوحي الذي بين يديك، يا محمد ويا أتباع محمد، لم يأتِكم على يد مخلوق ضعيف، بل على يد ملك كريم، قوي، أمين، جميل، مطاع، عظيم الجاه عند ربه".

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة من هاتين الآيتين:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· قانون التأهيل للمهمات العظمى: الآية ترسخ في العقل أن الله يختار للمهمات العظمى أقدر خلقه وأعلاهم صفات. جبريل اختير للوحي لقوته وأمانته. وهذا يعلمنا أن نؤهل أنفسنا بالمهارات والقوة والأخلاق لنكون أهلا ً لحمل مسؤولياتنا.
· التكامل بين القوة والجمال والحكمة: وصف "ذو مرة" يعني الجمع بين القوة البدنية والعقلية و الجمالية. هذا يرسخ فكرة أن الكمال الإنساني المنشود هو الذي يجمع بين هذه الصفات، فلا غنى للقوة عن العقل، ولا غنى للعقل عن القوة، ولا غنى لهما عن جمال الخَلق والخُلق.
· الرسائل النفسية:
· الطمأنينة بمصدر الرسالة: استشعار أن الوحي نقله ملك بهذه القوة يمنح النفس طمأنينة عظيمة وسلامًا داخليًا بأن الرسالة نقية، لم تعبث بها الشياطين، ولم تنقص أو تزد. هذا يبدد القلق الوجودي والشك المصدرى.
· استشعار الهيبة والجلال: التأمل في هذه الصفات يورث القلب هيبة وجلالا ً، ويجعله يعيش في رحاب العظمة الإلهية، فيرتفع عن السفاسف والدنايا.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية القوة والثبات: تربية المؤمن على أن يكون قويًا في الحق، صلبًا في المبدأ، ثابتًا عند الشدائد، لا تزعزعه العواصف.
· تربية الجمال والكمال: تربية المؤمن على الاهتمام بمظهره وجوهره، فيكون جميلا ً في هيئته، كاملا ً في عقله، متينًا في خلقه.

المحور الثاني: مشهد التلقي العلوي المهيب (الآيات 7-10)

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (9) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10)﴾

ها نحن ندخل إلى صلب الحدث، إلى الذروة التي تهتز لها القلوب. إنها لحظة الوصال، لحظة الاتصال المباشر بين السماء والأرض، بين المَلَك والرسول. دعني أرسم لك المشهد ببلاغة الآيات نفسها.

١.أين وقع الحدث؟ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾:

· المعنى: (وهو) أي جبريل عليه السلام، ظهر واستوى في (الأفق الأعلى)، وهو أفق السماء، حيث تشرق الشمس. قيل: هو أفق المشرق، وقيل: هو أعلى آفاق السماء. والمقصود أنه ظهر في مكان عال، رفيع، مشرق، يليق بعظمة الحدث. إنها ليست بقعة من الأرض، إنها فسيح السماء، حيث لا ضجيج الأ رض، ولا حجب المادة، إنه الفضاء المقدس الذي اختاره الله لهذا اللقاء العظيم. هذا يملأ نفسك شعورًا بعلو هذا الدين، وسمو مصدره، ونقاء منبعه. إنه يريد أن يقول لك: إن رسالتك ليست أرضية، بل سماوية، فلتكن همتك سماوية.

٢.حدث الاقتراب المذهل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾:

· المعنى: (ثم دنا) أي قرب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم. (فتدلى) أي زاد في القرب، وانخفض، وتعلق بالنبي. إنها حركة اقتراب متدرجة، متأنية، مليئة بالإجلال. تخيل المشهد! جبريل، هذا الكائن النوراني العظيم، ذو القوة الهائلة، والمنظر الباهر، يبدأ في الاقتراب من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ينزل من عليائه، يتدلى من سمائه، حتى يصبح على مسافة قريبة جدًا. إنه مشهد يصور لك عظمة النبي عند ربه، فجبريل يتدلى إليه، يقترب منه، يلتمس الوصال معه. إنه تكريم للنبي أن يتدلى له هذا الملك العظيم.

٣.ذروة القرب: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾:

· المعنى والتفسير: هذه هي الذروة، هذا هو المقدار الذي لا يكاد العقل يتصوره. (قاب قوسين) أي مقدار قوسين عربيين. والعرب تقيس المسافات بالأقواس، والقوس هو ما يرمى به السهم. فتخيل أن المسافة بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم أصبحت بطول قوسين موضوعين أحدهما فوق الآ خر، أو بطول قوس واحد! بل قال: (أو أدنى)، أي بل أقرب من ذلك! إنه قرب لا يوصف، دنو لا يُعبر عنه، تلاصق روحاني ونوراني لم يشهده تاريخ البشرية. اختلف المفسرون: هل هذا القرب بين جبريل ومحمد، أم بين الله وجبريل، أم بين الله ومحمد؟ والأكثر أن السياق في وصف قرب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه قرب الله من نبيه في المعراج تكريمًا له. وفي كل الأحوال، هو قرب ما بعده قرب، ومنزلة ما بعدها منزلة.

٤.الذروة الأعظم: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾:

· المعنى وجلالة التعبير: في هذه اللحظة المهيبة، وفي هذا القرب العظيم، حدث ما هو أعظم: (فأوحى) أي أوحى الله، أو أوحى جبريل بأمر الله (إلى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ما أوحى). انظر إلى التعبير! إنه يبهم ما أوحى، لا يذكره، لا يحدده، ليعظمه ويفخمه. (ما) هنا نكرة تفيد التعظيم، أي أوحى إليه أمرًا عظيمًا، وخطبًا جليلًا، وقرآنًا كريمًا. إن عدم التصريح بما أوحى يترك للقلب أن يستشعر عظمته، وللعقل أن يدرك أنه أمر يفوق الوصف. إنه الأسلوب القرآني الفريد: الإبهام للتعظيم. وكأنه يقول: "أوحى إليه ما لا يخطر ببال، وما لا تستطيع الكلمات أن تفي بحقه". وهذا يعلمنا الأدب مع النصوص، فهناك أمور غيبية لا نحيط بها، ويكفي أن نعلم أنها عظيمة.

٥.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة من هذا المشهد المهيب:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· حقيقة الوحي وموضوعيته: الوحي ليس فكرة ولا خاطرة ولا إلهامًا غامضًا، بل هو لقاء حقيقي، وتلقي مباشر، وتعليم محدد. هذا يحمي العقل من النظريات الفلسفية التي تجعل الوحي تجربة ذاتية

للنبي.
· حتمية التدرج في الوصول إلى الحق: (ثم دنا فتدلى) فيها معنى التدرج، مما يعلمنا أن الوصول إلى الحقائق الكبرى يكون بالتدرج والصبر، وليس بالقفزات.
· الرسائل النفسية:
· الشعور بالكرامة الإنسانية: أن يتدلى ملك عظيم إلى نبي الله، ويقترب منه هذا القرب، يشعر النفس البشرية بقيمتها وكرامتها عند الله إذا اتصلت به.
· السكينة عند استعظام الغيب: (ما أوحى) تبث في النفس السكينة والرضا، فهي تعلم أن هناك أمورًا فوق إدراكها، فتسلم وتطمئن، بدلا ً من القلق والحيرة.
· الدفء الروحي للقرب: مشهد "قاب قوسين أو أدنى" يمنح المؤمن شعورًا بالدفء الروحي، فالله قريب من عباده، والنبي بلغ هذا القرب، والمؤمنون لهم نصيب من هذا القرب بطاعتهم.
· الرسائل التربوية والعملية:
· علو الهمة إلى الأفق الأعلى: تربية المؤمن على أن يرفع همته، ويتطلع إلى المعالي، ولا يرضى بـ الدنايا، فمكان الحدث هو "الأفق الأعلى".
· التربية على العبودية: في أعلى مقام، يصف الله نبيه بأنه "عبده"، لترسيخ أن العبودية لله هي أشرف مقام وأعلى وصف.

المحور الثالث: حقيقة الرؤية ومصدرية الوحي ومركزية العبودية

هذه الآيات، بجلالها وعظمتها، تؤسس لحقائق عقدية كبرى:

.١حقيقة الرؤية والعصمة:
الآيات تدل دلالة واضحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية في الأفق الأعلى، وهذا هو الرأي الراجح. وقد ذهب بعض الصحابة (كابن عباس) إلى أنه رأى ربه بفؤاده أو بعينه، في إشارة إلى قرب خاص ومعراج عظيم. والرؤيا هنا رؤية عين، أو رؤية قلب، أو رؤية فؤاد، وكلها مراتب من الكشف الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم. المهم أن المقسوم عليه في بداية السورة (ما ضل صاحبكم وما غوى) قد تحقق هنا بشكل عملي؛ فالنبي لم يتخيل، ولم يهلوس، ولم يكذب، بل رأى حقيقة، وتلقى حقيقة، وبلغ حقيقة.

.٢مصدرية الوحي الإلهية المباشرة:
هذه الآيات تؤكد أن القرآن ليس من تأليف محمد، ولا من تعليم بشر، ولا من إلهام شيطان، بل هو وحي من الله، تلقاه بواسطة ملك كريم، في لقاء مباشر، وقرب شديد. إنها تحطم كل ادعاءات المستشرقين والمشككين الذين يريدون نسب القرآن إلى مصادر بشرية.

.٣الفتة عظيمة: ﴿عَبْدِهِ﴾:
في أعلى مقامات القرب والتكريم، حين بلغ النبي صلى الله عليه وسلم منزلة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، ماذا سماه الله؟ هل سماه "حبيبه" أو "صفيه" أو "خليله"؟ نعم هو كل ذلك، لكن الوصف الذي اختاره الله في هذا المقام الأسنى هو: ﴿عَبْدِهِ﴾. إنها رسالة مدوية: إن أعظم شرف يمكن أن يناله الإنسان هو أن يكون "عبدًا" لله حقًا. العبودية لله هي بوابة الكرامة، ومفتاح القرب، وسلم المعراج إلى أعلى عليين. إنها تعلمنا ألا نطلب الشرف من الألقاب الزائفة، بل من تحقيق العبودية الخالصة لله.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

والآن، بعد أن عشنا هذه اللحظات المهيبة، حان وقت جني الثمار، واستخلاص الدروس التي تريد هذه الآيات أن تزرعها في حياتنا.

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "التصعيد الإيماني" الذي ينتقل بنا من المعلوم إلى المجهول، ومن صفات الوسيط إلى عظمة المصدر:

.1فهم هوية المعلم: نفهم أن الذي علم النبي هو جبريل، الموصوف بالقوة والمتانة والجمال، لندرك أن الرسالة محمية بمنتهى القدرة.
.2فهم مشهد التلقي: نفهم أن هناك حدثًا كونيًا فريدًا، ظهر فيه جبريل على صورته الحقيقية، ودنا من النبي حتى بلغا قاب قوسين، لنتذوق معنى القرب الإلهي الخاص.
.3فهم سر الإبهام: نفهم أن عدم تفصيل ما أوحى هو لتعظيمه، وأن علينا التسليم بأن هناك حقائق غيبية فوق إدراكنا.

ثانيًا: ما هي دلالات الآية؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة لفظ (شديد القوى) و(ذو مرة): تدل على أن الحق يحتاج إلى قوة لحمايته وتبليغه، وأن الجمال والقوة صفات ملازمة لحملة الوحي.
· دلالة (فاستوى) و(دنا فتدلى): تدل على الحركة المتدرجة، والاقتراب المقصود، والاهتمام البالغ بهذا اللقاء، مما يعطي الحدث جلالا ً وهيبة.
· دلالة (قاب قوسين أو أدنى): تدل على أن هذا الدين قريب من الفطرة قربًا شديدًا، وأن النبي بلغ أعلى مراتب الكمال البشري.
· دلالة (عبده): تدل على أن العبودية هي أشرف الأوصاف، وأعلى المقامات، وهي الطريق إلى كل كرامة.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "مصدر الوحي وحفظه": من خلال وصف جبريل بقوته، تطمئن القلوب أن الوحي وصل س المًا، لم تعبث به الشياطين، ولم ينقص منه حرف.
.2قضية "حقيقة المعراج والرؤية": تثبت أن النبي رأى الآيات الكبرى، وأن خبره صادق قطعاً، في مواجهة المشركين الذين كذبوا بحادثة الإسراء والمعراج.
.3قضية "الكرامة الإنسانية بالعبودية": تحرر الإنسان من عبودية المال والجاه والنفس، وتربطه بـ العبودية لله وحده، التي هي قمة الحرية والشرف.
.4قضية "أدب التلقي والتعامل مع الغيبيات": تعلمنا أن نثبت ما أثبته الله ورسوله، وأن نقف حيث أوقفنا النص، فلا نزيد ولا ننقص، ونسلم بأن هناك) ما أوحى (لا نحيط به.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

.1استشعار عظمة المصدر: يريد الله منا أن نستشعر بقلوبنا عظمة هذا الدين، وقوة مصدره، فلا نهتز لشبهة، ولا نضعف لهجوم.
.2توقير الملائكة وتعظيم شأنهم: أن نعرف أن لله جنودًا كرامًا، أقوياء أشداء، يحملون أوامره، ومنهم جبريل الذي نزل بالقرآن.
.3التسليم المطلق للغيب: أن نسلم بأن هناك أمورًا غيبية فوق إدراكنا، ولا نطالب بتفاصيل ما طواه الله عنا، امتثالا ً لأدب ﴿مَا أَوْحَى﴾.
.4تحقيق العبودية الخالصة: أن نجعل "العبد" أعظم ألقابنا، ونسعى لنكون عبادًا لله حقًا، لا عبادًا لأ هوائنا أو شهواتنا.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية والمهنية؟ (البرنامج التطبيقي)

.1القوة في تبليغ الحق) دعوة من: شديد القوى(: في عملك، في دعوتك، في تربيتك، كن قويًا في إيصال الحق، ثابتًا في مواجهة الباطل، مستعينًا بالله، محميًا بالصدق والأمانة.
.2الجمع بين القوة والجمال) دعوة من: ذو مرة(: لا تكن قويًا فظًا، بل اجمع بين القوة في المبدأ، و الجمال في الأسلوب، والمتانة في الخلق، واللين في المعاملة.
.3الرقي في الهمة إلى الأفق الأعلى) دعوة من: بالأفق الأعلى(: لا ترضَ بسفاسف الأمور، وارفع همتك إلى معالي الأمور، واطلب العلم النافع، واسعَ إلى الكمال الإنساني.
.4التقرب إلى الله بالنوافل حتى تنال محبته) دعوة من: دنا فتدلى(: كما تقرب جبريل إلى النبي، تقرب أنت إلى الله بالفرائض والنوافل، حتى يحبك، ويقربك، ويرفعك.

.5الأدب مع النصوص وأمانة التبليغ) دعوة من: فأوحى إلى عبده ما أوحى(: في نقلك للعلم، قف عند ما تعلم، ولا تتكلف ما لا تعلم، وقل فيما لا تعلم: "الله أعلم"، فهذا من أعظم الأمانة.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس القوة والأمانة في حمل الرسالة) من آية: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾(:

· الدرس: كل صاحب رسالة يحتاج إلى قوة تحمي رسالته. العلم والدعوة والتربية أمانات تحتاج إلى قوة في الطرح، وثبات في الموقف.
· التطبيق: طور مهاراتك، اثبت على مبادئك، لا تضعف أمام الإغراءات، وكن قويًا بالحق، لا قويًا بـ البطش.

.٢درس الجمع بين القوة والجمال) من آية: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾(:

· الدرس: المؤمن قوي في الحق، جميل في خلقه. القوة وحدها قد تكون ترهيبًا، والجمال وحده قد يكون ضعفًا، واجتماعهما هو الكمال.
· التطبيق: في أسرتك، مع أبنائك، في إدارتك، كن عادلا ً قويًا في الموقف، رقيقًا جميلا ً في الأ سلوب. لا تكن فظًا فينفض الناس من حولك، ولا تكن ضعيفًا فيتجرأ عليك السفهاء.

.٣درس علو الهمة) من آية: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾(:

· الدرس: شأن المؤمن أن يكون عالي الهمة، ينظر إلى السماء، لا إلى الوحل. يسعى للقمة، لا للقاع.
· التطبيق: ضع لنفسك أهدافًا كبرى في حياتك الروحية والعملية. لا ترضَ من العلم بقليله، ولا من العمل بأيسره، ولا من الأخلاق بأدناها.

.٤درس القرب بالعبودية) من آية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ولفظ ﴿عَبْدِهِ﴾(:

· الدرس: القرب من الله لا ينال بالأنساب ولا بالأموال، بل بتحقيق العبودية. وكلما ازددت إخلاصًا وانقيادًا، ازددت من الله قربًا.
· التطبيق: راقب قلبك في عباداتك، واجعلها خالصة لله. في كل ركعة، في كل دعاء، استشعر أنك أقرب ما تكون إلى الله وأنت ساجد، فاجتهد في الدعاء.

.٥درس التوقف عند حدود العلم) من آية: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾(:

· الدرس: من العلم أن تقول فيما لا تعلم: لا أعلم. الإبهام القرآني هنا يعلمنا ألا نقتحم الغيوب بعقولنا القاصرة.
· التطبيق: إذا سُئلت عن أمر ديني أو دنيوي لا تعلمه، فلا تستح أن تقول: "لا أدري". هذه والله هي ثلث العلم، وهي أمانة العلماء والصادقين.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

هذه الآيات الخمس تحدث في نفسك تحولات جذرية:

.1من الإحساس بضعف الدين إلى الاعتزاز بقوة مصدره: ستنظر إلى الإسلام على أنه القوة العظمى، القادمة من عند شديد القوى، فلا يهزك ضعف المسلمين الظاهر، فمصدرهم قوي عزيز.
.2من السطحية في فهم الوحي إلى التعمق في عظمته: ستصبح علاقتك بالقرآن أعمق، لأنك تتصور اللحظة التي نزل فيها، والمشهد المهيب الذي صاحبه، فتقرؤه بخشوع وحضور قلب.
.3من التعلق بالأرض إلى التطلع إلى السماء: ستشعر أن لك وطنًا هناك، في الأفق الأعلى، حيث الملا ئكة والعزة، فيهون عليك نعيم الدنيا وبؤسها.
.4من طلب الشرف بالمناصب إلى طلبه بالعبودية: ستتمنى لو يصفك الله يومًا بأنك "عبده"، فتجتهد في طاعته، وتفر من مراءاة الناس، وتكتفي بنظر الله إليك.

.5من الجرأة على الغيب إلى الأدب معه: ستتوقف عن الخوض في تفاصيل الغيب التي لا دليل عليها، وتقول بلسانك وقلبك: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة التلقي والتواصل الفعال: من مشهد (دنا فتدلى) تتعلم كيف تتقرب من محدثك، وكيف تقترب من قلوب الناس بالرفق والتدرج، حتى تبلغ بهم (قاب قوسين) من الفهم والإقناع.
· مهارة إدارة القوة: من (شديد القوى) تتعلم متى تستخدم القوة، وكيف تضبطها بالحكمة، فلا تتحول إلى عنف مدمر، بل تكون قوة بناءة.
· مهارة التخطيط الاستراتيجي (من الأدنى إلى الأعلى): حركة جبريل من السماء إلى الأرض، وحركة النبي في المعراج، تعلمنا التخطيط الصاعد، والانتقال من مرحلة إلى أخرى، وصولا ً للهدف الأسمى.
· مهارة الصمت والتوقف عند حدود المعرفة: من (ما أوحى) تتعلم متى تصمت، ومتى تقول لا أعلم، وهذه مهارة علمية وحياتية بالغة الأهمية في عصر المعلومات المضللة.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: ترسيخ الإيمان بالملائكة، وبالوحي، وبعلو قدر النبي، وبأن العبودية هي ذروة الكمال. إنها تثبت عقيدة التلقي المباشر، وأن القرآن ليس من عند بشر، بل هو كلام الله حقًا، تلقاه النبي بواسطة أمين السماء.
· الأبعاد الدلالية: دلالة وصف جبريل بالقوة والمتانة والجمال تؤكد على أن الوسيط مؤهل تمامًا لحمل الرسالة، فلا مجال للشك في سلامة النقل. ودلالة (دنا فتدلى) تدل على شدة الحرص على إيصال الوحي، والتكريم العظيم للنبي.
· الأبعاد النفسية: توليد مشاعر الهيبة والجلال، والطمأنينة بمصدر الرسالة، والثقة المطلقة بكل ما جاء به النبي. الآيات تمنح المؤمن أمناً نفسياً بأن هذا الدين ليس ألعوبة بشر، بل هو أمر إلهي محكم.
· الأبعاد الفكرية: تأسيس منهج التعامل مع الغيبيات (الإثبات بلا تكييف)، ونبذ الفلسفات المادية التي تنكر ما وراء الطبيعة. كما ترسخ فكرة أن الكمال الإنساني هو الجمع بين القوة والعقل والجمال، وألا تعارض بين هذه الصفات.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد "التوازن بين القوة والرحمة": إخراج جيل قوي في الحق، رحيم بالخلق، لا يطغى بقوته، ولا يضعف عن حماية دينه.
· مقصد "السمو الروحي": تحرير الإنسان من أسر المادة، وفتح آفاق السماء أمام روحه، فيعيش في الدنيا بجسده، وقلبه معلق بالملأ الأعلى.
· مقصد "الحفاظ على نقاء المصدر": ببيان قوة جبريل وأمانته، يغلق الباب أمام أي محاولة للتشكيك في سلامة النقل القرآني عبر التاريخ.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· القوة في الإدارة (من: شديد القوى): كن قويًا في قراراتك الإدارية، حازمًا في تطبيق النظام، لكن بعدل ورحمة.
· الجمال في التعامل (من: ذو مرة): اهتم بمظهرك اللائق، وبأسلوبك الجميل في الكلام والمعاملة، فأنت سفير لدينك وقيمك.
· القرب من الموظفين/الأبناء (من: دنا فتدلى): اقترب منهم، استمع إليهم، تفهم مشاكلهم، واربطهم بك برباط الثقة والمحبة، ولا تكن بعيدًا عنهم في برج عاجي.
· الوضوح والغموض في مكانهما (من: ما أوحى): كن واضحًا في الحقائق والمعلومات التي تنقلها، وتوقف عند حدود علمك فيما لا تعلم، ولا تتكلف الإجابة عن كل شيء.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

.1مفهوم "القوة الرشيدة": القوة ليست للبطش، بل للحماية والبناء .كن قويًا في عملك، في إيمانك، في قراراتك، ولكن برشد وحكمة .القوي الرشيد هو الذي يستخدم قوته لرفع الظلم، وإحقاق الحق، وليس للتجبر والطغيان.
.2مفهوم "الجمال الوظيفي": الجمال الحقيقي هو الذي يخدم وظيفته .جبريل جميل المنظر، قوي المهمة .اجعل جمالك في هندامك، وبيتك، وعملك، وسيلة لخدمة رسالتك، لا غاية في حد ذاته تؤدي إلى الكبر والخيلاء.
.3مفهوم "الرفعة بالعبودية": كلما تواضعت لله، رفعك .اقبل أن تكون "عبدًا" في علاقتك مع الله، تكن سيدًا في علاقتك مع الدنيا .إن من يتحرر من عبودية البشر والمادة، يبلغ أعلى درجات الحرية الحقيقية.
.4مفهوم "الاقتراب التربوي": الداعية، المربي، القائد، لا يظل في برجه العاجي، بل "يدنو فيتدلى" إلى مستوى من يخاطبهم، ليقربهم إلى الحق .هذا هو سر التأثير العظيم.
.5مفهوم "الأفق الأعلى": أن تضع نصب عينيك دائمًا هدفًا أسمى، وغاية عليا، تسعى إليها وتعمل لها، فلا تلهيك سفاسف الأمور عن معاليها.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

.١المفاهيم النفسية) السمو والطمأنينة والاتزان الداخلي(:

· مفهوم "الأمن العلوي": الشعور بأنك مرتبط بقوة عليا تحميك، وأن هناك ملائكة أقوياء ينفذون أوامر الله في الكون، فيملأ قلبك طمأنينة بأنك لست وحدك في هذه المعركة.
· مفهوم "السمو الروحي": استشعار أن همك ومصدرك وهدفك في الأفق الأعلى، يحررك من أسر المادة، ويمنح نفسك خفة وشفافية، ويجعلك تعيش الحياة بمعنى أعمق.
· مفهوم "الرضا بالغيب": الإيمان بأن هناك (ما أوحى) لا نعلمه، يمنح النفس راحة وسكينة، ويدفع عنها وساوس الشك والقلق، ويجعلها تتسامى على طلب تفسير كل شيء.

.٢المفاهيم الفكرية) منهجية التعامل مع المعرفة والغيب(:

· مفهوم "حدود العقل": أن تدرك أن عقلك محدود، وألا تخوض في الغيب بغير سلطان. هذا المفهوم يحمي الفكر من التخبط في متاهات الفلسفة والتأويل الفاسد.
· مفهوم "التكامل المعرفي": الآيات تجمع بين الإخبار بالغيب (الوحي) والإخبار بالشهادة (وصف جبريل)، مما يؤسس لمنهج فكري متكامل لا يفصل بين الروحي والمادي.
· مفهوم "المصدرية الإلهية": التسليم بأن الوحي هو المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية في الغيبيات و التشريع، في مقابل المعرفة البشرية الظنية.

.٣المفاهيم التربوية) بناء السلوك وصناعة الشخصية(:

· مفهوم "التدرج في التعليم": من (علمه) إلى (دنا فتدلى) إلى (فأوحى)، إشارة إلى أن التعليم يحتاج إلى تدرج، وقرب، وتفهم، وصولا ً إلى مرحلة التلقي العميق. فعلى المربي أن يتدرج مع طلابه وأبنائه.
· مفهوم "التربية بالقوة والجمال": المربي الناجح هو الذي يجمع بين الحزم (القوة) واللين (الجمال)، بين الثبات على المبدأ وسعة الأفق وجمال الروح.
· مفهوم "التربية على العبودية أولا ً": قبل أن تعلم الناس المهارات، علمهم العبودية لله، فهي أساس كل خير، وباب كل كرامة، كما وصف الله نبيه بذلك في أسمى مقام.
· مفهوم "القدوة الصاعدة": النبي محمد صلى الله عليه وسلم ارتقى إلى الأفق الأعلى، فهو قدوة تحتذى في السمو الروحي والأخلاقي، لا في مجرد الأقوال.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية ودورها مع بقية المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة وصناعة

التطور في الحياة والتقدم الحضاري

هذه الآيات، رغم حديثها عن حدث غيبي، إلا أنها ترسم خارطة طريق كاملة لبناء الإنسان، ومن ثم لبناء الحضارة.

أولًا: مفاهيم البناء والتنمية المستخلصة من الآيات:

.1بناء الإنسان القوي الأمين:) شديد القوى (و)ذو مرة (و)عبده (كلها صفات جبريل ومحمد عليهما الس لام .إن بناء الشخصية المسلمة يبدأ من هذه الصفات: قوة في الحق، وأمانة في التبليغ، وجمال في الخلق، وكمال في العبودية.
.2بناء العقل المنضبط:) فأوحى ما أوحى (يعلمنا أن العقل له حدود، فينضبط عند النص، ولا يتطاول على الغيب، وهذه هي أولى خطوات البناء الفكري السليم.
.3بناء الهمة العالية:) بالأفق الأعلى (هو شعار بناء الهمة، فلا تنمية حقيقية بدون همم تسمو إلى أعلى عليين، لا ترضى بالدون، ولا تقبل بالهزيمة.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة:
هذه المفاهيم تصنع شخصية متزنة، تجمع بين أبعاد متكاملة:

· الاتزان الروحي والمادي: الشخصية التي تعيش الأفق الأعلى بروحها، وتعمل في الأرض بجسدها، كما عاش النبي صلى الله عليه وسلم، في ليلة المعراج كان في السماء، وفي صباحه كان في الأرض يبلغ الرسالة.
· الاتزان بين القوة والرحمة: شخصية (ذو مرة) تعني الجمع بين القوة والجمال، مما ينتج عنه شخصية قوية في الحق، رحيمة بالخلق، لا تطغى ولا تضعف.
· الاتزان العقلي والوجداني: عقل منضبط بحدود النص، ووجدان يفيض بمحبة الله وتعظيمه، فلا يطغى عقل على قلب، ولا قلب على عقل.

ثالثًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور والنهضة في الحياة:

· الانتقال من الضعف إلى القوة: أمة تربي أبناءها على مفهوم (شديد القوى) في الحق والعلم والعمل، لا بد أن تنهض وتتطور، لأن عنصر القوة هو أساس النهضة.
· الانتقال من التبعية إلى الأصالة: أمة تؤمن أن مصدرها هو الوحي (فأوحى إلى عبده ما أوحى)، لا تستمد هويتها من غيرها، فيكون تطورها أصيلا ً، لا مقلدًا، وناهضًا، لا تابعًا.
· الانتقال من السطحية إلى العمق: أمة تربي على (الأفق الأعلى) و(حدود العقل) لا تنشغل بسفاسف ا لأمور، بل تتجه للعلم العميق، والبحث الجاد، والتخطيط الاستراتيجي بعيد المدى.
· بناء حضارة الشهود الحضاري: الحضارة التي تقوم على هذه المفاهيم هي حضارة تشهد لله ب الوحدانية، وتقود البشرية للخير، وتقدم نموذجًا فريدًا في الجمع بين الروح والمادة، والقوة والرحمة، و العلم والإيمان.

رابعًا: خلاصة المنهج العملي للتطبيق:
لكي تتحول هذه المفاهيم إلى واقع معاش في حياتنا، يجب تبني البروتوكولات السلوكية اليومية التالية:

.1التطوير الذاتي المستمر لتحقيق القوة والجمال: خصص وقتًا يوميًا لتطوير مهاراتك العلمية والعملية ، ورعاية مظهرك وجوهرك، لتكون قويًا في تخصصك، جميلا ً في أخلاقك.
.2التدرج في التربية والتعليم: في تعليمك لأبنائك، أو تدريبك لموظفيك، ابدأ بالأساسيات، وتدرج بهم إلى المستويات العليا، واقترب منهم، وتفهم قدراتهم، كما اقترب جبريل من النبي.
.3الارتقاء بالهمة يوميًا: ضع لك كل صباح هدفًا من معالي الأمور، واسأل نفسك: ما الذي سأفعله اليوم لأرتقي إلى الأفق الأعلى في علمي، أو عملي، أو أخلاقي؟
.4مراقبة العبودية: في كل عمل، ذكر نفسك أنك "عبد الله"، فاعمل عملًا يليق بهذا الوصف، متجردًا من الرياء، طالبًا رضا ربك وحده.
.5الوقوف عند حدود العلم: إذا سُئلت عما لا تعلم، قل بثقة وأمانة: "لا أعلم"، فهذا هو عين العلم، وأساس الأمانة العلمية والمهنية.

اخرج الآن من هذه الرحلة الإيمانية إلى آفاق السماء، وقد تزودت بيقين لا يتزعزع، وبقلب يخفق هيبة لجلال الله، وتوقيرًا لملائكته، ومحبة لنبيه. تذكر دائمًا أن القرآن الذي تقرؤه هو (ما أوحى) في

ذلك اللقاء المهيب، فاقرأه وأنت تستشعر أنك تتلقى عن الله، عبر ملك كريم، وعبر نبي عظيم. كن عبدًا لله، تبلغ القمم. وكن قريبًا من الله، تبلغ كل مراد. وكن شديد القوى في الحق، ذا مرة في الخلق ، لتبلغ في الأرض (قاب قوسين) من كل نجاح وفلاح.

المبحث الثالث

يا من غمرت روحَه أنوارُ اليقين في مطلع السورة، وعرفتَ أن النبي ﷺ ما ضلّ وما غوى، وما نطق عن الهوى... تعالَ معي الآن لنُكمِلَ المسير في مدارج النور، ونرتفع أكثر فأكثر في سماء الغيب، بعد أن وقفنا على مشارف التلقي الأول. لقد رأيتَ جبريل ﷺ شديد القوى يستوي في الأفق الأعلى، ويدنو فتدلى، حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

وهنا، بعد هذا المشهد المهيب، تفتح أمامنا الآيات (11-18) من سورة النجم بابًا جديدًا من أبواب السماء، لنعبر من يقين التلقي إلى يقين الرؤية. إنها آيات تسكن كل قلق، وتصمت كل مراء، وتؤكد بمنطق القدرة الإلهية أن ما رآه النبي ﷺ كان حقًا مشهودًا بعين البصيرة والبصر، لا خيالَ فيه ولا وهم. إنها تنقلنا من الحديث عن "كيف تم الوحي" إلى الحديث عن "ماذا رأى النبي من آيات ربه الكبرى" في رحلة المعراج العظمى، لنقف على أعتاب "سدرة المنتهى"، حيث جنة المأوى، وحيث يغشى السدرة ما لا يصفه وصف، ليرسخ في القلب أن محمدًا ﷺ رأى من آيات ربه ما لم يره بشر، وأن فؤاده ما كذب بصره، بل كان بصره أصدق المبصرين، وأثبت الناظرين، وأعظم الشاهدين.

أولًا: مقدمة تمهيدية – من يقين التلقي إلى شهود الرؤية

بعد أن أثبت الحق سبحانه في الآيات (5-10) قوة المصدر (شديد القوى) وهيبة التلقي (دنا فتدلى)، يأتي السياق القرآني ليواجه الاعتراض القلبي الخفي الذي قد يعتري النفس البشرية: كيف نثق أن هذا الذي رآه النبي ليس ضربًا من الخيال أو تجربة ذاتية؟ وهل يمكن لبشر أن يتحمل رؤية تلك العوالم من غير أن يضطرب بصره أو يكذب فؤاده؟

تأتي الآيات (11-18) لتجيب عن هذا التساؤل بجلال الواثق من صدق نبيه، وبعظمة من يصف المشهد العلوي الأسمى. إنها أربع محطات نورانية:

1. تأكيد صدق الرؤية القلبية) ما كذب الفؤاد ما رأى.(
2. تحدي المكذبين والمعاندين) أفتمارونه على ما يرى.(
3. كشف النقاب عن الرؤية الثانية في المعراج عند سدرة المنتهى، حيث جنة المأوى، وحيث يغشى السدرة ما لا يعلمه إلا الله.
4. بيان كمال أدب البصر النبوي وثباته، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى ما فاق الإدراك.

إن الأفكار الرئيسية التي تنتظم هذه الآيات هي: الفرق بين الرؤية القلبية الصادقة وخداع البصر، إثبات تعدد مرات الرؤية للرسول ﷺ، تفصيل مشهد المعراج عند سدرة المنتهى وغشيانه بالنور الإلهي، وبيان أن النبي ﷺ ثبت بصره ولم يتجاوز ما أذن له به.

أما مقاصد الآيات وأهدافها فهي: ترسيخ الإيمان بأن رؤية النبي ﷺ لجبريل (أو لما رآه من آيات ربه) كانت حقيقية لا خيالية، إفحام المشركين الذين جادلوا في خبر الإسراء والمعراج، تعظيم مشهد سدرة المنتهى وجنة المأوى بوصف يملأ القلب هيبة، والتأكيد على أن النبي ﷺ بلغ مقام المشاهدة بأكمل صورة من ضبط النفس وثبات الجأش. إنها تريد أن تجعل يقيننا بالغيب كيقيننا بالمحسوس، بل أشد، لأن الخبر هنا صادر عن فؤاد لم يكذب، وعين لم تزغ، وعبد أوحى الله إليه ما أوحى.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

دعنا نعبر الآن إلى قلب هذه الآيات الباهرة، محورًا محورًا، ونحن نستلهم من كل حرف فيها ما يثبت الفؤاد، ويُنير الطريق، ويجعلنا نعيش جلالة المقام المحمدي الرفيع.

المحور الأول: تصديق الفؤاد ونفي الريب (الآيتان 11-12)

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12)﴾

١.﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾: شهادة القلب على صحة العين
قِفْ معي هنا. بعد أن رأى النبي ﷺ ما رأى في ذلك المقام العظيم، قد يقول قائل: "لعل بصره أخطأ، أو لعله تخيّل". فيأتي الجواب الإلهي قاطعًا كل شك: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.

· دقة اختيار "الفؤاد" دون "العين" أو "البصر": الفؤاد في اللغة هو وسط القلب، وهو محل الإدراك العميق والعقل والتمييز. فلم يقل "ما كذبت العين ما رأت" لأن العين قد ترى شيئًا ثم يشك صاحبها في حقيقته. لكن إذا اجتمع إدراك البصر مع تصديق الفؤاد، فهذا هو غاية اليقين. إنه خبرٌ عن أن ما رآه النبي ﷺ كان رؤيةً بصرية صادقة، أيّدها الفؤاد ولم ينكرها، بل تلقتها النفس بكل كيانها على أنها الحقيقة. وفي هذا أعظم تطمين لمن يقرأ: إن القلب المحمدي أصدق القلوب، وما ظهر له من الحقائق الكونية الكبرى لم يتسرب إليه شك قط.
· الفعل "كذب" بصيغة الماضي: يدل على ثبوت هذا الصدق في الماضي واستمرار أثره؛ فلم يكذب الفؤاد تلك اللحظة، ولا بعدها، وهو بطبيعته لا يكذب فيما يرى من آيات ربه.
· الاستفهام التوبيخي ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾: "أفتمارونه" أي أفتجادلونه وتغلبونه بالمراء والباطل على ما يراه رأي العين؟ الخطاب موجه إلى المشركين الذين كذبوا بحادثة الإسراء والمعراج، وفيه توبيخ شديد. فهو يقول: كيف تجادلونه وهو يخبركم بما رآه فؤاده وصدّقه؟ إنه تحدٍّ وإفحام. وفي هذا إثبات أن النبي ﷺ حدّثهم بما رأى، وأنهم كذبوه، فجاء النص القرآني يدافع عنه ويؤكد صدقه.

٢.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة من هاتين الآيتين:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· معيار اليقين هو توافق البصر والبصيرة: العقل وحده لا يكفي، والحواس وحدها قد تخطئ، ولكن حين يتحد إدراك الحواس مع تصديق الفؤاد وتزكية الله له، يكون ذلك هو الحق اليقيني. وهذا يعلمنا أن نزن الأخبار العظيمة بميزان القلب الصادق بعد تحقق الثقة بالمخبر.
· عصمة النبي ﷺ في التلقي والتبليغ: فؤاده معصوم من أن يكذب ما يراه، وهذا الأصل يمتد إلى كل ما يبلغه عن ربه، إذ لا يمكن أن يصدق رؤيته ثم يكذب وحيه، فكلاهما من مشكاة واحدة.
· الرسائل النفسية:
· الطمأنينة المطلقة بصدق النبوة: هذه الآية تجعل المؤمن يعيش حالة من الصفاء الداخلي؛ فكل ما أخبر به النبي ﷺ من الغيب (الجنة، النار، الملائكة، المعراج) هو حق لأن فؤاده ما كذب بصره.
· حب النبي ﷺ والغيرة عليه: رد الله عنه افتراءات المشركين بنفسه، وهذا يلهب في قلب المؤمن محبة النبي والغيرة على عرضه، لأن الله هو الذي تولى الدفاع عنه.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية القلب على الصدق: المؤمن مأمور بأن يربي فؤاده حتى لا يكذب ما تراه عينه من الحق، فلا ينكره لمجرد مخالفته هواه.
· ترك المراء والجدال الباطل: كما نهى الله المشركين عن المراء، يُنهى المؤمن عن الجدال بغير علم، خاصة في مقامات التسليم للخبر الصادق.

المحور الثاني: النزلة الأخرى ومشهد سدرة المنتهى (الآيات 13-15)

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (14) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15)﴾

١.﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: تأكيد تعدد الرؤى واللقاءات
الآية تنتقل بنا إلى رؤية ثانية، غير الرؤية التي كانت في الأفق الأعلى. إنها "نزلة أخرى" أي مرة أخرى نزل فيها جبريل ﷺ على صورته الحقيقية، أو رأى النبي ﷺ ربه على قول بعض الصحابة. وسياق القرآن يعضد أن الضمير يعود على جبريل كما في الآيات السابقة. والمعنى: لقد رأى محمد ﷺ جبريل مرة أخرى نازلا ً من عند الله، وهذه المرة في مكان آخر وأعلى، وهو "سدرة المنتهى".

· فائدة تكرار الرؤية: إثبات أن الأمر كان مقصودًا ومتعددًا، حتى لا يُظن أنه حادث عابر، بل هو مقام تكرر ليُحفر في الذاكرة النبوية، وليكون دليلا ً على علو قدره.

٢.﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾: الشجرة التي عندها ينتهي كل شيء
سدرة المنتهى: شجرة عظيمة في السماء السابعة، عن يمين العرش، إليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها. وقيل: ينتهي إليها علم الخلائق، ولا

يتجاوزها أحد سوى النبي ﷺ.

· رسالة المكان: اختيار هذا الموضع للقاء الثاني يعلمنا أن النبي ﷺ بلغ المنتهى الذي لم يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فهو سيد الخلائق. وتأمل وصف "المنتهى"؛ إنه يعطي شعورًا بالنهاية والعظمة، حيث تقف الملائكة، وتنقطع الأسباب، ولا يبقى إلا محض الفضل الإلهي.

٣.{عِندَهَا جَنَّةُ المَأْوَى}: مقر القرب والراحة الأبدية
عند سدرة المنتهى تقع جنة المأوى، وهي الجنة التي تأوي إليها أرواح الشهداء والصالحين، وقيل هي جنة الخلد. وجوارها للسدرة يدل على أنها في أقصى درجات القرب والكرامة. وهنا إشارة لطيفة: أن من وصل إلى مقام المشاهدة والصدق مع الله، فمأواه عند الله في جنة القرب. فالنبي ﷺ لما صدق فؤاده ما رأى، ارتقى حتى صار عند سدرة المنتهى وإلى جوار جنة المأوى.

٤.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية:

· الفكرية: تثبيت حقيقة المعراج وتفاصيله، والرد على المكذبين بأن الرؤية كانت في مكان شريف، وليس وهماً. وبيان أن الكون له "منتهى" مادي ومعنوي، وأن هناك حدًا ينتهي إليه الخلق ويبدأ منه عالم الأمر الإلهي.
· النفسية: استشعار الشوق إلى تلك البقاع، فجنة المأوى عند سدرة المنتهى، وهذا يجعل المؤمن يعمل للوصول إلى مأواه هناك، فتطمئن نفسه وتزداد رغبة في الطاعة.
· التربوية: تعليم المؤمن أن يكون له "منتهى" يقف عنده في طلب العلم أو الدنيا، فلا يتجاوز حده، امتثالا ً لأدب "المنتهى".

المحور الثالث: التجلي الإلهي وغشيان النور (الآية 16)

{إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى}

هذه الآية من أروع أمثلة الإبهام للتعظيم في القرآن. "إذ يغشى" أي يغطي ويُلبس، و"ما" نكرة تفيد التهويل: شيء عظيم لا يمكن وصفه غشي السدرة.
ماذا غشيها؟ أقوال المفسرين: غشيها نور الله، أو غشيها فراش من ذهب، أو غشيها ألوان لا تُعرف، أو غشيها ما غشيها من أمر الله مما لا يدركه بشر. الأهم أن هذا التجلي جعل المشهد يفوق الخيال. وفي هذا إشارة إلى أن المقامات العالية في القرب من الله يصحبها من الأنوار والتجليات ما لا يعبر عنه.
الرسالة: هناك أمور من الغيب ينبغي أن نقف عندها ولا نتعمق في كنهها، لأن "ما يغشى" أبهمت ليكون القلب أشد خضوعًا، والعقل أكثر أدبًا.

المحور الرابع: كمال أدب البصر النبوي (الآية 17)

{مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى}

في هذا المقام المهيب، حيث يغشى السدرة من أمر الله ما يغشى، ثبت النبي ﷺ كالجبل. "ما زاغ البصر" أي ما مال يمينًا ولا شمالا ً عن الهدف الذي أُمر بالنظر إليه، بل حدّق إلى ما أُذن له بخشوع وثبات. "وما طغى" أي ما تجاوز الحد، فلم ينظر إلى ما لم يُؤذن له بالنظر إليه. إنه كمال الأدب في حضرة القدس.
وهذا يعكس عظمة النبي ﷺ: لم تذهله العظمة عن الأدب، ولم يشتط به الفضول، فجمع بين الطموح إلى المعالي والوقوف عند حدود الله. ولذلك استحق المقام الأسنى.

المحور الخامس: ذروة العطاء – الآيات الكبرى (الآية 18)

{لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى}

بعد أن وصف ثبات البصر، جاء الخبر اليقيني: لقد رأى محمد ﷺ في هذه الليلة المباركة من آيات ربه الكبرى. الآيات الكبرى تشمل ما رآه من جبريل على صورته الملائكية العظيمة، وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، والنور الذي يغشى السدرة، وغير ذلك من عجائب الملكوت. وفي هذا إشارة إلى أن ما أُخفي (ما يغشى) كان من جملة الآيات الكبرى.
والختام بـ "الكُبْرَى" بصيغة التأنيث يدل على أنها بلغت الغاية في العظمة. وهكذا تُختم هذه الجولة الإيمانية بتثبيت أن النبي ﷺ رأى حقيقةً، وأن ما بلغه هو من مشاهدات اليقين.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهمها من خلال "التصديق القلبي المتدرج":

1. أن العبرة ليست برؤية العين وحدها، بل بتصديق الفؤاد لها) الآية.(11
2. أن النبي ﷺ كان أهلا ً لدفاع الله عنه وتسفيه المرتابين) الآية.(12
3. أن رحلته العلوية تعددت، وبلغ فيها المنتهى13) -.(14
4. أن هناك تجليات إلهية لا توصف، وعلينا التسليم بها.(16)
5. أن كمال العبودية يظهر في ضبط البصر والسمع عند العظائم(17) ، ليُفتح له باب الآيات الكبرى (18).

ثانيًا: دلالات الآية الدقيقة:

· دلالة "الفؤاد": إشراك العقل والقلب معًا في تلقي الحقائق الغيبية، وليس مجرد الرؤية الحسية.
· دلالة "نزلة أخرى": تعدد التكريمات الإلهية للنبي ﷺ وتنوعها بين أفق السماء وسدرة المنتهى.
· دلالة "سدرة المنتهى": وجود حدود فاصلة بين عالم الخلق وعالم الأمر، وأن للنبي ﷺ خصوصية تجاوزها.
· دلالة "ما يغشى": تعظيم المجهول الذي لا سبيل للعقل إليه، وحث على الأدب مع الغيب.
· دلالة "ما زاغ البصر وما طغى": الثبات والاعتدال في مقام المكاشفة، فلا إفراط ولا تفريط.

ثالثًا: القضايا التي تعالجها الآيات:

1. قضية الصدق النبوي في تبليغ المشاهدات الغيبية: والرد على من اتهمه بالكذب أو التخيل.
2. قضية الإسراء والمعراج: إثبات وقوعه، وبيان مكانته الفريدة، ورد شبهات المشركين.
3. قضية العبودية والأدب مع الله: حتى في أسمى المقامات، فالنبي لم يتجاوز ما أُذن له، ولم يزغ بصره.
4. قضية التسليم للغيب: بعض أمور الآخرة وعوالم الغيب لا يمكن إدراكها بالعقل، ويكفي الإيمان المجمل بها.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى منا؟ وما الذي تدعونا إليه الآيات في حياتنا؟

أولًا: المطالب الإيمانية:

1. تصديق كل ما أخبر به النبي ﷺ عن الغيب: دون تردد، لأن فؤاده ما كذب بصره.
2. تعظيم شعيرة الإسراء والمعراج: واستشعار أنها رحلة تكريم للأمة، وأن المسجد الأقصى شريك في الكرامة.
3. تعويد القلب على الصدق مع الله: فلا يكذب القلب ما يراه من آيات الله في الأنفس والآفاق، بل يصدق ويستدل.
4. الوقوف عند حدود الله: خاصة في مسائل الغيب، وعدم الخوض فيها بغير علم، تأسيًا بقوله "ما يغشى".

ثانيًا: البرنامج التطبيقي:

· في جدال الناس: إذا أنكر أحد حقائق الوحي، فلا تنشغل بالمراء، بل تلُ عليه الآية بثقة: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾، وامضِ إلى العمل.
· في حياتك الروحية: اجعل لك "سدرة منتهى" في التفكر، تقف عندها متأدبًا، فليس كل سر يُكشف للعقول.
· في التزكية: درب نفسك على ضبط بصرك: فلا يزيغ إلى محرم، ولا يطغى بالتمادي في المباح، لتكون أهلا ً لأن يريك الله من آياته.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وتطبيقاتها العملية

.١درس صدق الفؤاد) من: ما كذب الفؤاد ما رأى(:

· الدرس: قيمة الإنسان بمقدار صدق قلبه مع عينه. إذا رأيت الحق فاصدقه، ولا تتبع الهوى في تكذيبه.
· التطبيق: إذا وصلك خبر اليقين عن دينك، فلا تجادل فيه بدافع الشهوة، بل قل: آمنت، وصدق فؤادي.

.٢درس ترك المراء) من: أفتمارونه(:

· الدرس: الجدال بالباطل يهلك صاحبه، والواجب التسليم بعد قيام الحجة.
· التطبيق: في نقاشاتك الفكرية، إذا تعنت الخصم بعد وضوح الدليل، فلا تستنزف عمرك في المراء، بل فوض الأمر لله.

.٣درس النزلة الأخرى) من: ولقد رآه نزلة أخرى(:

· الدرس: الله يكرر على عباده الصالحين من كراماته وفهم المعاني، فلا تظنن أن فيض الله ينقطع.
· التطبيق: جدد عهدك مع الله، واطلب منه أن يتجدد عليك حال الإيمان، فـ"نزلة أخرى" من رحمته تغنيك عن كل شيء.

.٤درس الوقوف عند المنتهى) من: عند سدرة المنتهى(:

· الدرس: للخلق حدود في كل شيء، فلا تتجاوز قدرك، ولا تقتحم ما ليس لك به علم.
· التطبيق: في عملك، لا تتدخل فيما لا يعني أو ما لا تحسنه بحجة الفضول، بل توقف عند حدود مسؤوليتك، فهذا قمة الأدب الإداري.

.٥درس ضبط البصر) من: ما زاغ البصر وما طغى(:

· الدرس: أعظم ما يورثك رؤية آيات الله الكبرى هو ضبط بصرك عن الحرام، وعدم تجاوزه حدود الشرع.
· التطبيق: غض البصر في الأماكن العامة وعبر الشاشات، وتذكر أن كل نظرة محفوظة هي خطوة نحو أن يريك الله من آياته في حياتك.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الشك إلى اليقين المطلق: سأوقن أن الأخبار الغيبية التي جاء بها النبي ﷺ أصدق من كل ما أراه بحواسي، لأن ناقلها فؤاد لا يكذب.
.2من الخوض في الغيب إلى الأدب معه: سأتعلم أن أقول في ما لا أعلم: "الله أعلم بما يغشى"، فأرتاح من عناء البحث فيما لا طائل تحته.
.3من التطلع للشهوات إلى التطلع للآيات: إذا كان ضبط البصر يقود لرؤية الآيات الكبرى، فسأجعل

همي أن أرى آيات الله في الكون والقرآن، لا أن أطلق بصري في متاع الدنيا.
.4من الغرور إلى العبودية: سأدرك أن بلوغ أعلى المقامات لا يكون إلا بالوقوف عند حدود الله، فلا طغيان ولا انحراف.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات

· مهارة التحقق الداخلي: أن تعوّد نفسك على توافق إدراكك العقلي مع تصديقك القلبي، فلا تعيش ازدواجية.
· مهارة إدارة الجدل (من: أفتمارونه): التعرف على متى تنهي نقاشًا عقيمًا، ومتى تستمر، بضابط الحق والباطل لا الانتصار للنفس.
· مهارة الانضباط البصري والفكري (من: ما زاغ البصر وما طغى): وهي أساسية في عصر المشتتات، لتظل مركزًا على هدفك دون أن تزيغ عنه.
· مهارة التوقف عند الحدود (من: سدرة المنتهى): تعلم أن هناك مناطق معرفية محظورة على البشر، والاعتراف بها علامة نضج علمي.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية:

· عقديًا: إثبات صفة العلو لله، ووجود سدرة المنتهى والجنة، وتأكيد رؤية النبي ﷺ لآيات ربه الكبرى، وهي عقيدة أهل السنة.
· دلاليًا: استخدام "الفؤاد" و"البصر" و"ما يغشى" و"الكبرى" فيه إعجاز بياني يرسم مشاهد الغيب بألفاظ تليق بعظمتها وتُبقي شيئًا من الإبهام للتعظيم.
· نفسيًا: توليد شعور الأمان العقلي، فأنت لست مضطرًا لفهم كل شيء، وهذا يحررك من ضغط الإ لحاح العقلي، ويمنحك سكينة التسليم.
· فكريًا: ترسيخ منهج "التفويض مع القطع بالصدق"، وهو موقف متوازن بين العقلانيين المتطرفين الذين يؤولون كل شيء، وبين الذين يثبتون بلا ضوابط.

.٢الآفاق والمقاصد العملية:

· بناء شخصية متوازنة: قوية في الحق (ما كذب)، لطيفة في الجدل (لا تمارون)، ثابتة في المواقف (ما زاغ)، منضبطة في التصرفات (وما طغى).
· إخراج جيل يعظم شعائر الله (الإسراء والمعراج) ويجعلها محطات شحن إيماني سنوي.

.٣ما الذي نتعلمه في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: تذكر أن الله قد يريك آية اليوم، فكن مستعدًا بفؤاد صادق وبصر محفوظ.
· في العمل: قف عند حدود مسؤوليتك (سدرة منتهاك)، ولا تتدخل في اختصاصات غيرك، وضبط بصر طموحك فلا يطغى.
· في الخلافات: لا تكثر المراء، بل قل قولا ً كريمًا وانسحب إن كان الجدل باطلا ً.
· في التأمل: إذا رأيت في الكون ما يذهلك من جمال أو نظام، فقل: هذا من آيات الله، وأصدقه بفؤادك، ليُرزقك مزيدًا من الفهم.

الامر الثاني المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

هنا نحول الشعاع القرآني إلى مصباح يضيء تفاصيل يومك. هذه الآيات ليست مجرد إخبار عن حدث غابر، بل هي خريطة طريق للسلوك القويم في كل حين.

١. مفهوم "صدق الفؤاد" ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾:

· في تعاملك مع الحق: إذا تبين لك الحق في قضية من قضايا الحياة، سواء في علاقة أسرية أو موقف عملي، فلا تكذب فؤادك. لا تبرر لنفسك الخطأ، ولا تلبس الحق بالباطل. كن شجاعًا وقل: فؤادي صدّق أن هذا هو الصواب، وسأتبعه مهما كلفني.
· في التربية: علم أبناءك أن يكون لديهم ميزان داخلي صادق، يرون به الخطأ فيعترفون به، ويرون الصواب فيثبتون عليه، حتى لو خالفهم الناس. قل لهم: كن صادق الفؤاد قبل أن تكون صادق اللسان.
· في تلقي العلم: إذا قرأت آية أو حديثًا، أو فهمت حقيقة علمية، فلا تكذب فؤادك بالتشكيك بلا دليل، أو بالخضوع لضغط ثقافي معاصر. صدّق فؤادك، وابنِ عليه، واثبت.

٢. مفهوم "ترك المراء" ·﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾·:

· في حواراتك اليومية: إذا دخلت في نقاش، ووجدت أن الطرف الآخر قد أغلق قلبه وعقله، وتحوّل النقاش إلى مراء وجدال عقيم، فتذكر هذا الاستفهام الإلهي. انسحب بأدب، ولا تجعل نفسك خصمًا عن الله في الدفاع عن الحق بأساليب خاطئة. قل خيرًا أو اصمت.
· في وسائل التواصل الاجتماعي: لا تنجرف وراء المراء الإلكتروني الذي يستهلك الوقت ويمرض القلب ويفسد المودة. اعرض حجتك، فإذا تحول الأمر إلى مراء، فأغلِق الصفحة، وارفع قلبك إلى الأفق الأعلى.
· في الدعوة إلى الله: كن رفيقًا، لا ممارٍ. الفرق بين الداعية والممارِي، أن الأول همه هداية الخلق، والثاني همه الانتصار لنفسه. الآية تعلمك: لا تجادل من يجادل في الواضحات التي صدقها الفؤاد.

٣. مفهوم "النزلة الأخرى" ·﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾·:

· في حياتك الروحية: لا تقنط إن فترت همتك، أو ضعفت عبادتك، بل اطلب من الله "نزلة أخرى". جدد توبتك، اطلب منه أن يريك الحقائق الإيمانية مرة أخرى بقلب أصفى. فالله كريم يكرر الكرامات على عباده، كما كرّم النبي ﷺ برؤية جبريل مرة أخرى.
· في التعلم وفهم القرآن: لا تظن أنك قرأت السورة مرة وفهمتها، بل عد إليها، واطلب "نزلة أخرى" من الفهم. في كل مرة تعود فيها بخشوع، يريك الله من الآيات ما لم تره من قبل.
· في العلاقات الإنسانية: إذا أخطأ شخص في حقك، فأعطه "نزلة أخرى" من العفو والثقة، فالله يتجلى على عباده بالعفو والكرم مرة بعد مرة.

٤. مفهوم "الوقوف عند المنتهى" ·﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾·:

· في حدودك الشخصية: لكل إنسان "سدرة منتهى" في قدراته، ووقته، وطاقته. لا تتجاوزها إرهاقًا لنفسك، ولا تسمح للآخرين بتجاوزها. اعرف متى تقول "لا"، فهذا من ضبط البصر عن الطغيان.
· في تخصصك العلمي والعملي: كن خبيرًا في مجالك، واعترف أن هناك "منتهى" لعلمك، وما بعده تحتاج فيه إلى سؤال المختصين. هذا التواضع العلمي هو عين القوة.
· في الأسرار الغيبية: قف عند حدود ما أخبر به الشرع، ولا تتكلف معرفة تفاصيل الروح، أو كيفية صفات الله، أو موعد الساعة. قل: ·﴿آمَنتُ بِمَا غَشَى السِّدْرَةَ﴾· ولا أتجاوز.

٥. مفهوم "ضبط البصر" ·﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾·:

· ضبط بصر العين: هذا برنامج يومي. درب عينك ألا تزيغ إلى محرم، لا في الشارع، ولا على الشاشات، ولا في الصور. كل نظرة تحفظها هي تزكية لبصرك، لتكون أهلًا لرؤية آيات الله في الكون والقرآن.
· ضبط بصر العقل (الخيال): لا تطلق العنان لخيالك في تصور محرم، أو التخطيط لمعصية، أو الظن السيء بالآخرين. ضبط بصر العقل أصعب وأعظم أجرًا.
· ضبط بصر الطموح (عدم الطغيان): لا تطغَ في طموحاتك المادية. اطلب من الدنيا ما يكفيك، ولا تجعل بصرك طامحًا طول الوقت إلى ما في أيدي الناس. الطغيان في الطموح يُعمي البصر عن النعمة.

الامر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

هذه المفاهيم تعالج أبعادك الثلاثة: نفسك التي تشعر، وعقلك الذي يفكر، وسلوكك الذي يتربى. إنها

عملية تزكية متكاملة.

السكينة والطمأنينة: حين تعلم أن النبي ﷺ رأى الحق بعينه وفؤاده، تسكن نفسك لكل ما أخبر به، ويزول القلق الوجودي. منهج اليقين: الآيات تؤسس لمنهج عقلي راسخ: مصدر المعرفة اليقينية هو الوحي والخبر الصادق، وليس مجرد الحس والتجربة. تربية القلب على الصدق: التطبيق العملي لـ"ما كذب الفؤاد" هو تربية يومية للنفس على عدم التلون، والاعتراف بالحق، ونبذ التبريرات الكاذبة.
العزة والثقة: استشعار أن الله يدافع عن نبيه يجعل المؤمن يعيش بعزة؛ فهو على حق مبين، وربه يحمي حقه ويدافع عنه. التفريق بين الجدل والمراء: العقل يفرق بين الحوار البناء الذي يطلب الحقيقة، والمراء العقيم الذي يقصد الغلبة، ويربى على الأول ويترك الثاني. تربية البصر وضبطه: أعظم تربية عملية للعين هي تذكر ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ عند كل مشهد، فيغض الطرف عن الحرام، ويجول في آيات الله في الآفاق.
الشوق إلى الجنة: ذكر ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ بجوار السدرة يلهب في النفس شوقًا للمأوى الأخير، فيخفف مرارة ابتلاءات الدنيا. فقه الحدود: فكرة "سدرة المنتهى" تعلم العقل أن لكل شيء حدًا، وأن كمال العقل في معرفة هذه الحدود وعدم تجاوزها، لا في ادعاء معرفة كل شيء. تربية التواضع العلمي: "وما طغى" تعلم المتعلم أن يقف عند حدود علمه، وألا يتجاوز أو يتطاول على ما لا يعلم، فهذا أدب النبوة.
تحرير النفس من إسار المادة: إدراك أن هناك ما هو أبعد من المادة، نور يغشى، وآيات كبرى، يحرر النفس من التعلق بالدنيا الفانية، ويجعلها تتطلع للباقيات الصالحات. نموذج الشخصية المتوازنة: الآيات ترسم نموذجًا للإنسان الكامل: فؤاده يصدق الحق، عقله يعرف حدوده، بصره لا يزيغ ولا يطغى. هذا هو التوازن الذي يمنع التطرف والإلحاد معًا. تربية الحضور والتركيز: "ما زاغ البصر" في الصلاة، في طلب العلم، في لحظات التأمل، هو تدريب على قوة الحضور الذهني، ومقاومة التشتت الذي يعاني منه إنسان العصر.

الامر الرابع : مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة والحضارة

هذه هي القفزة الكبرى: كيف نحول هذه المعاني الفردية إلى لبنات نبني بها شخصية أمة، ونقيم بها حضارة تنهض من جديد؟

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة

الشخصية المسلمة المتزنة هي التي تجمع بين القوة والرحمة، والعلم والإيمان، والثبات والمرونة. وهذه الآيات تصنع هذه الشخصية من خلال أربعة أركان:

1. ركن الصدق الداخلي (التكامل النفسي): ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. الشخصية المتزنة لا تعيش ازدواجية؛ ظاهرها مثل باطنها، ما تراه بعين بصيرتها تصدقه بجوارحها. هذا يمنع النفاق والانفصام، ويجعل صاحبها واضحًا، ثابتًا، يمكن الاعتماد عليه.
2. ركن ضبط الشهوات (الانضباط الذاتي): ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾. لا يمكن لشخصية أن تتزن وهي أسيرة لشهوة العين أو شهوة العقل. ضبط البصر عن الحرام، وضبط الطموح عن الطغيان، يخلق إنسانًا حرًا، سيد نفسه، لا عبد هواه. هذا هو أساس القوة الأخلاقية.
3. ركن معرفة الحدود (التواضع والعقلانية): ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ و ﴿مَا يَغْشَى﴾. الشخصية المتزنة تعرف حدودها، فتعترف بقصورها، وتسأل أهل العلم، ولا تقتحم مناطق لا تحسنها. هذا يقي من الغرور الذي يهدم الشخصيات، ويجعل صاحبه محبوبًا، متعاونًا، قابلا ً للنقد والتطوير.
4. ركن الإيجابية وترك العقيم (إدارة الطاقة): ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾. الشخصية المتزنة لا تستنزف طاقتها في مراء وجدال لا طائل منه. هي إيجابية، توجه طاقتها للعمل والبناء، وتترك الجدال العقيم لأهله. هذا يحرر طاقات هائلة كانت ستضيع في الصراعات.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة

النهضة الحضارية ليست مجرد أبراج وتكنولوجيا، بل هي قبل ذلك "إنسان متحضر". وهذه الآيات تقدم المبادئ المؤسسة لبناء هذا الإنسان، الذي هو عماد العمران:

1. مبدأ الصدق المعرفي أساس النهضة العلمية: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. العلم التجريبي والبحث الرصين لا يمكن أن ينهضا في أمة يكذب فؤادها ما تراه أعينها، أو تزور النتائج، أو تتبع الأهواء في البحث. الصدق المنهجي هو روح العلم، وهو ما تغرسه الآية.

2. مبدأ ضبط التجاوز أساس العمران الاقتصادي: ﴿وَمَا طَغَى﴾. الأزمات الاقتصادية والبيئية سببها الطغيان؛ طغيان الجشع، وطغيان الاستهلاك، وطغيان الاستغلال. الحضارة الراشدة هي التي تبصر مواردها، وتضبط شهواتها، وتعرف "منتهى" نموها فلا تطغى على البيئة ولا على حقوق الأجيال القادمة.
3. مبدأ التخصص واحترام الحدود أساس الكفاءة الإدارية: ﴿سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾. المجتمعات المتقدمة قامت على التخصص الدقيق، حيث يقف كل فرد عند "منتهاه" في المعرفة والعمل، فيتقنه، ثم يسلم لغيره. هذا يخلق تكاملا ً ويمنع الفوضى. فكرة أن لكل شيء "منتهى" هي أساس النظم والإدارة الرشيدة.
4. مبدأ توجيه الطاقة نحو البناء لا الهدم أساس الوحدة والتماسك: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾. طاقة أمة بأكملها قد تضيع في مراءات سياسية ومذهبية عقيمة. الحضارة تبنى حين نترك المراء، ونركز على العمل المشترك، ونقول فيما اختلفنا فيه: "الله أعلم"، وننصرف للبناء لا للجدال. هذا هو سر التماسك المجتمعي والتقدم.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات سدرة المنتهى

اجعل هذه الوصايا العشر، المستخلصة من قلب الآيات، زادك ليومك، ودستورك لحياتك، لترتقي في مدارج الكمال:

1. صَدِّقْ فؤادَك للحق دائمًا: إذا رأيت الحق فاثبت عليه، ولا تجادل فيه باطلا ً، وكن صادقًا مع الله ومع نفسك قبل أن تكون مع الناس.
2. دَعِ المِرَاءَ ولو كنتَ محقًا: إذا تحوّل النقاش إلى جدل عقيم، فانسحب بأدب. طاقتك أثمن من أن تضيع في مراء. قل كلمتك وامضِ لبناء ما ينفع.
3. اطلبْ من ربك "نزلة أخرى": لا تيأس من روح الله. جدد توبتك يوميًا، واطلب من الله أن يفتح عليك بفهم جديد، ورزق جديد، وكرامة جديدة.
4. اعرفْ "سدرة مُنتهاك" وتوقف: لا تحمّل نفسك فوق طاقتها، ولا تتدخل في غير اختصاصك، وقف باحترام أمام أسرار الغيب التي استأثر الله بها.
5. ازرعْ في قلبك الشوق إلى "جنة المأوى": ليكن ذكر الجنة حاديًا لك في كل طاعة، ومسليًا لك في كل محنة، لتخف عليك مشاق الطريق.
6. اضبطْ بصرَك الظاهر والباطن: غُضّ طرفك عن الحرام، واضبط خيالك عن الأوهام، وامنع طموحك من الطغيان. بهذا تكون أهلا ً لرؤية آيات الله.
7. لا تزِغْ ولا تطغَ: الزيغ انحراف، والطغيان تجاوز. كن وسطًا، معتدلا ً، ثابتًا على الصراط، لا يمينًا ولا يسارًا، لا إفراط ولا تفريط.
8. تأمّلْ آيات الله في الآفاق والأنفس: اجعل لك نصيبًا من التدبر في الكون والقرآن، لترى "الآيات الكبرى" التي تدلك على عظمة الله وصدق وعده.
9. اجعل "العبودية" جوهر شخصيتك: في كل مقام تبلغه، تذكر أن شرفك الحقيقي هو أن تكون "عبدًا لله"، كما شرّف النبي ﷺ بهذا الوصف في أعلى عليين.
10. وجّه طاقتك لبناء لا لهدم: انظر إلى ما تستهلك فيه وقتك وجهدك. هل هو مراء وجدال، أم بناء وإتقان؟ كن لبِنَة في صرح الحضارة، لا معولا ً يهدم جدرانها.

بهذه الوصايا، نكون قد نقلنا النور من بطن الكتاب إلى قلب الواقع، وجعلنا من هذه الآيات الكريمة برنامجًا حياتيًا متكاملا ً.
وبهذا نكون قد ارتقينا مع الآيات من يقين المصدر إلى عظمة المشهد، ومن ثبات البصر إلى شهود الآيات الكبرى. فاجعل قلبك مصدقًا، وبصرك مضبوطًا، وهيئ نفسك "لنزلة أخرى" من رحمات ربك، حتى تكون عند سدرة منتهاك عبدًا لا يزيغ ولا يطغى، فيريك الله من آياته ما تقر به عينك في الدنيا والآخرة.

القسم الثاني

المبحث الأول

يا من ذاق حلاوة اليقين في مستهل السورة، ووقف على أعتاب مشهد التلقي العظمى عند سدرة المنتهى، ورأى بعين بصيرته كيف اتصلت السماء بالأرض، وكيف ثبت فؤاد النبي ﷺ وما زاغ بصره وما طغى... تعالَ معي الآن لنخوض معركة فكرية كونية، معركة تزلزل عروش الأباطيل، وتكشف زيف المعبودات، وتحرر العقل من أسر الأساطير. نحن الآن على موعد مع الآيات (19-23) من سورة النجم، حيث ينزل الوحي كالصاعقة على رؤوس الأصنام، وحيث يُطرح السؤال الذي يزلزل الوجدان: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾؟ إنها آيات تكشف سخافة الشرك، وتناقض المشركين، وتعيد للإنسان كرامته التي

أهدرها بسجوده لحجر لا يضر ولا ينفع. إنها دعوة إلى ثورة عقلية وروحية، تنتقل بك من الخضوع للمخلوق إلى الخضوع للخالق وحده.

أولًا: مقدمة تمهيدية – في مواجهة الأصنام والأوهام

بعد أن أثبت الله جل جلاله في الآيات السابقة حقيقة الوحي وصدقه، وعظمة المصدر وقوته، وثبات النبي ﷺ في تلقي الآيات الكبرى عند سدرة المنتهى... يأتي السؤال المنطقي الذي يفرضه السياق: إذا كان هذا هو الحق اليقيني الذي لا مرية فيه، فماذا عن الباطل الذي يعتقده المشركون؟ ماذا عن تلك الأصنام التي عبدوها من دون الله؟ ماذا عن تلك القسمة الظالمة التي جعلوا فيها لله البنات ولأنفسهم البنين؟ لا بد من مواجهة الباطل بعد تثبيت الحق، ولا بد من كشف الزيف بعد بيان الصدق.

تأتي هذه الآيات الخمس (19-23) لتنتقل بنا من مرحلة "إثبات المصدر الإلهي للوحي" إلى مرحلة "هدم المصادر البشرية للضلال". إنها تنتقل بنا من الحديث عن جبريل شديد القوى، إلى الحديث عن اللات والعزى ومناة، تلك الأصنام الهزيلة التي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا. إنها آيات تجعلك ترى الفرق الهائل بين الحق والباطل، وبين القوة الإلهية والضعف الوثني، وبين الوحي السماوي والتخرص ا لأرضي. إنها آيات تحررك من كل خوف من الباطل، وتزرع في قلبك الشجاعة لمواجهته، وتجعلك تضحك من سخافة ما يعبده المشركون، ثم تبكي على حال البشرية التي أهانت عقلها وسجدت للحجر.

إن الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها هذه الآيات هي: كشف حقيقة الأصنام التي عبدها المشركون (ال لات والعزى ومناة)، بيان أنها مجرد أسماء فارغة لا حقيقة لها، إثبات أن عبادتها ليست إلا اتباعًا للظن والهوى، وتفنيد القسمة الجائرة التي جعلوا فيها لله ما يكرهون (الإناث) ولأنفسهم ما يشتهون (الذكور) ، ثم ختم المقطع بتأكيد أن الهدى الحقيقي قد جاءهم من ربهم فلم يبق لهم عذر.

أما مقاصد الآيات وأهدافها فهي: تحرير العقل البشري من عبودية الأوهام والأصنام، إقامة الحجة على المشركين بإظهار تناقضهم الفكري، إثبات أن العبادة لا تكون إلا لله الواحد القهار، وتثبيت المؤمنين على الحق وتصغير الباطل في أعينهم، وزرع روح النقد والشجاعة الفكرية في مواجهة الموروثات الخاطئة. إنها تريد أن تجعلنا ننظر إلى كل معبود من دون الله بعين السخرية والازدراء، ونستشعر كرامتنا بعبوديتنا لله وحده، ونواجه كل باطل في حياتنا بنفس المنطق القرآني القوي الواضح.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

دعنا الآن نبحر في قلب هذه الآيات التي تهدم عروش الشرك حجرًا حجرًا، وفكرًا فكرًا، محورًا محورًا ، ونحن نستلهم منها الشجاعة الفكرية، والتحرر النفسي، واليقين العقدي.

المحور الأول: كشف حقيقة الأصنام وتفنيد عبادتها (الآيات 19-21)

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (21)﴾

قف معي الآن، وتأمل هذا الاستفهام القرآني الذي يزلزل القلوب: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾. إنها ليست مجرد همزة استفهام، بل هي صرخة استنكار، وصيحة استهزاء بالباطل، ودعوة إلى إعمال العقل. "أفرأيتم" أي أخبروني، حدثوني، أنبئوني عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، ماذا تملك؟ ماذا تضر؟ ماذا تنفع؟ هل خلقت شيئًا؟ هل ترزق أحدًا؟ هل تميت أو تحيي؟

١.الأصنام الثلاثة: تاريخ من الوهم والضلال

· اللات: كانت صخرة بيضاء منقوشة، يعبدها أهل الطائف، وقيل إنها كانت لرجل صالح كان يلتّ السويق للحجاج (أي يخلطه ويطعمهم)، فلما مات عكفوا على قبره وعبدوه. فانظر كيف يتحول الصالح إلى صنم! إنه التحذير من الغلو في الصالحين.
· العزى: كانت شجرة أو سدرة يعبدها أهل مكة، وتقع في وادي نخلة. قيل إنها كانت شيطانة تأتي إليها الكهنة فيخيلون للناس أنها تتكلم. وهكذا كان الشيطان يستغبيهم. انظر كيف تتحول الشجرة إلى

إله!
· مناة الثالثة الأخرى: كانت صخرة كبيرة في مكان قريب من ساحل البحر الأحمر، تعبدها الأوس و الخزرج وقبائل أخرى. ووصفها بـ "الثالثة الأخرى" فيه تحقير لها، وكأنها شيء هامشي تافه، مجرد واحدة ثالثة في قائمة لا معنى لها، لا تستحق حتى الذكر لولا الحاجة لكشف زيفها.

٢.{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ}: المنطق المقلوب والفطرة المحرفة
بعد أن ذكرهم بأصنامهم، يأتي السؤال الذي يكشف تناقضهم العقلي والفطري. لقد كان المشركون يجعلون الملائكة بنات الله، ويعبدون الأصنام كوسائط، ومع ذلك كان أحدهم إذا بُشِّر بالأنثى اسودّ وجهه وهو كظيم، ويكره البنات لنفسه. فيأتي السؤال الإلهي كالسيف: كيف تجعلون لأنفسكم الذكور الذين تحبونهم، وتجعلون لله الإناث اللواتي تكرهونهن لأنفسكم؟! أي منطق هذا؟! أي عقل هذا الذي يرضى لإلهه ما لا يرضاه لنفسه؟! إنها حجة دامغة لا يمكن الرد عليها، تستند إلى الفطرة السليمة التي تعلم أن الكمال المطلق لله، فكيف تنسبون له ما تستنقصونه؟ إنه كشف للتناقض الداخلي في الفكر الوثني، الذي يفضحه بأبسط قواعد المنطق والعقل.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة من هذا المحور:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· نقد الموروثات: الآيات تعلمنا ألا نسلم عقولنا للموروثات والعادات بدون فحص ونقد. "أفرأيتم" هي دعوة دائمة لإعادة النظر في كل ما توارثناه دون دليل.
· كشف التناقض: الباطل دائمًا يحمل في طياته بذور فنائه، لأنه قائم على التناقض. والمطلوب من العقل المؤمن أن يكتشف هذه التناقضات ويكشفها.
· الرسائل النفسية:
· التحرر من الخوف من الأصنام المعاصرة: حين ترى أن الأصنام القديمة ما هي إلا حجارة، ستدرك أن أصنام العصر الحديث (المال، الجاه، الشهرة، الهوى) ليست أكثر منها قوة، فتعبد الله وحده بقلب حر.
· استعظام عبادة الله وحده: كلما رأيت تفاهة المعبودات الباطلة، ازددت تعظيمًا لله الواحد القهار الذي يستحق العبادة وحده.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية العقل الناقد: علم أبناءك ألا يقبلوا شيئًا لمجرد أنه سائد أو قديم، بل ليسألوا: ما الدليل؟ "أفرأيتم" هي المنهج التربوي.
· تربية الكرامة الإنسانية: أن تسجد لله وحده هو قمة كرامتك، وأن تسجد لحجر أو وهم هو قمة المهانة.

المحور الثاني: القسمة الضيزى والرد على مزاعمهم (الآيات 22-23)

{تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (23)}

١.الحكم الإلهي على عقيدة المشركين: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ}
بعد أن فضح التناقض في الآية السابقة، يأتي الحكم القاطع: هذه القسمة التي تقتسمونها، فتجعلون لله البنات ولكم البنين، لهي قسمة "ضيزى". و "ضيزى" كلمة عربية فصيحة تعني الجائرة، الظالمة، المائلة عن الحق، الناقصة، المخالفة للعدل. إنها كلمة واحدة تلخص الحكم على كل نظام فكري أو اجتماعي يقوم على الظلم والتفرقة والكيل بمكيالين. إنها ليست مجرد تخطئة لعقيدة، بل هي إعلان أن جوهر هذه العقيدة هو الجور والظلم، وأن العبادة الحقة لا تقوم إلا على العدل والإنصاف. وهذا يعلمنا أن نقيس صحة الأفكار بميزان العدل الذي جاء به الشرع، فكل ما كان جائرًا في حكمه على الله، أو على الناس، أو على النفس، فهو باطل و"قسمة ضيزى".

٢.تفنيد الجذور الفكرية للشرك: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا...}
ثم يرتقي السياق ليكشف الجذر الفكري لكل هذا الشرك والضلال. إن تلك الأصنام ليست شيئًا مذكورًا، إنها مجرد "أسماء" لا مسميات لها في الحقيقة. إنها كلمات فارغة اخترعتموها أنتم وآباؤكم، ليس لها أي وجود حقيقي، ولا تملك أي صفة من صفات الألوهية. "ما أنزل الله بها من سلطان" أي ما أنزل الله أي حجة أو دليل أو برهان على ألوهيتها، لا في كتاب، ولا على لسان رسول. فهي خالية تمامًا من أي سند سماوي أو أرضي. إنها أوهام لا حقائق، وأسماء لا معان. وهذا هو حال كل باطل: حين

تفحصه تجده مجرد وهم وكذبة كبيرة، ليس وراءه أي برهان.

٣.مصدر الضلال الحقيقي: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾
ثم ينتقل إلى بيان المصدر الحقيقي الذي يقودهم: إنهم لا يتبعون علمًا ولا يقينًا ولا دليلا ً، بل يتبعون مصدرين فاسدين:

· الظن: وهو التخمين، والتقليد الأعمى، والاحتمالات غير المؤكدة. الظن لا يغني من الحق شيئًا.
· ما تهوى الأنفس: وهي شهوة النفس، ورغبتها في اتباع ما يوافق مصالحها وأهواءها، والهوى هو إله آخر يُعبد من دون الله.

بهذا يكشف القرآن أن منبع كل ضلال في الأرض هو اتباع الظن والهوى، بدلا ً من اتباع العلم و الهدى. ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها".

٤.إقامة الحجة بوصول الهدى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾
ثم تختم الآية بالحجة البالغة: ولقد جاءهم من ربهم الهدى. لقد أرسل الله الرسول، وأنزل الكتاب، وأقام الأدلة والبراهين. فلم يعد هناك أي عذر لأحد في اتباع الباطل بعد أن بلغه الهدى. وفي هذا تذكير للمؤمن بقيمة ما معه من نور الوحي، فليتمسك به وليعتز، وليعلم أن الناس في ضلال إلا من اتبع هذا الهدى.

٥.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة من هذا المحور:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· مواجهة الباطل بالحجة والبرهان: لا نواجه الباطل بالعواطف فقط، بل بالحجة والمنطق وكشف التناقض، كما فعل القرآن.
· أهمية المصطلحات والمفاهيم: "قسمة ضيزى" تعلمنا أن نسمي الأمور بمسمياتها الشرعية والعقلية الصحيحة، فلا نخلط الحق بالباطل بألفاظ براقة.
· الفرق بين العلم والظن: كل سلوك أو عقيدة لا تستند إلى دليل قطعي هي اتباع للظن، والمطلوب هو اليقين والعلم.
· الرسائل النفسية:
· التخلص من سلطان الهوى: إدراك أن الهوى هو سبب الضلال، يدفعنا إلى محاسبة أنفسنا وعدم الا نقياد للرغبات دون ضوابط.
· الشعور بالمسؤولية: "ولقد جاءهم من ربهم الهدى" يجعل المؤمن يستشعر عظم الأمانة التي يحملها (القرآن)، ومسؤوليته في تبليغه.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية النفس على اتباع الدليل: علم نفسك وأهلك ألا تتحركوا إلا بدليل، واسألوا دائمًا: "ما الدليل الشرعي؟" ولا تركنوا للظن.
· تربية النفس على مخالفة الهوى: درب نفسك يوميًا على أن تفعل ما ينفعك ولو كرهته، وتترك ما يضرك ولو أحببته، فهذا هو الجهاد الأكبر.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

والآن، بعد أن عشنا هذه المواجهة الفكرية العظيمة، حان وقت جني الثمار، واستخلاص الدروس التي تريد هذه الآيات أن تزرعها في حياتنا.

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "منهجية النقد والتفكيك للباطل" التي تسير في خطوات متدرجة:

1.الاستفهام الاستنكاري والتحدي: تبدأ بـ "أفرأيتم" لدعوة العقل للفحص والنظر، وعدم التسليم الأ عمى.
2.عرض الباطل ووصفه: تذكر أسماء الأصنام وتاريخها الوهمي، وتصفها بأوصاف محقرة) الثالثة الأ

أخرى.(
.3كشف التناقض الداخلي: تطرح السؤال المنطقي: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ لفضح العقلية المتناقضة.
.4إصدار الحكم القاطع: تحكم على هذا الفكر بأنه "قسمة ضيزى"، أي جور وظلم.
.5تفكيك الأسس الفكرية للباطل: تبين أنها مجرد أسماء لا حقائق، ولا تستند إلى سلطان أو دليل.
.6تشخيص الداء الحقيقي: ترجع سبب الضلال إلى الظن والهوى.
.7إقامة الحجة وإغلاق باب العذر: تؤكد أن الهدى قد جاء، فلم يبق إلا الإذعان أو العناد.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة لفظ "أفرأيتم": تدل على أن الإيمان ليس تقليدًا أعمى، بل هو قائم على النظر العقلي والتدبر.
· دلالة ذكر أسماء الأصنام: فيها إهانة لها، فالله يذكرها في معرض التهديد والوعيد، ويكشف زيفها.
· دلالة وصف "الثالثة الأخرى": فيها تحقير وتصغير، فهي ليست الأولى ولا الثانية بل الثالثة، و"الأخرى" بمعنى المتأخرة الخسيسة، فلا قيمة لها.
· دلالة لفظ "ضيزى": كلمة مركزة تدل على الجور والنقصان والمخالفة للفطرة والعقل والشرع.
· دلالة "أسماء سميتموها": تدل على أن الأمر لا يتعدى كونه تلاعبًا بالألفاظ والمصطلحات بدون حقائق.
· دلالة "ما تهوى الأنفس": تدل على أن الهوى هو المحرك الأساسي للضالين، حتى لو زعموا أنهم يتبعون العقل أو المصلحة.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "تحرير العقل من الوثنية": سواء كانت وثنية قديمة) الأصنام (أو وثنية معاصرة) عبادة الأشخاص، الأفكار، المال، الهوى.(
.2قضية "نقد الموروث الاجتماعي": الآيات تعطي ضوءًا أخضر لنقد العادات والتقاليد والأفكار السائدة في المجتمع، إذا كانت مخالفة للشرع أو العقل أو الفطرة.
.3قضية "العدالة والمساواة": رفض "القسمة الضيزى" هو تأسيس لمبدأ العدل الإلهي في الحكم على الأشياء، ورفض كل تمييز ظالم.
.4قضية "مصادر المعرفة": التفريق الواضح بين مصادر المعرفة الصحيحة) الوحي، العقل السليم (ومصادر المعرفة الفاسدة) الظن، الهوى.(
.5قضية "الحجة والمسؤولية": إقامة الحجة على الناس ببعثة الرسل، وترتيب المسؤولية على من بلغه الهدى.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

.1توحيد الله في الألوهية والربوبية: أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئًا، لا صنمًا ولا وثنًا ولا هوى.
.2إعمال العقل ونبذ التقليد الأعمى: يريد منا أن نستخدم عقولنا التي وهبنا إياها في فحص ما نعتقده وما نفعله.
.3العدل في الأحكام والمواقف: أن نرفض "القسمة الضيزى" في كل صورها: في الحكم على الآخرين، وفي توزيع الحقوق، وفي النظرة للذات والآخر.
.4التثبت وطلب الدليل: ألا نقبل شيئًا بدون "سلطان" أي حجة وبرهان، خاصة في أمور الدين و العقيدة.
.5محاربة الهوى واتباع الهدى: أن نجعل شرع الله هو الحكم في أهوائنا، لا العكس، خاصة وقد جاءنا الهدى.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية والمهنية؟ (البرنامج التطبيقي)

.1نقد الذات والمجتمع) دعوة من: أفرأيتم(: خصص وقتًا لمراجعة معتقداتك وعاداتك وسلوكياتك، واسأل نفسك: لماذا أفعل هذا؟ هل هو حق أم موروث؟ هل هو وحي أم هوى؟
.2رفض التمييز الظالم) دعوة من: قسمة ضيزى(: في عملك، في أسرتك، لا تميز بين الناس على

أساس الجنس أو اللون أو النسب، فالتمييز الجائر قسمة ضيزى.
.3محاربة الأصنام المعاصرة) دعوة من: اللات والعزى ومناة(: حدد "أصنام" حياتك: هل هو هاتفك؟ رصيدك البنكي؟ منصبك؟ صورتك أمام الناس؟ ثم اسعَ لتحرير نفسك من عبوديتها.
.4التثبت من الأخبار) دعوة من: ما أنزل الله بها من سلطان(: قبل أن تشارك خبرًا أو تتبنى فكرة، تأكد من مصدرها، واسأل: أين الدليل؟ فكم من اسم وفكرة لا حقيقة لها.
.5اتباع الهدى في كل صغيرة وكبيرة) دعوة من: جاءهم من ربهم الهدى(: هذا الهدى) القرآن والسنة (هو دليلك العملي .عند كل قرار، اسأل: ماذا يقول الهدى في هذا؟

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس الفحص والنقد) من آية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾(:

· الدرس: العقل المؤمن عقل ناقد فاحص، لا يقبل أي شيء دون تمحيص، حتى لو كان معمولا ً به منذ قرون. الإيمان ليس تعطيلا ً للعقل، بل هو إطلاق له في إطار الوحي.
· التطبيق: مارس "تدقيق المعتقدات" أسبوعيًا. اسأل نفسك: هل كل ما أقوله وأفعله وأعتقده له أصل في الوحي أو في العقل السليم؟ أم هو مجرد عادة وتقليد؟

.٢درس احتقار الأصنام) من آية: ﴿اللاتَ وَالعُزّىٰ * وَمَنَاةَ الثّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾(:

· الدرس: الباطل مهما بدا عظيمًا في أعين الناس، فهو في ميزان الله حقير وتافه. لا تعظِم الباطل بخوفك منه أو بحديثك المستمر عنه.
· التطبيق: واجه مخاوفك من أصنام العصر (كفقدان المنصب أو المال) بتذكر أنها مجرد "أسماء" لا تنفع ولا تضر، وأن الرزاق هو الله. استصغر الباطل في قلبك ليذهب خوفك منه.

.٣درس رفض القسمة الجائرة) من آية: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾(:

· الدرس: كل فكر أو نظام يقوم على الظلم والجور هو قسمة ضيزى، وهو باطل، سواء كان نظامًا سياسيًا، أو اجتماعيًا، أو حتى قواعد في العمل والأسرة.
· التطبيق: راجع "قسمة" وقتك وجهدك ومالك. هل هي عادلة؟ هل تعطي الله حقه؟ هل تعطي نفسك حقها؟ هل تعطي أهلك وجيرانك حقوقهم؟ أي خلل في القسمة هو "ضيزى" يجب إصلاحه.

.٤درس مواجهة الفراغ الفكري للباطل) من آية: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾(:

· الدرس: كثير من الأفكار والفلسفات المادية المعاصرة (كالإلحاد والعدمية) ليست إلا "أسماء" براقة لا مضمون لها، ولا تقدم إجابات حقيقية عن أسئلة الوجود الكبرى.
· التطبيق: لا تنبهر بالمصطلحات البراقة. حين تسمع كلمة "حرية" أو "تقدمية" أو "حداثة"، اسأل: ما حقيقتها؟ ما مضمونها؟ هل أنزل الله بها من سلطان؟ أم هي مجرد أسماء؟

.٥درس تشخيص الداء: الظن والهوى) من آية: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾(:

· الدرس: كل مشكلة في حياتك سببها الرئيسي أحد أمرين: إما اتباعك للظن (قلة العلم، سوء التقدير) وإما اتباعك للهوى (الشهوة، الرغبة في الحرام).
· التطبيق: عند كل خطأ أو معصية، توقف واسأل: لماذا فعلتها؟ هل كان ذلك لجهل (ظن) أم لشهوة (هوى)؟ عالج الجهل بالعلم، وعالج الهوى بمخالفته والتقرب إلى الله.

.٦درس قيمة الهدى والمسؤولية عنه) من آية: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾(:

· الدرس: وجود القرآن بين أيدينا نعمة عظمى، لكنها مسؤولية. "الهدى" موجود، ولكن هل تطلب الهدى منه؟ أم أنك تقرؤه ولا تتبعه؟
· التطبيق: اجعل لك وردًا من القرآن بتدبر يومي، واسأل الله بصدق أن يهديك به. وإذا واجهتك مشكلة، فارجع إلى "الهدى" واسأل: ما الحل القرآني لهذه المشكلة؟

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

هذه الآيات الخمس تحدث في نفسك تحولات جذرية:

.1من التبعية العمياء إلى الاستقلال الفكري: سأنظر إلى الموروثات والعادات والأفكار السائدة بعين ناقدة، ولن أكون مجرد "إمّعة" يتبع الناس .سأفكر وأفحص وأسأل.
.2من الخوف من الباطل إلى احتقاره: سأتوقف عن الخوف من قوى الباطل وأعوانه، لأنهم في حقيقتهم مثل "اللات والعزى"، مجرد أسماء وأوهام، لا يملكون شيئًا، وقوتهم مستمدة من خوفنا منهم.
.3من الظلم والجور إلى العدل والإنصاف: سأرفض كل "قسمة ضيزى" في حياتي، وأسعى لإقامة العدل في نطاق مسؤوليتي، ولو كان ذلك بيني وبين نفسي فقط.
.4من عبادة الهوى إلى عبادة الهدى: سأدرك أن اتباعي لشهواتي هو نوع من الوثنية، وسأجاهد نفسي لتكون عبادتي لله وحده، وليس لهواي.
.5من التيه والضياع إلى الاطمئنان بالهدى: ما دام "الهدى" قد جاءني من ربي، فلن أشعر بالضياع الفكري أو الفلسفي .لدي بوصلة واضحة، ونور أمشي به، وحبل متين أعتصم به.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة التفكير الناقد): "أفرأيتم" هي الأداة القرآنية لتعليم هذه المهارة. التدرب على فحص الادعاءات، والتمييز بين الرأي والحقيقة، ومعرفة مصدر المعلومة.
· مهارة كشف المغالطات المنطقية: من خلال كشف تناقض المشركين (ألكم الذكر وله الأنثى)، نتعلم كيف نكتشف التناقض في حجج الآخرين وفي تفكيرنا الذاتي.
· مهارة إدارة الذات ومجاهدة الهوى: معرفة أن الهوى هو مصدر الضلال تجعلنا نطور آليات لضبط النفس، مثل: المحاسبة اليومية، وتأخير الاستجابة للشهوة، واستبدال العادات السيئة بالحسنة.
· مهارة بناء الحجة وإقامة البرهان: تعلمنا الآيات ألا نكتفي بالقول: "هذا خطأ"، بل نبين لماذا هو خطأ، ونقدم الدليل والبرهان. "ما أنزل الله بها من سلطان" تعني: لا دليل معكم، ونحن لدينا الدليل (الهدى).
· مهارة التحرر من ضغط الأقران والمجتمع): تسمية الأصنام التي يعبدها المجتمع بـ "أسماء سميتموها" يحررنا نفسيًا من الخضوع لضغط المجتمع، ويعطينا الشجاعة لنكون مختلفين حين يتبعون الباطل.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: ترسخ هذه الآيات ركنًا أساسيًا من أركان التوحيد، وهو "توحيد الألوهية"؛ أي إفراد الله وحده بالعبادة، ونفي الألوهية عما سواه. كما تؤسس لعقيدة "الولاء والبراء" التي تقتضي بغض ما يعبد من دون الله، والبراءة منه ومن أهله. وتؤكد أن مصدر العقيدة الصحيحة هو الوحي (السلطان) لا العقل المجرد ولا العادات.
· الأبعاد الدلالية: تكمن عظمة الدلالة في استخدام أساليب متنوعة للإفحام: الاستفهام (أفرأيتم)، و الوصف المحقر (الثالثة الأخرى)، والاستنكار المنطقي (ألكم الذكر)، وإصدار الحكم الأخلاقي (قسمة ضيزى)، ثم التحليل النفسي والفكري (الظن والهوى). هذا التعدد الأسلوبي يعطي الحجة قوة وتأثيرًا لا يقاوم.
· الأبعاد النفسية: تمنح هذه الآيات المؤمن شعورًا عاليًا بالتحرر الداخلي والكرامة، فهو لا يخضع إلا لله. كما تولد في النفس شجاعة لمواجهة الباطل واحتقاره داخليًا، مما يحصنها من الإحباط أو الانهزام النفسي. إنها تشفي القلب من "رهبة الباطل" وتملؤه بـ "رهبة الحق".
· الأبعاد الفكرية: تقدم الآيات منهجًا كاملا ً للتعامل مع الموروثات والأفكار السائدة، يقوم على: (1) التحدي وطلب الدليل، (2) كشف التناقض المنطقي، (3) تحليل مرتكزات الفكرة لبيان وهنها (مجرد أسماء)، (4) تشخيص الدوافع النفسية الكامنة وراءها (الظن والهوى). هذا هو درس عظيم في "فقه نقد الفكر".

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد "تحرير الإنسان": الحرية الحقيقية هي التحرر من عبودية كل ما دون الله، سواء كان صنمًا، أو فكرة، أو شخصًا، أو شهوة. هذه الآيات تهدف إلى صياغة إنسان حر، لا يركع إلا لخالقه.
· مقصد "بناء العقلية العلمية": برفض الظن والهوى، وطلب السلطان والدليل، ترسخ الآيات أسس العقلية العلمية السليمة التي لا تقبل شيئًا بلا برهان، وتفرق بين الفرضية (الظن) والحقيقة (العلم).
· مقصد "إقامة العدل الاجتماعي": برفض "القسمة الضيزى" جملة وتفصيلا ً، تؤسس الآيات لمبدأ العدل المطلق الذي يجب أن يسود في كل مجالات الحياة، فلا تمييز عنصري، ولا طبقية جائرة، ولا تفرقة ظالمة.
· مقصد "حماية الأمة من الانحراف": بتشخيص داء الظن والهوى، تقدم الآيات لقاحًا فكريًا يحمي الأ مة من اتباع الدجالين والمنحرفين، الذين يزينون الباطل بالأسماء البراقة والشعارات الجذابة.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح، قبل أن تبدأ يومك: تفقد نيتك. هل أنت ذاهب لعبادة "صنم" من أصنام العصر (الراتب، الشهادة، المدح)؟ جدد نيتك: "اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم".
· في ساعات العمل: إذا واجهت "قسمة ضيزى" في توزيع المهام أو الفرص، فلا تشارك فيها، وحاول - بحكمة - أن تقترح القسمة العادلة، ولو بالكلمة الطيبة.
· عند اتخاذ القرارات: اجعل "الهدى" هو فيصل القرار. إذا حاررت بين أمرين، فاسأل نفسك: أيهما أقرب إلى ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله؟ أيهما يوافق العلم وأيهما يوافق الظن؟ أيهما يحبه الله وأيهما تهواه نفسي بلا ضابط؟
· في نقاشاتك الفكرية: لا تكن ممن يتبعون الظن. إذا لم تكن متأكدًا من معلومة، فقل: "لا أعلم". وإذا ناقشت من يتبع هواه، فلا تستنزف طاقتك في جدال عقيم، بل أقم الحجة وانصرف، متذكرًا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

هنا نحول الشعاع القرآني إلى مصباح يضيء تفاصيل يومك. هذه الآيات ليست مجرد إخبار عن معركة فكرية مع المشركين، بل هي خريطة طريق للسلوك القويم في كل حين.

.١مفهوم "النقد والتمحيص" ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾:

· في تعاملك مع الموروثات: لا ترفض كل قديم لمجرد قدمه، ولا تقبل كل جديد لمجرد جدته. بل اعرض كل شيء، قديمًا كان أو جديدًا، على ميزان "أفرأيتم": أخبروني ما دليله؟ وما حقيقته؟ هذه هي العقلية العلمية الناقدة.
· في التربية: لا تجبر أبناءك على عادات وتقاليد اجتماعية دون أن تشرح لهم الحكمة والدليل، ولا تتعصب لموروث خاطئ أمامهم. علمهم أن يسألوا: "لماذا؟" ولكن بأدب واحترام. فالتربية على السؤال هي تربية على التفكير.
· في تلقي الأخبار والمعلومات: في عصر السوشيال ميديا، كن أسيرًا لـ"أفرأيتم". قبل أن تصدق أو تنشر، افحص المصدر، واسأل عن الحقيقة، وتأكد من "السلطان". لا تكن إمّعة، يقال لك: "قالوا" فتقول: "قالوا".

.٢مفهوم "احتقار الأصنام" ﴿اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ﴾:

· في حياتك النفسية: تعرف على "أصنامك" الشخصية. ما هو الشيء الذي تخاف فقده أكثر من الله؟ ما هو الشيء الذي تحبه أكثر من الله؟ هذا هو "صنمك". احتقره في قلبك، واسخر من فكرة أن يتحكم فيك شيء لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا. قل لنفسك: "كيف أخاف من فقدان المال والرزاق هو الله؟ كيف أرضي الناس وأغضب الله؟ هذا سخيف!".
· في ثقافتك الاستهلاكية: الإعلانات تخلق لنا "أصنامًا" يوميًا: هاتف، سيارة، ماركة ملابس. تعامل معها بمنطق "مناة الثالثة الأخرى": مجرد أسماء، لا تلهث وراءها كعابد في محراب.
· في نظرتك للطغاة والمتجبرين: كل طاغية في الأرض هو في حقيقته مثل "العزى": وهم كبير، لكنه في ميزان الله صغير حقير. استعظم الله، فيصغر كل طاغية في عينك.

.٣مفهوم "رفض القسمة الضيزى" ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾:

· في توزيع وقتك وجهدك: هل "قسمة" يومك عادلة؟ هل تعطي عملك أكثر من حق أهلك؟ هل تعطي لهوك أكثر من حق ربك؟ هل تخدم الناس وتنسى نفسك؟ أي خلل هو "قسمة ضيزى". راجع توزيع مواردك الشخصية باستمرار.
· في أحكامك على الناس: هل تحكم على أبنائك بنفس الميزان؟ هل تحابي أحدًا على حساب آخر؟ هل تطلب من الناس ما لا تفعله؟ هذا هو الجور، وهذه هي القسمة الضيزى التي يرفضها القرآن.
· في بيئة العمل: لا تقبل "القسمة الضيزى" بأن تُمنع الترقية عن المستحق، أو أن يُزاد الراتب للمحسوبية. كن صوتًا للحق والعدل ما استطعت.

.٤مفهوم "طلب السلطان والدليل" ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾:

· في حواراتك: لا تخض في موضوع ليس لك به علم. "السلطان" هو الدليل القاطع. قبل أن تتكلم، اسأل نفسك: هل معي سلطان على ما أقول؟ هل أملك دليلا ً من كتاب أو سنة أو عقل سليم؟ فإن لم يكن، فالصمت هو "السلطان" في حقك.
· في عباداتك ومعاملاتك: لا تفعل عبادة (بدعة) ولا تترك واجبًا إلا بدليل. هذه هي حياة المسلم، مقيدة بالدليل لا بالهوى والعادة. وهذا يحميك من الوقوع في الشرك الخفي: عبادة غير الله بما لم يشرع.

.٥مفهوم "تشخيص الداء: الظن والهوى" ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾:

· طبق هذا على كل خلاف: إذا اختلفت مع زوجتك، أو شريكك، أو زميلك، فبدلا ً من الاستمرار في الجدال، توقف وطبق هذه الآية. قل: "لنحلل معًا: هل موقفي قائم على الظن (سوء فهم) أم على الهوى (العناد)؟ هل موقفك قائم على الظن أم على الهوى؟ لنرجع إلى الهدى (العدل والحق) ونحتكم إليه". هذا التطبيق ينهي الخلافات من جذورها.

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

هذه المفاهيم تعالج أبعادك الثلاثة: نفسك التي تشعر، وعقلك الذي يفكر، وسلوكك الذي يتربى. إنها عملية تزكية متكاملة.

المفاهيم النفسية:

· السكينة والتحرر: عندما تدرك بعقلك وقلبك أن الأصنام التي يخافها الناس أو يرجونها ما هي إلا "أسماء لا حقائق"، تتحرر نفسك من الخوف والقلق، وتسكن إلى ربها الحق. "أفرأيتم" تشفيك من رهبة الباطل، وتملؤك برهبة الحق.
· العزة والكرامة: ترفض نفسك أن تنحني لغير الله، فتشعر بعزة المؤمن وكرامته. إن سجودك لله وحده هو مصدر عزتك، وسجود غيرك للحجر أو الهوى هو ذلهم. "تلك إذا قسمة ضيزى" تجعلك تشعر أنك على الحق المبين، وغيرك على الباطل المهين.
· الشجاعة الفكرية: تكتسب نفسك شجاعة نقد الموروثات الاجتماعية الفاسدة، وعدم الخوف من لومة لائم، لأنك تتبع "الهدى" و"السلطان"، بينما هم يتبعون "الظن والهوى". هذه الشجاعة تريح النفس من عناء التظاهر والتملق.
· استصغار الذنوب أم استعظامها؟: حين تعلم أن كل معصية هي اتباع للهوى، وأن الهوى هو "صنم" و "إله" يُعبد من دون الله، تستعظم الذنوب وتخافها، لأنك ساعتها تدرك أنك عندما تعصي الله فأنت في لحظة وثنية، تعبد فيها هواك. هذا الفهم يحدث رادعًا نفسيًا قويًا.

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· منهج الشك المنهجي البناء: "أفرأيتم" ليست دعوة للشك المطلق، بل للشك المنهجي الذي يهدف إلى الوصول لليقين. إنه فحص ما نعرفه للتأكد من صحته، وليس هدم كل شيء.
· التفكيكية القرآنية): الآيات تعلمنا كيف نفكك الفكرة الباطلة: (1) أفرأيتم (ما حقيقتها؟)، (2) إن هي إ لا أسماء (مكوناتها فارغة)، (3) ما أنزل الله بها من سلطان (لا دليل عليها)، (4) إن يتبعون إلا الظن و

الهوى (مصدرها نفسي مريض). هذا المنهج يمكن تطبيقه على أي فلسفة أو أيديولوجية باطلة.
· معيار الحق والباطل: الحق له سلطان (دليل)، ويوافق الهدى (الوحي)، ويقوم على العدل (ليس قسمة ضيزى). والباطل ليس له سلطان، قائم على الظن والهوى، وجائر ظالم. هذه معايير واضحة تريح العقل من الحيرة.
· العلاقة بين الفكر والنفس: الآية تكشف أن هناك علاقة عضوية بين الأفكار التي نتبناها وحالتنا النفسية. فكرة "عبادة الأصنام" مصدرها "ما تهوى الأنفس"، أي أن الانحراف الفكري سببه انحراف نفسي (اتباع الشهوة). هذا يعلمنا أن إصلاح الفكر يبدأ من تزكية النفس.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية العقل الناقد المسؤول: لا نربي أبناءنا على الطاعة العمياء، بل على الطاعة الواعية القائمة على الاقتناع. علمهم "أفرأيتم" بأدب؛ أي كيف يسألون ليفهموا ويصلوا لليقين، لا ليعترضوا أو يتمردوا.
· تربية الضمير الأخلاقي على العدل: "قسمة ضيزى" يجب أن تكون جرس إنذار في ضمير الطفل منذ صغره. علمه أن يرفض الجور، وأن يقسم الحلوى بالعدل بين إخوته، ليكبر وهو يكره "القسمة الضيزى" في كل شيء.
· تربية الإرادة على مخالفة الهوى: بناء على أن الضلال سببه الظن والهوى، فالتربية على الهدى هي تربية على: (1) طلب العلم لإزالة الظن، (2) الصيام والصبر والمجاهدة لكسر الهوى. هذا هو برنامج التربية العملي.
· تربية الذوق الرفيع: مجرد تسمية الأصنام بـ "الثالثة الأخرى" فيه تربية للذوق على احتقار الباطل وعدم توقيره، حتى في طريقة الحديث عنه. لا تعظم الباطل بألفاظك، بل استعمل معه لغة التصغير والتحقير، لأن هذا هو الموقف الإيماني الصحيح.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

هذه هي القفزة الكبرى: كيف نحول هذه المعاني الفردية إلى لبنات نبني بها شخصية أمة، ونقيم بها حضارة تنهض من جديد؟

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة

الشخصية المسلمة المتزنة هي التي تجمع بين القوة والعقل، والإيمان والنقد، والثبات والمرونة. وهذه ا لآيات تصنع هذه الشخصية من خلال أربعة أركان أساسية:

.1ركن الاستقلال الفكري) التحرر من التبعية(: "أفرأيتم" و "ما أنزل الله بها من سلطان" يبنيان شخصية لا تكون إمّعة، لا تذوب في المجتمع، ولا تنجرف وراء الموضات الفكرية .إنها شخصية تملك بوصلتها الخاصة) الهدى(، وتحتكم إلى دليلها) السلطان(، وهذا يجعلها صلبة قوية، لا تزعزعها الشبهات ولا الشهوات .إنه التحرر الحقيقي الذي يصنع القادة لا الأتباع.
.2ركن التوازن بين الاحترام والنقد: "أفرأيتم" تعلم الشخصية كيف توازن بين احترام الكبير) الآباء (ونقد أخطائهم .فالآية تقول: "سميتموها أنتم وآباؤكم"، فهي تعترف بأن الآباء لهم دور، ولكنها ترفض تقديس أخطائهم .هكذا تُصنع شخصية تحترم التراث ولكنها لا تقدسه، تبني على الإيجابي وتنقد السلبي، فلا هي قطيعة ولا هي جمود.
.3ركن ضبط الشهوات والظنون) الانضباط المنهجي(: "إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس" هو تحذير من آفتي العقل: الجهل والشهوة .الشخصية المتزنة تُبنى على التحرر منهما معًا .هي شخصية لا تقول على الله بغير علم، ولا تندفع وراء رغباتها دون ضوابط .هذا الانضباط المنهجي هو سر قوتها العلمية والأخلاقية معًا.
.4ركن الإحساس بالعدالة) المسؤولية الاجتماعية(: رفض "القسمة الضيزى" يعني أن الشخصية المتزنة شخصية أخلاقية، لا تقبل الظلم على نفسها ولا على غيرها .هي شخصية "عدالة" في ميزانها، في أحكامها، في توزيعها للحقوق .وهذا يجعلها عنصر خير وإصلاح في أي مجتمع.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة

النهضة الحضارية ليست مجرد أبراج وتكنولوجيا، بل هي قبل ذلك "إنسان متحضر". وهذه الآيات تقدم المبادئ المؤسسة لبناء هذا الإنسان، الذي هو عماد العمران:

.1مبدأ النقد أساس النهضة العلمية: "أفرأيتم" هو شعار العلم .النهضة العلمية في أوروبا قامت على مبدأ الشك المنهجي والنقد وعدم التسليم بالمسلمات .هذا المبدأ هو نفسه الذي يزرعه القرآن في عقل المسلم .أمة لا تمارس "أفرأيتم" على أفكارها وأوضاعها، لا يمكن أن تنهض علميًا، لأنها ستظل أسيرة للظن والخرافة.
.2مبدأ تحرير الطاقة من الأوهام أساس البناء الحضاري: أمة تعبد "اللات والعزى ومناة" المعاصرة) الأشخاص، القبور، الأيديولوجيات الوثنية (أمة تهدر طاقتها الروحية والفكرية في العبادة لغير الله، وبالتالي في الخوف والرجاء من غير الله .هذا يقتل الإبداع والمبادرة .أما التوحيد الذي تؤسس له هذه الآيات فيحرر هذه الطاقة الهائلة، ويوجهها لله وحده، ثم لبناء الأرض وعمارتها .التوحيد هو أعظم قوة محررة للطاقة الحضارية في التاريخ.
.3مبدأ العدالة) رفض القسمة الضيزى (أساس العمران الاجتماعي: لا تنهض حضارة على "قسمة ضيزى" .التمييز العنصري، والطبقية، والمحسوبية، واحتكار الفرص، كلها "قسمة ضيزى" تهدم المجتمعات من الداخل .الآيات تؤسس لمبدأ العدل المطلق كأساس للعمران، فالمجتمع الذي يطبق "تلك إذا قسمة ضيزى" على كل نظام فيه، لا بد أن ينهض، لأن طاقات الجميع ستُستثمر بعدالة، لا أن تهدر لصالح فئة على حساب أخرى.
.4مبدأ السلطان والدليل أساس المعرفة والمؤسسية: "ما أنزل الله بها من سلطان" يعني أن أي فكرة، وأي مشروع، وأي نظام، يحتاج إلى "سلطان" أي إلى دليل وحجة وبرهان .الحضارة تقوم على المؤسسات والقوانين والمعرفة الموثقة .رفض "الظن" و"الأسماء بلا مسميات" هو تأسيس لمنهجية علمية وإدارية صارمة، ترفع من كفاءة المجتمع كله، فلا مكان فيها للأوهام والارتجال.
.5مبدأ اتباع الهدى أساس وحدة المجتمع وتماسكه: حين تجعل أمةٌ القرآنَ والسنةَ "الهدى" الذي وحدها الله به، فإنها تمتلك منظومة قيم واحدة، ومرجعية واحدة عند الاختلاف .هذا يحميها من التمزق والصراع على "الأسماء" والفلسفات الوافدة ."ولقد جاءهم من ربهم الهدى" هو إعلان أن لدينا ما يغنينا عن كل فكر دخيل، وأن وحدتنا وقوتنا في عودتنا إلى هذا الهدى وتحكيمه في حياتنا.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات تحطيم الأصنام

اجعل هذه الوصايا العشر، المستخلصة من قلب الآيات، زادك ليومك، ودستورك لحياتك، لترتقي في مدارج الكمال والتحرر الحقيقي:

.1مارس "أفرأيتم" يوميًا: لا تسلم عقلك لأحد .افحص كل فكرة وعادة قبل أن تتبناها، واسأل: ما دليلها؟ هل هي حق أم موروث؟
.2استصغر آلهة الأرض: كل ما يخيفك أو يغريك من دون الله) مال، منصب، مدير، حاكم (هو في حقيقته مثل "مناة الثالثة الأخرى"، وهم كبير، استصغره في قلبك ليسقط خوفه.
.3ارفض "القسمة الضيزى" في حياتك: كن عادلا ً في توزيع وقتك ومالك وحبك، وارفض الظلم أينما رأيته .الظلم هو الجور الذي يمقته الله.
.4لا تعش عبدًا للهوى: "ما تهوى الأنفس" هو إله خطير .كلما تحركت لفعل شيء، اسأل نفسك: أهو هدى أم هوى؟ وخالف هواك مرة كل يوم على الأقل لتقوى إرادتك.
.5اطلب "السلطان" قبل أن تتحرك: لا تقل كلمة، ولا تتخذ قرارًا، ولا تبنِ موقفًا إلا بدليل .من العلم أن تقول فيما لا دليل عليه: "لا أعلم".
.6فرّق بين الظن والعلم: لا تنشر الشائعات، ولا تحكم على النوايا، ولا تبشّر بتحليلات غير مؤكدة . اجعل شعارك: "إما علم وإما سكوت".
.7احمل "الهدى" بمسؤولية: القرآن بين يديك، وهو حجة لك أو عليك .اقرأه يوميًا بنية العمل، لا بنية الأجر فقط .اسأله عن حلول مشكلاتك.
.8حطم أصنامك الشخصية: اكتب قائمة بأعز ما تملك وما تخشى عليه، ثم قل لنفسك: "هذا لا يضر ولا ينفع، الله هو الضار النافع" .حرر قلبك من التعلق.
.9ناقش بالحجة لا بالصوت العالي: حين تواجه باطلا ً، استعمل "السلطان" والحجة والمنطق، كما علمتنا الآيات .لا تغضب ولا تثر، فالحق يعلو بالدليل لا بالانفعال.
.10كن أنت "الهدى" الذي يراه الناس: بأخلاقك، بعدلك، بصدقك، بعلمك، كن نموذجًا حيًا للإنسان الذي حرره القرآن من عبادة الأوهام إلى عبادة الله وحده.

بهذه الوصايا، نكون قد هدمنا أصنامنا الداخلية، وبنينا شخصياتنا على التوحيد والعدل والعلم، وجعلنا من هذه الآيات الكريمة ثورة فكرية وروحية في حياتنا. اللهم حررنا من عبودية كل ما سواك، واملأ قلوبنا بعبوديتك وحدك، واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

المبحث الثاني

بعد أن عرفت أن العبادة لا تكون إلا لله الواحد القهار، وأن اتباع الظن والهوى هو عين الضلال... تعالَ معي الآن لنغوص في أعماق النفس الإنسانية، حيث تدور أشرس معاركها: معركة الشهوة والأماني. نحن على موعد مع الآيات (24-26) من سورة النجم، حيث ينزل الوحي ليكشف عن أخطر أمراض القلوب: "مرض التمني" الذي يفسد الفطرة، ويحطم الإرادة، ويجعل الإنسان عبدًا لأوهامه. إنها آيات تنتقل بنا من هدم الأصنام الحجرية في الخارج، إلى هدم الأصنام النفسية في الداخل، وتؤسس لنا ميزانًا دقيقًا نزن به أمانينا، ونضبط به شهواتنا، ونعرف به حقيقة ملكية الله للكون كله، فلا نتمنى إلا ما يرضيه، ولا نخاف إلا منه، ولا نرجو إلا إياه.

أولًا: مقدمة تمهيدية – في معركة الأماني وملكية الله للكون

بعد أن كشف الله جل جلاله في الآيات السابقة زيف الأصنام) اللات والعزى ومناة(، وبيّن أن عبادتها إن هي إلا اتباع للظن والهوى، وأثبت أنه ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ ...يأتي السؤال المنطقي: إذا كان الهدى قد جاء، فلماذا يصر البعض على الضلال؟ لماذا يتمسك الإنسان بالأوهام والأماني الكاذبة؟ كيف يمكن لإنسان عاقل أن يسمح لشهواته وأمانيه أن تقوده إلى الهلاك؟ من هنا تأتي هذه الآيات الث لاث24) - (26لتجيب عن هذه الأسئلة بمنطق رباني محكم، وتربية إيمانية عميقة، وتشريح دقيق لأ عماق النفس البشرية.

إن الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها هذه الآيات هي: بيان أن مجرد التمني لا يغير من الحقائق شيئًا، وأن الكون كله ملك لله وحده في الدنيا والآخرة، فلا يُعطي ولا يمنع إلا هو، ثم بيان حقيقة الملائكة وأنهم عباد مكرمون لا يملكون شفاعة إلا بإذن الله، وذلك ردًا على أوهام المشركين الذين زعموا أنهم يشفعون لهم، أو أنهم بنات الله.

أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: تهذيب وتقويم قوة الشهوة) الحب (التي منحها الله للإنسان، وضبط بواعثها التي تحرك الإرادة .ذلك أن فساد هذه القوة هو الذي يحطم النفس وينتقص من قيمة الإنسان .فجاء الخطاب القرآني بأسلوب استفهامي: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ لبيان أن الإنسان ينبغي أن يكون له إرادة يقودها، ولا يسلم قيادها للأهواء والأماني النفسية .فلا بد من ضابط إلهي يضبط البواعث التي تحرك قوة الشهوة) الحب(، ويجعلها موافقة للفطرة، ومؤدية إلى الكمال المطلوب للإ نسان، وذلك بامتثال منهج الله عن حب ورضا وإرادة للفعل، وإن خالف رغبات النفس، كي تحفظ الفطرة ويمنع فسادها .وتريد الآيات أن تجعلنا نراقب الله في أمانينا لأن تلك الخواطر تؤثر في النفس، فالخير لا يحصل بمجرد التمني، بل لا بد من العمل .كما ترسخ فينا حقيقة أن الأماني لا تغير من الواقع شيئًا، فالحق يظل حقًا، والباطل يظل باطلا ً .وفي ذلك إشارة إلى أنه يجب على الإنسان أن يكون لديه ميزان عدل يزن به الأشياء، كي يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل، وبين المهتدي و الضال، فلا يكون الهوى والجهل هو الميزان، لأنه يقوم على الوهم الذي لا دليل ولا سند له .كما توجه الآيات الإنسان ألا يقيم الحقيقة وفقًا لما يحب ويتمنى، ليتوصل إلى نتيجة يتمنى حصولها، بل يجب أن يكون للحقيقة معطيات وأسباب توصل إليها تستند إلى أدلة صحيحة .ثم يأتي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ ليؤكد أن الله هو المالك للدنيا والآخرة، فمن أحب الدنيا فالله هو الذي يمنح العطاء، ومن أحب الآخرة فالله هو الذي يمنح الثواب .وهنا ملاحظة دقيقة: أن الآية سبقها تحذير من مرض الغفلة وطلبات الهوى التي تجد الأماني في النفوس، فتلتقي معًا وتمنحان الشهوة ذروة وسلاحًا شديدًا لتقوم بهجماتها على النفس .فالله بالآية ينكر على الإنسان تسليم قياده للرغبات والأماني، فهي تمنح الشهوة سلاحًا فتاكًا يفتك بهذا الإنسان نفسه .كما أن هذا الأسلوب في الخطاب الرباني يتوجه إلى العقل، فالله يخاطب الإنسان في هذه الآيات بالمنطق، ويتساءل: كيف للإنسان أن يسمح للأماني أن تتسبب في هلاكه؟ أليس جديرًا به أن يقاوم تلك الخواطر والأماني القذرة، وألا يسلم قياد نفسه للشهوات والأماني الفاسدة بقليل من الصبر مع ذكر الله؟ ثم إن الله هو المالك والمتصرف في اليوم ا لآخر وفي الدنيا، والكون كله لله .ونستفيد من هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله أن يكون خطابنا للعقول، نوقظها بالمنطق، ونحركها بالتساؤلات، حتى تصل إلى الحق باقتناع .كما يجب مراعاة ما ورد في الآية من الابتداء في الإشارة إلى ملكية الله لليوم الآخر على الدنيا: ﴿وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ .ما المراد بهذا التقديم؟ إنه يقول للإنسان: إنه بجانب الصبر وذكر الله لمقاومة الأماني، عليك النظر إلى عاقبة السير وراء تلك الأماني والانقياد للشهوات، وأنك لست مهملا ً في الدنيا تفعل ما تشاء، فهنالك حساب وعقاب على الأعمال .أيضًا، الحياة الدنيا ومن فيها تقتضي أن الله وحده هو الذي يحدد ما المسموح به لهذا الإنسان من الأعمال والأقوال والخواطر والأماني، وما يحرم عليه .ولهذا فإن الله هو الذي ينزل الكتب السماوية التي ترشد الناس وتؤهلهم إلى طريق الهداية، كما ورد في الآية السابقة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ .وبالتالي فإن الحقيقة بيقين، والإيمان باليقين بالمنهج السليم والرشيد

الذي لا يجالبه الباطل، هو في القرآن الذي أنزله الله على رسوله، وأن فيه الضابط الذي يضبط قوة الشهوة) الحب والإرادة(، ويضبط قوة الغضب) البغض والكراهية(، وقوة العقل) الإيمان والعلم .(وإن على المؤمن مقاومة الأماني الفاسدة بالصبر وذكر الله، والخوف من اليوم الآخر، والسعي في الدنيا با لأعمال الصالحة التي ينال بها رحمة الله، وفقًا لقاعدته: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .فحصول العلم باليوم الآخر يوجب التقوى والخشية، رجاء رحمة الله وغفرانه، وبذلك تصان الفطرة وتحفظ من العبث والفساد الذي يحصل بالأماني وغيرها من المؤثرات السلبية .فكان أعظم ما حملته الرسل: التوحيد والإخلاص، الذي يحفظ القلب من الفساد، وهو المقصود من خلق الإنسان وهو عبادة الله .وكذلك ما يقتضيه التوحيد: أن يكون الحب في الله والبغض في الله، وهذا من حفظ قوة الغضب من الانحراف إلى رغبة الانتقام للذات، أو حب الشهوات وتحريك البواعث لإرادة ارتكابها .فإذا أدركت هذه المفاهيم، فإنك تتخلص من أوهام الشرك والمشركين، وشهوات الأماني وآثارهم السلبية، وتدرك أن العدل يقتضي عدم التسوية بين أفعال المسيء والمحسن، فالمسيء لا بد من العقاب له على أفعاله .فإنك ترى من العلم المكشوف لك ما لا يراه الجهال المنكرون لليوم الآخر، فيكون نظرك إلى عاقبة الأمور والعذاب الذي سوف يقع عليك إن اتبعت الأماني .ولأن الكون في كله بيد الله ومملوك له، فانظر إلى عظمة من تتمنى معصيته، فأنت لا تساوي شيئًا في ملكه في الدنيا والآخرة .

ثم تأتي الآية 26 لتؤكد حقيقة الملائكة: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ .فهي ترد على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، وصمموا أصنامًا أشهرها اللات والعزى ومناة، وقالوا إن تلك الأصنام تجسيد للملائكة بأسمائها المؤنثة . فالآية ترد عليهم ببيان أن هناك أعدادًا كثيرة جدًا من الملائكة في السماوات، وهم عباد الله وحده، وليسوا بناته، بل هم عباد مكرمون، لا يملكون شفاعة لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .وهذا فيه أعظم ردع للأماني الوثنية التي تعلقت بالشفعاء والوسطاء.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

دعنا الآن نبحر في قلب هذه الآيات الجليلة، محورًا محورًا، لنستخرج منها الدواء الشافي لأمراض النفس، والمنهج القويم لضبط الأماني والشهوات.

المحور الأول: منطق التمني وقانون الجزاء) الآية(24

﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ(24) ﴾

قف معي الآن عند هذا الاستفهام الإلهي الذي يهز الأعماق ."أم" هنا للإضراب والانتقال من بيان بطلان عقائدهم إلى بيان بطلان أمانيهم .إنها تنقل المعركة من الخارج) الأصنام (إلى الداخل) الأماني و الرغبات.(

.١معنى الآية وتفسيرها:
ليس الإنسان كذلك، ليس له أن ينال كل ما يتمنى ويشتهي بمجرد التمني، بل لا بد من العمل و الكسب، ولا بد من أن تكون أمانيه موافقة لإرادة الله وشرعه، فإن خالفت فلا قيمة لها .إنها قاعدة عظيمة: التمني وحده لا يصنع واقعًا، ولا يغير حقيقة، ولا ينيل خيرًا، ولا يدفع ضرًا .فمن تمنى الجنة بلا عمل فهو مخطئ، ومن تمنى الهداية بلا سعي فهو واهم، ومن تمنى زوال الباطل دون جهاد فهو غارق في الوهم.

.٢دلالات الآية في تهذيب قوة الشهوة وضبط الإرادة:
هنا يظهر المقصد العظيم: تهذيب قوة الشهوة .إن قوة الشهوة) الحب (التي أودعها الله في الإنسان هي طاقة محايدة، يمكن أن ترقى به إلى أعلى عليين إن وُجهت توجيهًا صحيحًا، ويمكن أن تهوي به إلى أسفل سافلين إن تركت بلا ضابط .والإنسان إذا استسلم للأماني بلا عمل، وسلم قياده للهوى بلا ضابط شرعي، فقد أفسد هذه القوة، وجعلها تطغى فتحطم نفسه .فالآية تعلمنا أن الأماني ليست هي التي تحقق الخير، بل العمل المقرون بالإرادة الصادقة، الموافقة لمنهج الله .والتمني بلا عمل هو عين الكسل والغفلة، وهو الذي يجعل الشهوة سلاحًا مدمرًا .لذلك، وجب على الإنسان أن يراقب الله في أمنيته، وأن يسأل نفسه: هل هذه الأمنية توافق الفطرة؟ هل تقربني إلى الله أم تبعدني عنه؟ هل هي من الخواطر التي إن تغذت تحولت إلى شهوة فاتكة؟ إن مجرد مراقبة الخواطر هو الخطوة الأولى في ضبط قوة الشهوة.

.٣رسالة في ميزان العدل وعدم تغيير الحقائق:
وفي الآية معنى آخر دقيق: الأماني لا تغير من الحقائق شيئًا .فالحق حق والباطل باطل، سواء تمنى

الإنسان ذلك أم لا .لا يمكن للمرء أن يقيم الحقيقة وفق ما يحب ويتمنى، فيزين لنفسه الباطل لأنه يشتهيه، ويُقبح الحق لأنه يخالف هواه .هذا هو ميزان العدل الذي يجب أن يزِن به الإنسان الأمور . أما من يجعل الهوى والجهل ميزانًا له، فإنه يزن بميزان يقوم على الوهم الذي لا دليل ولا سند له . وكما قال الله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ .فالآية توجه الإنسان ألا يقيم الحقيقة وفقًا لما يحب ويتمنى ليتوصل إلى نتيجة يتمنى حصولها، بل يجب أن يكون للحقيقة معطيات وأسباب توصل إليها، تستند إلى أدلة صحيحة.

.٤الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· قانون السببية: الأماني لا تغني عن الأسباب .العقل السليم يدرك أن حصول أي مطلوب يحتاج إلى عمل وسعي وأخذ بالأسباب، وهذا هو ناموس الله في الكون.
· رفض التبريرات الوهمية: العقل لا يقبل أن يجعل الإنسان أمانيه دليلا ً على صحة موقفه ."أنا أتمنى أن أكون على حق" ليس دليلا ً على أنك على حق.
· الرسائل النفسية:
· النضج العاطفي: الأماني جزء من الطبيعة البشرية، ولكن النضج هو في توجيهها وضبطها، لا في ا لانقياد لها.
· التحرر من سطوة الهوى: متى أدركت أن التمني لا يغير الواقع، تحررت من عبودية الأماني، وأصبحت أكثر واقعية وقوة.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية الإرادة: علم نفسك أن تترجم الأماني النبيلة إلى خطط وأعمال .لا تكتفِ بتمني النجاح، بل ادرس .لا تكتفِ بتمني الهداية، بل اطلبها وسل عنها.
· تربية ملكة المراقبة: درب نفسك على مراقبة خواطرها، وفلترة أمانيها، ليموت كل خاطر سيئ في مهده.

المحور الثاني: ملكية الله المطلقة) الآية(25

﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ(25) ﴾

.١المعنى والدلالة:
لما قال: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ بيّن أن الأمر ليس كذلك، بل لله الآخرة والأولى، أي أن الله هو المالك والمتصرف في الدنيا والآخرة، يؤتي ما يشاء، ويمنع ما يشاء، لا ما تمناه الإنسان وهواه.

.٢لماذا قدمت الآخرة على الأولى؟
هذا تقديم عظيم الدلالة، ففيه عدة رسائل:

· النظر إلى العاقبة: المعنى: إن كنت تريد أن تضبط أمانيك، فلا تنظر إلى الدنيا فقط، بل انظر إلى العاقبة في الآخرة .تذكر أن الدنيا فانية، وأن الحساب آتٍ، وأنك لست مهملا ً تفعل ما تشاء .وهذا الخوف من اليوم الآخر هو الضابط الأكبر للشهوات والأماني.
· بيان أن الآخرة أعظم: لأن شأن الآخرة أعظم، وهي دار القرار، والدنيا مجرد ممر.
· رد على المشركين: الذين كانوا ينكرون الآخرة أصلا ً، فقدمها لبيان أن لها وجودًا حقيقيًا وهي الغاية.

.٣كيف تضبط هذه الآية قوة الشهوة والغضب؟
الله هو المالك للكون كله .فمن أحب الدنيا، فالله هو الذي يمنح العطاء .ومن أحب الآخرة، فالله هو الذي يمنح الثواب .فعلامَ تعلق أمانيك بغيره؟ علامَ توجه رغباتك لسواه؟ إن التأمل في ملكية الله المطلقة يولد في النفس:

· حبًا لله منضبطًا: فتحب ما يحبه الله، لأن الخير كله بيده.
· خوفًا من الله رادعًا: فإذا هممت بأمنية محرمة، تذكر أنك واقف في ملكه، وأنه سائلك عنها، فتنكف النفس.
· رجاءً في الله باعثًا: فترجو منه وحده أن يحقق لك الخير، فتتوجه إليه بالدعاء والعمل، لا بالتمني الكسول.

.٤الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الفكرية: الكون له مالك واحد متصرف، وهذا يعني أن هناك نظامًا أخلاقيًا يحكمه، وهو نظام الجزاء بالخير والشر.
· النفسية: الطمأنينة بأن الرزق والعطاء بيد الله وحده يحرر النفس من التعلق بالبشر ومراءاتهم، ومن القلق على المستقبل.
· التربوية: تربية المؤمن على أن يجعل مخافة الآخرة رقيبًا داخليًا، فيراقب أمانيه وأعماله، لأن الله م الك الدنيا والآخرة.

المحور الثالث: تحطيم أوهام الشفعاء والوسطاء) الآية(26

﴿وَكم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (26)﴾

.١المعنى والتفسير:
"كم" هنا خبرية تفيد التكثير، أي أن عدد الملائكة كثير جدًا، وهم في السماوات، في منزلة عالية وقرب من الله .ومع ذلك، هم عباد مكرمون، لا يملكون شفاعة لأحد، ولا يستطيعون نفع أحد، إلا بعد أن يأذن الله لهم بذلك .وهذا الأذن الإلهي مقيد بشرطين: أن يكون المشفوع له ممن يشاء الله أن يُشفع فيه، وأن يكون ممن يرضى الله قوله وعمله.

.٢هدم الأماني الوثنية:
المشركون تمنوا شفاعة الأصنام، وزعموا أنها تماثيل للملائكة، وأن الملائكة بنات الله .فتأتي هذه الآية لتحطم هذه الأماني من أساسها:

· الملائكة ليسوا بنات الله، بل هم عباده.
· هم ليسوا أربابًا، بل جنود مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم.
· هم لا يشفعون بأنفسهم، بل بأمر الله.
· الشفاعة لا تنال بالتمني والهوى، بل بالإيمان والعمل الصالح الذي يرضاه الله.

.٣توجيه قوة الحب نحو الله وحده:
إذا كان هؤلاء الملائكة العظام، مع كثرتهم وقربهم، لا يملكون شفاعة إلا بإذن الله، فكيف بغيرهم من البشر أو الجمادات؟ هذا يوجه قوة الحب والتعلق نحو الله وحده، فهو صاحب الأمر كله .وهذا من ثمرات التوحيد: أن يكون الحب في الله ولله، فيحب الإنسان ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله . وبذلك تنضبط قوة الحب) الشهوة (وقوة البغض) الغضب(، فلا تنحرف الأولى إلى حب المحرمات، ولا الثانية إلى بغض الطاعات أو الانتقام للذات.

.٤الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية:
· تحرير العقل من الوساطة الوهمية: لا يوجد واسطة بين الله وخلقه في العبادة والطلب .هذا يحمي العقل من الخرافة والاستغلال.
· الشفاعة أمل مشروط: الأمل في الشفاعة لا يكون بالتمني، بل بتحقيق شروطها: الإيمان والعمل الصالح.
· الرسائل النفسية:
· قطع التعلق بغير الله: حين تدرك أن لا أحد يملك لك ضرًا ولا نفعًا ولا شفاعة إلا بإذن الله، ينقطع قلبك عن التعلق بالمخلوقين، ويتعلق بالخالق وحده، وهذا قمة الحرية النفسية.
· الخوف والرجاء المتوازنان: الخوف من عدم استحقاق الشفاعة يدفع للعمل، والرجاء في رحمة الله وإذنه بالشفاعة يمنح الأمل.
· الرسائل التربوية:
· تربية الإخلاص: أن تعمل العمل الصالح الذي يرضاه الله، لا لتكون مقبولا ً عند الناس، بل ليرضى الله عنك، فتكون أهلا ً لشفاعة الشافعين بإذنه.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟) المنظومة المعرفية(
نفهم الآيات من خلال "منهجية تحرير الإرادة الإنسانية من أسر الأوهام":

.1تشخيص المرض: تحديد أن مشكلة الإنسان ليست فقط في معبوداته الخارجية، بل في أمانيه الداخلية التي تقوده للباطل.
.2نفي العلاج الخاطئ: بيان أن الأماني والرغبات المجردة لا تحقق شيئًا ولا تغير حقيقة.
.3إثبات العلاج الصحيح: الإقرار بملكية الله المطلقة، مما يعيد توجيه البوصلة النفسية.
.4هدم الأوهام المانعة من الشفاء: بيان أنه لا يملك أحد في الكون شيئًا إلا بإذن الله، فلا متعلق إلا الله.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟) الأبعاد والإشارات الدقيقة(

· دلالة "أم": إضراب وانتقال يدل على أن الكلام انتقل من بيان بطلان المعبودات إلى بيان بطلان الدوافع والرغبات.
· دلالة "ما تمنى": عموم يشمل كل أمنية، سواء كانت متعلقة بالدنيا أو الآخرة، باطلا ً كانت أو حقًا، لكنها تقيد بأن نيلها ليس بمجرد التمني.
· دلالة تقديم "الآخرة" على "الأولى": للدلالة على أولوية النظر إلى العاقبة، وللتأكيد على وجودها وحتميتها.
· دلالة "كم من ملك": إشارة إلى كثرة الملائكة وعظمتهم، وفي هذا رد على من زعم أنهم بنات الله، وبيان أنه حتى هؤلاء العظام لا يملكون شيئًا.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية تمني الباطل والاغترار بالأوهام: الآيات تعالج ظاهرة نفسية خطيرة، وهي تسليم الإنسان قياده لأمانيه، ظانًا أنها ستنفعه وتغير واقعه.
.2قضية ضبط الشهوات وتهذيب الإرادة: هذه هي القضية المركزية .كيف نضبط بواعث قوة الشهوة)الحب (لتحريك الإرادة نحو ما يوافق الفطرة ويرضي الله؟
.3قضية ملكية الله للكون: ترسيخ عقيدة أن الله هو المالك المتصرف، فيرتبط رجاؤنا وخوفنا به وحده.
.4قضية الشفاعة والوساطة: تصحيح مفهوم الشفاعة، وربطها بإذن الله ورضاه، لا بالتمني واتخاذ الوسطاء.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟) المطالب الإيمانية(

.1مراقبة الخواطر والأماني: يريد منا أن نحاسب أنفسنا على أمانينا، وأن نعلم أنها تؤثر في النفس سلبًا أو إيجابًا.
.2ربط الأماني بالعمل: ألا نكون كسالى، نتمنى ولا نفعل .الإيمان ليس أماني، بل هو قول وعمل.
.3الإقرار لله وحده بالملك: أن نوقن أن الله هو مالك الدنيا والآخرة، فلا نطلب العطاء إلا منه، ولا نخشى المنع إلا منه.
.4تحقيق التوحيد في الحب والبغض: أن نضبط قوة الحب وقوة الغضب وفق شرع الله، فنحب ما يحبه، ونبغض ما يبغضه.
.5عدم اتخاذ الوسطاء من دون الله: أن نتوكل على الله مباشرة، ونسأله وحده، مع اليقين بأن الشفاعة لا تكون إلا لمن ارتضاه الله.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية والمهنية؟) البرنامج التطبيقي(

.1ترجمة الأماني إلى أهداف عملية: بدلا ً من تمني النجاح، ضع خطة دراسية .بدلا ً من تمني

السعادة الأسرية، اعمل بأسبابها.
.2جلسات محاسبة للأماني: خصص وقتًا أسبوعيًا لتراجع أمانيك .ماذا تمنيت هذا الأسبوع؟ هل وافق ذلك مرضاة الله؟ هل أفضى إلى عمل صالح أم إلى كسل وأوهام؟
.3في بيئة العمل: لا تبنِ القرارات على الأماني والرغبات، بل على الحقائق والمعطيات والأدلة .لا تتمنى نجاح المشروع، بل ادرس جدواه، واعمل بجد، وتوكل على الله.
.4في التربية: علم أبناءك الفرق بين الأمنية والهدف .الأمنية: "أتمنى أن أصبح قويًا" .الهدف: "سأتمرن ثلاث مرات أسبوعيًا لأصبح قويًا" .دربهم على التفكير السببي المنطقي.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس بطلان الأماني المجردة) من: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾(:

· الدرس: الخير لا ينال بالتمني، بل بالعمل .والأماني قد تكون خواطر حسنة أو سيئة، فيجب فلترتها، فالخواطر تؤثر في النفس وتحرك الإرادة.
· التطبيق: كلما وجدت نفسك غارقًا في أمنية، قل لنفسك: "وماذا بعد؟ ما هو العمل المطلوب؟" اربط كل أمنية بمبادرة عملية ولو صغيرة.

.٢درس امتلاك ميزان العدل) من: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾(:

· الدرس: لا تقيم الحقائق بناء على ما تحب وتتمنى .لا تجعل هواك ميزانًا للحق والباطل .فهذا هو الجهل الذي يقوم على الوهم.
· التطبيق: إذا اختلفت مع شخص، فلا تحكم على صحة موقفك لأنك "تتمنى" أن تكون على صواب . ابحث عن الأدلة الموضوعية، واسأل: ما الذي يدعم موقفي من الكتاب والسنة والعقل السليم؟

.٣درس الملكية المطلقة لله) من: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾(:

· الدرس: إذا كان الكون كله ملكًا لله، فعلامَ أخاف من غيره؟ علامَ أرجو غيره؟ تذكر دائمًا من هو المالك الحقيقي، فتهون كل الصعاب، ويقوى رجاؤك في الله.
· التطبيق: عند الخوف من الفقر، أو من سلطة مدير، أو من ظالم، ردد بقلبك: "لله الآخرة والأولى" . قل: "اللهم مالك الملك، أنت الذي بيدك كل شيء، فاحمني واكفني".

.٤درس مقاومة الأماني الفاسدة بالصبر وذكر الله) من السياق العام(:

· الدرس: الأماني الفاسدة تلتقي مع الغفلة فتمنح الشهوة سلاحًا قويًا لمهاجمة النفس .ومقاومتها تكون بالصبر وذكر الله والنظر في العاقبة.
· التطبيق: إذا هاجمتك أمنية محرمة، أو خاطر قذر، فاستعمل سلاح الصبر: امنع نفسك لحظات، واشغلها بذكر الله، وقل: "اللهم إني أسألك العافية" .وتذكر أن الاستجابة لهذه الأمنية ستقود إلى حساب الله في الآخرة.

.٥درس الشفاعة الحقة) من: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ...﴾(:

· الدرس: لا تتكل على شفاعة أحد دون عمل .اعمل صالحًا ليرضى الله عنك، فتكون من الذين تشملهم الشفاعة بإذن الله.
· التطبيق: بدلا ً من أن تقول: "الرسول يشفع لي"، قل: "اللهم ارزقني عملًا صالحًا يرضيك عني، واجعلني أهلا ً لشفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم".

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الوهم إلى الواقعية: سأكف عن إضاعة الوقت في أحلام اليقظة والأماني الفارغة، وسأصبح شخصًا عمليًا يخطط ويعمل ويحقق.
.2من العبودية للرغبات إلى السيادة على النفس: سأدرك أن الأماني إذا لم تضبط تصبح قيدًا وعبودية، وسأجاهد نفسي لأكون سيدًا لها، أقودها ولا تقودني.

.3من الخوف من الناس إلى الخوف من الله وحده: لأن الله هو مالك الدنيا والآخرة، فلا سلطان لأ حد على قلبي سواه .سأخاف عقابه، وأرجو ثوابه، ولا أبالي بلومة لائم.
.4من الاتكال على الوسائط إلى مباشرة الله بالطلب: لن أطلب الشفاعة أو النفع من مخلوق، بل سأطلبها من الله الذي يملكها، وأعمل للوصول إلى مرضاته.
.5من النظرة السطحية للعمل إلى استحضار النية والمرضاة: سأجعل كل عمل أعمله مرتبطًا بنية أن يرضى الله عني، لعل ذلك يكون سببًا في أهليتي لرحمته وشفاعة الشافعين.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة إدارة الأماني وتوجيهها: القدرة على فلترة الخواطر، وإماتة السيئ منها، وتحويل الحسن إلى خطط عمل.
· مهارة التفكير السببي(: ربط النتائج بالأسباب، وفهم أن النتائج لا تأتي بالتمني، بل بالعمل والسعي وفق السنن الإلهية.
· مهارة الحضور الذهني والمراقبة الذاتية(: التدرب على مراقبة الأفكار والخواطر الداخلية، وكشف الأ ماني التي قد تكون مدمرة، وهذا نوع من الرقابة الذاتية الراقية.
· مهارة النقد الذاتي الموضوعي: ألا تجعل حبك لشيء أو رغبتك فيه هي المبرر لصحته .أن تقيم الأ مور بأدلة خارجية، لا برغبات داخلية.
· مهارة التحرر النفسي من ضغط التوقعات: التوقعات نوع من الأماني، والآية تعلمنا ألا نعيش عبدًا لتوقعاتنا التي قد لا تتحقق، بل نسعى ونترك النتائج لله.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: ترسيخ عقيدة أن التصرف المطلق لله وحده في الدنيا والآخرة، وأن الشفاعة ملك له لا يمنحها إلا لمن ارتضى .وهذا هدم لعقيدة الوساطة الوثنية، وتثبيت للتوحيد الخالص.
· الأبعاد الدلالية: استخدام أسلوب "أم" للإضراب يدل على أن السياق ينتقل من هدم الأصنام الخارجية إلى هدم الأصنام الداخلية) الأماني .(وتقديم "الآخرة" على "الأولى" دلالة على أن العاقبة هي الفيصل، وأنها أعظم.
· الأبعاد النفسية: تحقيق التحرر النفسي الكامل من أسر الأوهام والأماني، وبناء شخصية واقعية قوية تعتمد على العمل والتوكل، لا على التمني والتواكل.
· الأبعاد الفكرية: تأسيس المنهج السببي في التفكير، والربط بين الأمنية والعمل، ورفض المنطق القائم على: "إن هذا هو الحق لأنني أريده أن يكون كذلك" .هذه الآيات ترسخ الموضوعية في التفكير.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد تهذيب قوى النفس الإنسانية) الشهوة والغضب والعقل(: وهذا هو المقصد الأعظم .الآيات تؤسس لمنهج متكامل لضبط بواعث الحب) الشهوة (حتى لا تفسد، وضبط بواعث البغض) الغضب (حتى لا تطغى، وتوجيه قوة العقل نحو الإيمان والعلم بدل الجهل والوهم.
· مقصد بناء الإرادة القوية: عبر ربط الأماني بالعمل، والتخلص من الكسل، تبنى الشخصية صاحبة الإ رادة الفاعلة، التي لا تركن للتمني، بل تسعى وتجاهد.
· مقصد حفظ الفطرة الإنسانية: الفطرة السليمة تنجذب للحق وتنفر من الباطل .والأماني الفاسدة تفسد هذه الفطرة، فتزين للإنسان ما هو ضار له .والآيات تحفظ الفطرة بضبط الأماني وتوجيهها وفق شرع الله.
· مقصد بناء الأمل الحقيقي: الأمل ليس تمنيًا كاذبًا، بل هو ثقة بالله مع الأخذ بالأسباب .الآيات تبني هذا الأمل الحقيقي، فتجعل المؤمن يعمل ويثق بأن الله سيحقق له الخير، فهو مالك الدنيا والآ خرة.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: عند الاستيقاظ، لا تبدأ يومك بالأماني، بل بالأهداف .قل: "ماذا سأعمل اليوم لأتقرب إلى الله، ولأرتقي بنفسي، ولأنفع الخلق؟" .ثم توكل على الله.
· أثناء العمل: راقب خواطرك .إذا تمنيت شيئًا لا يرضي الله، فاكبت هذا الخاطر فورًا بالاستعاذة وذكر الله .إذا تمنيت خيرًا، فاربطه فورًا بخطة.
· قبل النوم: حاسب نفسك على أماني يومك .كم أمنية كانت حسنة وأفضت إلى عمل؟ كم أمنية كانت سيئة وحاولت مقاومتها؟ جدد التوبة والعزم.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية) البرنامج التطبيقي اليومي(

.١مفهوم "فلترة الأماني" ـ{أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تمَنَّى}ـ:

· في حياتك النفسية: درب عقلك الباطن على رفض الأماني الهدامة .حين تمر بك خاطرة محرمة، لا تحاربها بمجرد القوة، بل استبدلها بخاطرة حسنة، وتذكر أنها مجرد أمنية لا تغير واقعًا، فلن تزيدك إلا إثمًا.
· في تعاملك مع النجاح: لا تتمنّ حياة غيرك .لا تقل: "أتمنى لو كنت مثل فلان" .هذه أمنية فارغة .بل قل: "ما الذي فعله لأتعلم منه وأعمل؟".
· في أحلام اليقظة: خصص وقتًا محددًا وقصيرًا للتخطيط والتخيل الإيجابي البناء، وليس للشرود في الأماني .اجعل خيالك خادمًا لهدفك، لا سجنًا تهرب إليه من واقعك.

.٢مفهوم "بوصلة الملكية" ـ{فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى}ـ:

· في الخوف والرجاء: كلما شعرت بالخوف من شيء في الدنيا، ذكر قلبك: "لله الآخرة والأولى" .إن كنت تخاف الفقر، فقل: "لله خزائن السماوات والأرض" .إن كنت تخاف الناس، فقل: "لله ملكوت كل شيء".
· في طلب الحوائج: لا تطلب حاجة كبيرة أو صغيرة إلا من الله أولا ً .استشعر أنك تطلب من م الك الملك، فلا تستصغر طلبًا، ولا تستبعد إجابة.

.٣مفهوم "ضابط الشهوة والغضب") من المنظومة الكلية للآيات(:

· في الحب: أحب الناس لله، لا لأهوائك .إذا أحببت شخصًا، فاسأل نفسك: هل يقربني هذا الحب من الله أم يبعدني عنه؟ الحب لله هو الحب الذي يدوم وينفع .الحب مع الله) الشرك في المحبة (هو الذي يذل ويهلك.
· في البغض والكراهية: لا تبغض أحدًا لأنه خالف هواك، بل أبغض الباطل الذي يفعله، وابغضه لله إن كان يستحق البغض .ولا تجعل بغضك مدمرًا يحرقك، بل اجعله دافعًا للإصلاح أو المفارقة بالمعروف.

.٤مفهوم "أمل الشفاعة المشروط" ـ{إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ...}ـ:

· في نظرتك للقدوات والصالحين: أحبهم، واقتد بهم، واسأل الله أن يجمعك بهم، ولكن لا تجعل حبك لهم أمنية تواكلية .لا تقل: "أنا أحب الشيخ فلان وهو يشفع لي" .هذا منطق وثني .بل قل: "اللّهم ارزقني حب الصالحين والعمل بطاعتهم، واجعلني منهم".
· في التعامل مع القبور والأضرحة: لا تطلب من صاحب القبر شيئًا .تذكر أن أكرم الخلق وأعلاهم منزلة) الملائكة والأنبياء (لا يملكون الشفاعة بأنفسهم، فكيف بغيرهم؟

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· التحرر من الطمع والجشع: "أم للإنسان ما تمنى" علاج نفسي للطمع؛ فالطمع هو تمنّ مَرَضي لا يقف عند حد .وعندما تعلم أن ليس لك ما تمنيت، تتعلم القناعة والرضا.
· السكينة ضد القلق: القلق هو تمنّ لحدوث المستقبل بشكل معين، مصحوب بخوف .وعندما تعلم أن "لله الآخرة والأولى"، تسلم أمر المستقبل لله، فتسكن نفسك.
· ضبط الشهوة وحفظ الفطرة: الأماني المحرمة هي المادة الخام للشهوة المحرمة .مراقبتها وإماتتها

في مهدها يحفظ الفطرة من الفساد، ويحمي الإنسان من الانهيار النفسي الذي يلي المعصية.
· التخلص من الشعور بالذنب عبر العمل لا التمني: كثير من الناس يتمنى أن يكون أفضل، ويشعر بـ الذنب، ثم لا يفعل شيئًا .الآية تدفعك للعمل، فالعمل الصالح هو الذي يذهب الشعور بالذنب، لا التمني.

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· منطق الواقعية: الآيات ترسخ مبدأ فلسفيًا: "الوجود لا يصنعه التمني" .الحقائق موجودة بشكل موضوعي مستقل عن رغباتنا .هذا أساس التفكير العلمي والمنطقي.
· سببية الجزاء: تقديم الآخرة على الأولى يعني أن هناك نظامًا للجزاء يحكم أفعالنا .ليس هناك فوضى أخلاقية، بل كل فعل له نتيجة في الدنيا والآخرة.
· نقد نظرية "الجذب": هناك فلسفات معاصرة تقول: "تمنّ شيئًا بقوة وسيجذبك الكون إليه" .الآية تنسف هذا النسف، وتقول: لا، ليس بمجرد التمني، بل بعمل يوافق شرع الله وسننه في الكون.
· مبدأ الأولويات: تقديم الآخرة على الأولى هو تربية فكرية على أن تضع الأهم فالمهم في تفكيرك . اجعل أولويتك القصوى هي رضا الله، ثم تأتي باقي الأمور.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية الإرادة لا التواكل: تربية النشء على أن "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" .القوة هنا تشمل قوة الإرادة والعمل، لا مجرد قوة البدن .لا تربيهم على الأماني، بل على العمل.
· تربية الضمير الحي: الشعور بأن الله مالك الكون ومراقبك يخلق ضميرًا حيًا، رقيبًا داخليًا دائمًا .هذا أفضل من أي رقابة خارجية.
· تربية المسؤولية الفردية: "لا تزر وازرة وزر أخرى" .كل إنسان مسؤول عن أمانيه وأعماله .لا يمكنك أن تقول: "أنا ممنوع من العمل بسبب فلان"، بينما أمانيك لم تضبطها أنت .تبدأ المسؤولية من الداخل: هل أنا أراقب أماني؟

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة

.1ركن الإرادة الفاعلة) ضد الكسل والتواكل(: الشخصية المتزنة ليست شخصية سلبية تعيش على الأ ماني .إنها شخصية فاعلة، تربط كل أمنية نبيلة بخطة عمل .هذا يصنع إنسانًا منتجًا، لا مستهلكًا للأ وهام.
.2ركن الاتزان الانفعالي) ضبط الشهوة والغضب(: الآيات تبني شخصية لا تتأرجح بين انفعالات الشهوة) الحب الأعمى (وانفعالات الغضب) الكراهية المدمرة .(إنها تحب لله، فتحب الحق والعدل . وتبغض لله، فتبغض الظلم والفساد .هذا هو الاتزان الحقيقي.
.3ركن الواقعية والموضوعية) ميزان العدل(: الشخصية المتزنة لا تقيم الأمور بمنطق الهوى والأماني، بل بمنطق الحقائق والأدلة .هي شخصية موضوعية، منطقية، تستطيع قراءة الواقع بشكل صحيح.
.4ركن الاستعلاء بالآخرة) مقياس القيم(: شخصية ميزانها هو "لله الآخرة والأولى" .هذا يجعلها تضع الدنيا في يدها لا في قلبها .تطلب الدنيا للاستعانة بها على طاعة الله، وتطلب الآخرة لأنها الغاية . هذا التوازن بين الدنيا والدين هو عين الحكمة.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة

.1مبدأ الواقعية والعمل أساس النهضة: الأمم التي تعيش على الأماني والتوقعات السحرية لا تنهض . النهضة تحتاج إلى أمة تؤمن بأن: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾؟ لا .بل تحتاج إلى عمل دؤوب، وتخطيط علمي، وأخذ بالأسباب .هذه الآية تبني "أخلاق العمل" التي هي أساس كل حضارة.
.2مبدأ سيادة القانون الإلهي والأخلاقي) لله الآخرة والأولى(: الحضارة الحقيقية هي التي تحكمها قيم أخلاقية مستمدة من الدين .إذا آمن المجتمع بأن الله مالك الكون، وأن هناك حسابًا في الآخرة، فإن ذلك يخلق ضابطًا أخلاقيًا ذاتيًا عند الأفراد، يمنع الجريمة والفساد الإداري والظلم، وهذا هو أساس العمران.
.3مبدأ توجيه الطاقات نحو الخير) ضبط الشهوة والغضب(: طاقة الحب وطاقة الغضب إذا لم تضبطا شرعًا، تحولتا إلى حروب وصراعات وشهوات مدمرة تدمر الحضارة من الداخل .توجيه هذه الطاقات نحو البناء والإبداع والجهاد في سبيل الله هو ما تصنعه هذه الآيات، فتحول الطاقة الغريزية من

طاقة هدم إلى طاقة بناء.
.4مبدأ سيادة التوحيد ونفي الوساطة الفاسدة) هدم الشفعاء الوهميين(: المجتمعات التي يتحكم فيها الوسطاء الروحيون والمشعوذون والدجالون، والذين يستغلون أماني الناس، هي مجتمعات متخلفة ."كم من ملك..." تعلم الناس ألا يتعلقوا إلا بالله وحده، مما يحررهم من التبعية والاستغلال، ويجعلهم يسعون مباشرة إلى الله، في إصلاح ذاتهم وبناء واقعهم.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات ضبط الأماني واليقين بملكية الله

اجعل هذه الوصايا العشر، المستخلصة من قلب الآيات، زادك ليومك، ودستورك لحياتك، لترتقي في مدارج الكمال وتضبط نفسك وتحررها:

.1راقب أمانيك يوميًا: لا تترك خواطرك سائبة .فلتر أفكارك، وأمِت كل خاطر سيئ قبل أن يصبح شهوة، وكل أمنية فارغة قبل أن تصبح إحباطًا.
.2اربط كل أمنية بعمل: إذا تمنيت خيرًا، فاسأل فورًا: ما هو العمل المطلوب؟ وابدأ به ولو بخطوة واحدة .لا تكن أسير "سوف" و"ليت" و"لعل".
.3زن الأمور بميزان العدل لا الهوى: لا تحكم على فكرة بأنها صحيحة لأنها تعجبك .ابحث عن دليلها . كن موضوعيًا في تقييمك للأمور وللناس ولنفسك.
.4استشعر ملكية الله في كل شيء: عندما تدخل عليك هموم الدنيا، ردد بقلبك: "لله الآخرة والأولى" . أنت في ملك الله، وهو أرحم بك من أمك .ثق بتدبيره.
.5اجعل حبك وبغضك لله: أحب الناس لله، لا لنفعهم لك .وأبغض الباطل والظلم لله، لا لأن الظالم خ الف هواك .بهذا تسلم قواك النفسية من الفساد.
.6اعمل لآخرتك كأنك تراها: قدم دائمًا حساب الآخرة على شهوة الدنيا .قبل أن تقدم على أي فعل، اسأل: "ماذا سأجيب غدًا بين يدي الله؟".
.7لا تتكل على الشفاعة بلا عمل: أحب النبي ﷺ وأهل الصلاح، واسأل الله شفاعتهم، ولكن لا تجعل هذا بديلا ً عن العمل الصالح .اعمل لترضى، فالشفاعة للراضين عنهم.
.8حرر نفسك من التمني الكسول: الأمنية الكسولة هي عدو النجاح .استبدلها بالدعاء ثم العمل .قل: " اللهم ارزقني كذا"، ثم اسعَ في الأرض بحثًا عن رزقك الذي كتبه لك.
.9داوِ شهوتك بالصبر والذكر: إذا هاجمتك شهوة محرمة تغذيها أماني قذرة، فاستعمل سلاح الصبر)مجاهدة النفس (وسلاح الذكر) لا إله إلا الله، أستغفر الله (وتذكر عظمة من تعصيه.
.10كن حرًا بعبوديتك لله: تذكر دائمًا أنك لا تساوي شيئًا في ملك الله، لكنه كرمك وفضلك .فلا تهين نفسك بالركوع لأمنية أو شهوة أو مخلوق .عبوديتك لله وحده هي قمة حريتك وكرامتك.

بهذه الوصايا، نكون قد جعلنا من هذه الآيات الكريمة برنامجًا متكاملا ً لضبط النفس، وتحرير الإرادة ، وحفظ الفطرة، والتوجه بالقلب كله إلى الله مالك الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث

بعد ان بينت لك الايات حقيقه أن الكون كله ملك لله وحده، وأن الشفاعة لا تكون إلا لمن أذن له الله ورضي ...تعالَ معي الآن لنقف على أحد أخطر جذور الانحراف الإنساني: فقدان الإيمان باليوم الآ خر .نحن على موعد مع الآيتين27) - (28من سورة النجم، حيث يكشف الوحي النقاب عن العلاقة الوثيقة بين إنكار الآخرة وفساد العقل والقول، ويبين لنا كيف أن عدم الخوف من العقاب يجعل الإ نسان يتطاول على الغيب، ويتجرأ على الله وملائكته، ويتحدث بما لا يعلم .إنهما آيتان تشخصان الداء الأكبر: لماذا يجرؤ الإنسان على الباطل؟ لأنه لا يشعر بالمسؤولية، لأنه لا يؤمن بالحساب، لأنه نسي أن هناك ملائكة تسجل، وأن هناك جنة ونارًا، وأن هناك من سيُسأل ويُحاسب .إنها آيات تعيدنا إلى أصل الفطرة، وتزرع في قلوبنا الخوف المحمود الذي هو سبب كل خير، وباعث كل فضيلة، وحارس كل طاعة.

أولًا: مقدمة تمهيدية – الإيمان باليوم الآخر: حارس الفطرة وضابط القوى

بعد أن أثبت الله جل جلاله بطلان الأماني المجردة، وأكد ملكيته المطلقة للدنيا والآخرة، وأبطل أوهام الشفعاء والوسطاء ...يأتي السؤال الذي يفرضه سياق السورة منذ بدايتها: ما هو الجذر الفكري والعقدي الذي أنتج كل هذه الانحرافات؟ لماذا وقع المشركون في عبادة الأصنام، وفي تمني الشفاعة منها، وفي نسبتهم البنات لله سبحانه؟ تأتي الآيتان27) - (28لتجيبان عن هذا السؤال بإجابة شافية: إن السبب هو أنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ .إنه فقدان الإيمان باليوم الآخر هو الذي أفسد موازينهم، وأعمى

أبصارهم، وجعلهم يتطاولون على الملائكة بتسميتهم أسماء الإناث، ويتكلمون في الغيب بلا علم ولا دليل.

إن الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها هاتان الآيتان هي: بيان أن الكفار يسمون الملائكة تسمية الأنثى ، وبيان أن هذا القول الشنيع لا يستند إلى أي علم أو دليل، بل هو محض اتباع للظن، ثم تأكيد أن الظن لا يغني من الحق شيئًا .أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: بيان أن عدم الإيمان باليوم ا لآخر هو العلة الأصلية لانحراف الكفار وتطاولهم على مقام الربوبية والملائكة، وعدم شعورهم ب المسؤولية عن أقوالهم وأفعالهم .ذلك أن الخوف من الله واستشعار العقاب على ما تفعل هو الحارس الأمين للفطرة الإنسانية .إذا أيقنت بأن ما تفعله من جرم سوف يتبعه عذاب وعقاب، فإنك لن ترتكب الجريمة .وهنا تتفاوت مراتب الخوف: فخوف الإيمان يبدأ بمفارقة المعاصي والذنوب الحسية و المعنوية، وهذا هو خوف العوام .ثم يرتقي إلى خوف العلماء الذين يعلمون باليوم الآخر حق العلم، فتظهر فيهم الخشية والورع، امتثالا ً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ .ثم يبلغ الذروة في خوف الصديقين، حيث يترقبون الموت، ويخافون الفوات، فيبذلون الجهد كله في طلب مرضات الله .وكأن السياق القرآني يقول لنا: عليكم كسر رغبات النفس والأماني بالصبر وذكر الله، و النظر في مآلاتها: ماذا ينتظركم في الآخرة من عقاب إن اتبعتم الأماني؟ وكيف أن الملائكة الذين هم على عظمتهم وقربهم يعبدون الله وهم خائفون منه؟ إنه إذا حصل هذا العلم والخوف في القلب، سهل عليك كسر الشهوات، والتغلب على الأماني، وغمرتك السكينة ورضوان من الله، وازداد إيمانك، وحفت بك الملائكة .وهذا يعبر عن حقيقة مهمة: أنك لن تحصل على شفاعة الملائكة واهتمامهم إلا إذا أذن الله لك ورضي عنك .فعنصر الإذن من الله لا يأتي إلا لمن يشاء الله ويرضى .وقد ورد في الحديث: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ" .فهذا هو عنصر الرضا الذي يكون به الإذن، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ . وعندما يكون الإذن للملائكة بطلب الشفاعة، فأنت تنال الشفاعة برضا الله عنك، بالتوبة والعودة إلى الله، هربًا من الأصنام والأوثان المادية والمعنوية .كما قال تعالى في سورة غافر: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ .فإذا أردت الرفعة أيها المؤمن إلى المنزلة التي تجعل من يحملون العرش يهتمون بك، فتأمل هذه الآية وما ترسمه لك من مكانة إذا أردت أن تنال الإذن من الله للملائكة بالدعاء لك .إنهم قريبون من الله، تحت العرش، يدعون للتائبين بالرحمة والنجاة من جهنم، ويدعون لهم بدخول جنات النعيم .فرحمتهم ببني آدم وانتفاعاتهم بهم إنما هي بتعليق من الله، يعلق الله الشفاعة بذاته وبإذنه، كي تنضبط الرحمة فلا تفيض إلا على من يستحقها .وإن مقدمات نيل رضا الله تكون بالتصديق الكامل والإيمان باليوم الآخر، ليحصل بذلك العلم الذي يضبط الإنسان في أفعاله وأقواله وخواطره وأفكاره، وكل شيء بميزان الخالق، ليحاسب نفسه . لأنه كما أن في الجنة ملائكة رحمة، ففي النار ملائكة غلاظ شداد، كما ورد في سورة التحريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ .ولهذا فإن علم الإنسان باليوم الآخر والاستعداد له فيه الوقاية من الهلاك والعذاب .وإن فقدان العلم باليوم ا لآخر يخل بالميزان الذي يقيم الإنسان حياته عليه، وبذلك يتخبط في الجهل .ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ .ليبين أن عدم التصديق باليوم الآخر يعني إنكار العدل، وإنكار تسجيل الأعمال، وإنكار الرقابة الإلهية المحكمة التي تنتهي بموت الإنسان وإغلاق سجل أعماله، ليتم الحساب عليه يوم القيامة .وبالتالي فإن الإنسان إذا كذب باليوم الآخر، فإنه يفسد المقصود من خلقه، فلا يعبد الله، ويقبل على تلبية الأماني والرغبات الشهوانية والحيوانية لديه، ويزداد فسادًا، فتسوء عنده الحسنات، وتحسن السيئات، فيهبط إلى مرتبة أدنى من الحيوانات، وينقطع اتصال روحه بمصدرها وخالقها، ويسلم العلم الذي يضبط قوى العقل والشهوة والغضب لديه، فيصبح كالحيوان .ولهذا تجد السخافة لدى كفار قريش وكل الكفار، لأنهم بهائم، فهم يصفون الملائكة بأنهم بنات الله دون سند أو دليل، ولا علم، ولا واقع، ولا منطق، بل يقوم على الوهم والتخمين، نتيجة سقوط العقل باتباع الشهوات والهوى والأماني .فانحرف عن الحق الذي يقوم على اليقين، مع أن القرآن جاءهم ليجعل عقولهم تتقدم، فترى اليوم الآخر، فيصلوا إلى الفهم بأن الملائكة تسجل الأ عمال للحساب.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

دعنا الآن نبحر في قلب هاتين الآيتين الكريمتين، محورًا محورًا، لنستخرج منها الدواء الشافي لأ مراض القلوب، والمنهج القويم لإصلاح العقول، والنور الذي يهدي إلى صراط مستقيم.

المحور الأول: الجرأة على الغيب وفساد القول) الآية(27

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ(27) ﴾

قف معي الآن عند هذه الآية التي تربط بين أصل الداء) عدم الإيمان بالآخرة (وأحد أسوأ أعراضه)التطاول على الملائكة .(إنها معادلة قرآنية دقيقة: عندما يسقط الإيمان باليوم الآخر من القلب، يسقط معه كل ضابط، فينطلق اللسان بالباطل، ويتجرأ الإنسان على الغيب، ويتفوه بما لا يليق بجلال الله وملائكته.

.١معنى الآية وتفسيرها:
يخبر الله تعالى خبرًا مؤكدًا ب- "إن" و"اللام" في "ليسمون" أن الذين لا يؤمنون بالآخرة، أي لا يصدقون بالبعث والحساب والجنة والنار، هم الذين يسمون الملائكة تسمية الأنثى .فقد زعم كفار العرب أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله .وهذا القول جمع عدة قبائح: فهو افتراء على الله بنسبة الولد إليه، وافتراء على الملائكة بنسبة الأنوثة إليهم بلا علم، وتفضيل لأنفسهم على الله إذ نسبوا له ا لإناث التي يكرهونها، ونسبوا لأنفسهم الذكور التي يحبونها.

.٢العلاقة بين إنكار الآخرة والتطاول على الملائكة: لماذا هذه الرابطة؟
هذا هو لباب الآية .إن إنكار اليوم الآخر يعني إنكار نظام العدالة الإلهية الكامل .فإذا أنكرت الحساب، وأنكرت الرقابة الإلهية، وأنكرت أن هناك ملائكة يسجلون كل صغيرة وكبيرة، وأن هناك عقابًا ينتظر المجرمين ...فماذا يردعك؟ لا شيء .عندها، يصبح الإنسان كالبهيمة، لا يهمه ما يقول، ولا يشعر ب المسؤولية عن ألفاظه واعتقاداته .إنه فقدان الشعور بالمسؤولية الذي يؤدي إلى الجرأة على الغيب بلا علم .فالذي لا يؤمن بأنه سيُسأل يوم القيامة عن كل كلمة: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، يطلق للسانه العنان .وهذا هو حال كفار قريش، قالوا ما قالوا في الملائكة لأنهم لم يكونوا يخشون عاقبة ما يقولون .أما المؤمن باليوم الآخر، فإنه يراقب ألفاظه، ويزنها بميزان الشرع والعقل، ويعلم أن الملائكة تسجل عليه، فيستحي من الله ومن ملائكته، ويخاف أن يكتب عليه قول يهوي به في النار.

.٣مراتب الخوف من الله وعلاقتها بحفظ الفطرة وضبط القوى:
وهنا نقف مع ما أشرنا إليه في المقدمة من تفاوت مراتب الخوف:

· خوف العوام: هو الخوف الذي يمنع صاحبه من المعاصي والذنوب الحسية والمعنوية .وهذا أدنى مراتب الخوف الواجب .وهذا الخوف غائب تمامًا عن كفار قريش لأنهم لا يؤمنون بالآخرة.
· خوف العلماء: وهم الذين يعلمون حقًا باليوم الآخر، فيورثهم علمهم خشية وورعًا، فيتركون المشتبهات، ويراقبون الخواطر، ولا يتكلمون إلا بعلم .وهذا الخوف ينشأ من إدراك عظمة الله، وأنه شديد العقاب، وأنه يمهل ولا يهمل .وهذا هو المقام الذي يريده الله من عباده المؤمنين.
· خوف الصديقين: وهو أعلاها، خوف مصحوب بالمحبة والشوق، يترقبون الموت، ويخافون فوات رضا الله، فيبذلون كل غالٍ ونفيس في مرضاته.

فالآية تقول لنا: إذا أردت أن تحفظ لسانك وعقلك وقلبك من التطاول على الغيب ومن كل باطل، فآمن باليوم الآخر، واستشعر عظمة الحساب، واستحضر أن هناك ملائكة يسجلون، فينشأ عندك الخوف الذي هو بداية الحفظ والوقاية.

.٤الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· الإيمان أساس العقلانية: الذي لا يؤمن بالآخرة تنهار عقلانيته الأخلاقية، لأنه لا يرى عاقبة لأفعاله، فينطلق في التخبط الفكري.
· العلم قبل القول: الآية تذم قولا ً لا يستند إلى علم .فمن أراد أن يتكلم في أمر غيبي أو شرعي، فلا بد من دليل.
· الرسائل النفسية:
· ضبط النفس بالخوف من الله: هذا الخوف ليس خوفًا مَرَضيًا، بل هو خوف محمود، يحرر النفس من أسر الشهوات والأماني الفاسدة، ويجعلها تنضبط بضوابط الشرع.
· الاستحياء من الملائكة: استشعار أن الملائكة تسجل الأقوال والأفعال يزرع الحياء في النفس، فتمتنع عن كثير من القبائح.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية الضمير الحي: تعليم النشء عن اليوم الآخر، والجنة والنار، والملائكة الذين يسجلون، هو

أعظم تربية للضمير.
· مراقبة الألفاظ: كم من كلمة سجلتها الملائكة فأهلكت صاحبها! التربية على وزن الكلمة قبل النطق بها هي ثمرة الإيمان بالآخرة.

المحور الثاني: بطلان الظن وضرورة العلم) الآية(28

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا(28) ﴾

بعد أن ذكر الله قولهم الشنيع في الملائكة، أكد أن هذا القول ليس له أي سند من علم، بل هو مجرد ظن وتخمين ووهم، ثم أصدر الحكم القاطع: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ .إن الظن لا يقوم مقام الحق، ولا يغني عنه، ولا يفيد فائدة العلم اليقيني، بل هو جهل وضلال.

.١معنى الآية وتفسيرها:
ليس لهم أي علم أو دليل أو برهان على أن الملائكة إناث .إنهم يتبعون في هذا القول وفي غيره من معتقداتهم الظن، وهو التخمين والتقليد والوهم .والظن - أي ظن كان - لا يغني ولا ينفع ولا يجزئ شيئًا من الحق .فالحق لا يُدرك إلا بالعلم واليقين، ولا يُبنى على التخمينات والأوهام.

.٢علاقة هذه الآية بما سبقها: سيادة ميزان الجهل والهوى عند منكري الآخرة:
لقد بينت الآية السابقة أن سبب هذا القول هو عدم الإيمان بالآخرة، وهنا تبين طبيعة هذا القول: إنه قول بلا علم، محض ظن .وهكذا نرى الصورة كاملة: الإنسان الذي يفقد الإيمان بالآخرة، يفقد الخوف من العقاب، وبالتالي لا يشعر بالمسؤولية، فيطلق نفسه تتبع الظن والهوى .وهذا يؤدي إلى انهيار كامل في ميزان الحقائق لديه، فيصبح عقله عاجزًا عن التمييز بين الحق والباطل .لأنه أسلم القياد للظن، و الظن لا يوصل إلى حق أبدًا .إن العلم الحقيقي، وخاصة العلم باليوم الآخر، هو الذي يضبط قوى العقل والشهوة والغضب .فالعقل بالعلم يفرق بين الحق والباطل .والشهوة بالعلم تنضبط فلا تتجاوز الحد .والغضب بالعلم يهذب فلا يطغى .أما إذا سقط العلم، وحل محله الظن، فسدت هذه القوى كلها، وأصبح الإنسان تائهًا، سخيفًا، كالحيوان الأعجم، لا يميز بين الحق والباطل، بل تسوء عنده الحسنات، وتحسن السيئات .وهذا هو حال كفار قريش، لقد انحطوا بعقولهم إلى درك سخيف، فنسبوا لله البنات، ولأنفسهم البنين، وكل ذلك بظن لا يغني من الحق شيئًا.

.٣العلم باليوم الآخر كميزان للضبط:
إذا كان الظن هو سبب كل هذا الفساد، فإن العلم هو العلاج .والعلم باليوم الآخر هو رأس العلوم التي تضبط الإنسان .لماذا؟ لأن العلم باليوم الآخر يتضمن:

· العلم بالحساب: فتراقب أفعالك.
· العلم بتسجيل الملائكة: فتراقب أقوالك وخواطرك.
· العلم بالجنة والنار: فتنضبط رغباتك ورهباتك، وتتجه إلى الله طلبًا للجنة وهربًا من النار.
· العلم بالعدل الإلهي: فتعلم أن الظالم لا بد من عقابه، والمظلوم لا بد من إنصافه.
وبذلك، يصبح العلم باليوم الآخر هو الميزان الذي تزن به كل شيء، وهو الحارس الذي يحرس فطرتك من أن تفسدها الشهوات والأماني الفاسدة .إنه إذا حصل هذا العلم في القلب، سهل عليك كسر الشهوات والتغلب على الأماني، وغمرتك السكينة والرضوان، وازداد إيمانك، وحفت بك الملائكة . وهذا على العكس تمامًا من أهل الظن، الذين تحف بهم الشياطين، وتزداد نفوسهم قلقًا واضطرابًا.

.٤الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية:
· الظن ليس معرفة: الآية ترسخ في العقل أن الظن والتخمين ليس طريقًا إلى الحقيقة .المعرفة تحتاج إلى أدلة وبراهين وعلم يقيني.
· إغلاق باب الخرافة: تسمية الملائكة إناثًا هي خرافة .وكل خرافة لا تستند إلى دليل هي من الظن المذموم .وهذه الآية تغلق باب الخرافة في الدين.
· الرسائل النفسية:
· الراحة النفسية بترك الظنون: الشك والقلق والتوتر كثيرًا ما ينشأ من اتباع الظنون .اليقين بالحق يريح النفس، والظن يقلقها .﴿الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ يعني: لا ترهق نفسك بالاحتمالات والظنون، واطلب العلم والحق.
· التواضع العلمي: إذا كان الظن مذمومًا، فعلى الإنسان ألا يتكلم إلا بعلم، وألا يجزم إلا بدليل .

وهذا يربي النفس على التواضع.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية العقل العلمي: علم أبناءك أن يقولوا: "لا أعلم" فيما لا يعلمون، وألا يتكلموا بالظن والتخمين . هذه هي الأمانة العلمية.
· بناء الأحكام على أدلة: في حياتك العملية، لا تحكم على شخص أو فكرة أو مشروع بالظن . ابحث عن المعلومات الصحيحة، وحلل بعلم، لا بوهم.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟) المنظومة المعرفية(
نفهم الآيات من خلال "منهجية ربط الأخلاق بالعقيدة":

.1تشخيص العلة العقدية: الخطوة الأولى هي تحديد أن سبب المشكلة الأخلاقية والفكرية هو خلل عقدي) عدم الإيمان بالآخرة.(
.2وصف العرض السلوكي: بيان أن هذا الخلل العقدي ينتج عنه سلوكيات شاذة وأقوال باطلة) تسمية الملائكة تسمية الأنثى.(
.3تحليل الأساس المعرفي للسلوك: كشف أن هذا السلوك لا يستند إلى علم، بل إلى ظن.
.4إصدار الحكم النهائي: الظن لا يغني من الحق شيئًا، وبالتالي فكل ما بني عليه باطل.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟) الأبعاد والإشارات الدقيقة(

· دلالة الربط بـ "لا يؤمنون بالآخرة": هذه هي الدلالة المركزية .إنها تثبت أن الإيمان باليوم الآخر هو الضمانة الكبرى لاستقامة العقل واللسان والسلوك.
· دلالة لفظ "يسمون": فيه إشارة إلى أنهم يخترعون الأسماء من عند أنفسهم، كما سبق: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ .إنه تلاعب بالألفاظ لا حقائق.
· دلالة "تسمية الأنثى": تشنيع لهذا القول، حيث اختاروا لله وملائكته الجنس الذي يحتقرونه لأنفسهم.
· دلالة "وما لهم به من علم": نفي قاطع لأي مصدر معرفي صحيح لهذا الاعتقاد.
· دلالة "إن يتبعون إلا الظن": حصر مرجعيتهم في الظن، وهو حصر مذموم.
· دلالة "وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا": قاعدة كلية عامة، تطرد كل وهم وخرافة.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "العلاقة بين الإيمان والأخلاق": كيف أن فساد العقيدة يؤدي حتمًا إلى فساد الأخلاق والأقوال.
.2قضية "مركزية الإيمان باليوم الآخر": إثبات أن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الذي يحفظ للإنسان إنسانيته، ويصونه من الانحدار إلى البهيمية.
.3قضية "الشعور بالمسؤولية": بيان أن غياب الإيمان بالآخرة يعني غياب الشعور بالمسؤولية عن الأقوال والأفعال.
.4قضية "مصادر المعرفة": التأكيد على أن الظن لا يمكن أن يكون مصدرًا للمعرفة، وأن الحق لا بد له من علم ودليل.
.5قضية "مراتب الخوف من الله": بيان أن الخوف من الله ليس خوفًا واحدًا، بل هو مراتب، أرفعها ما كان عن علم ويقين، وثمرته الورع والخشية.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟) المطالب الإيمانية(

.1تحقيق الإيمان باليوم الآخر: ليس مجرد تصديق نظري، بل إيمان يملأ القلب، ويورث الخوف و الرجاء، ويظهر أثره في الجوارح.

.2مراقبة الله واستشعار تسجيل الملائكة: أن نستشعر دائمًا أن هناك ملائكة يسجلون أقوالنا وأفعالنا، فيمنعنا ذلك من المعاصي.
.3تنمية الخوف المحمود من الله: أن نسأل الله أن يرزقنا خوفًا يحجزنا عن المعاصي، ويدفعنا إلى الطاعات.
.4التثبت وعدم الكلام بلا علم: ألا نقول على الله، ولا على دينه، ولا على خلقه، إلا بعلم ودليل.
.5تحرير العقل من الخرافة والظن: نبذ كل فكرة أو عقيدة لا تستند إلى دليل، والبحث عن الحق بـ الطرق الموصلة إليه.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية والمهنية؟) البرنامج التطبيقي(

.1تذكر اليوم الآخر في كل موقف: قبل أن تقول كلمة، أو تكتب تعليقًا، أو تصدر حكمًا، تذكر: هذا مسجل، وسأسأل عنه يوم القيامة .هذا الاستحضار يمنعك من كثير من الزلل.
.2طلب العلم لمعالجة الظن: إذا شككت في أمر، أو سمعت شائعة، فلا تتبع الظن .اطلب العلم، وابحث عن الدليل، واسأل أهل العلم.
.3تربية النشء على الإيمان بالآخرة: لا تقتصر على تعليمهم أركان الإيمان نظريًا، بل ازرع في قلوبهم الخوف من الحساب، والرجاء في رحمة الله، واستشعار وجود الملائكة .احكِ لهم عن الجنة والنار بأسلوب مؤثر.
.4مراقبة الألفاظ في بيئة العمل: كم من مشكلة في العمل تبدأ بكلمة قيلت بظن وسوء نية! طبق قاعدة: لا تتكلم عن زميل أو مشروع إلا بعلم وحسن ظن.
.5استحضار مراتب الخوف للترقي في الإيمان: اسأل نفسك: هل خوفي من الله مجرد خوف سطحي يمنعني الكبائر فقط؟ أم هو خشية علمية تجعلني أراقب الخواطر والوساوس؟ اسعَ للترقي في مراتب الخوف حتى تصل إلى مرتبة المحبة والرجاء مع الخوف، فتكون من الصديقين.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس الإيمان بالآخرة حارس الفطرة) من: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾(:

· الدرس: الإيمان باليوم الآخر هو السياج الذي يحمي فطرة الإنسان من الفساد .إذا ضاع هذا الإيمان، ضاع كل شيء، وانطلق الإنسان في تلبية رغباته كالحيوان.
· التطبيق: جدد إيمانك باليوم الآخر يوميًا .اقرأ الآيات والأحاديث التي تصف القيامة والحساب و الجنة والنار .اجعل هذا الإيمان حاضرًا في قلبك، لا غائبًا في عقلك.

.٢درس خطورة التطاول على الغيب) من: ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾(:

· الدرس: التكلم في أمور الغيب بلا علم جرأة على الله، وسبب للضلال والهلاك .إن ما فعله كفار قريش ناتج عن عقول فارغة من الإيمان، مليئة بالظن.
· التطبيق: إذا سألك أحد عن أمر غيبي) كصفات الله، أو الملائكة، أو الروح(، فلا تتكلم إلا بما ورد في الكتاب والسنة .قل: "الله أعلم" فيما لا تعلم .هذه هي النجاة.

.٣درس ذم الظن ووجوب التثبت) من: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾(:

· الدرس: اتباع الظن مرض عضال، وهو سبب لكثير من المشكلات الأسرية والاجتماعية .كم من بيت هدم، وكم من صداقة قطعت، وكم من أمة ضلت، بسبب الظنون!
· التطبيق: إذا حدثك أحد عن شخص بسوء، فلا تصدق ولا تكذب، بل قل: "أتأكد أولا " .إذا خطر ببالك ظن سيئ بأخيك، فاطرده، واستغفر الله.

.٤درس العلم قبل العمل والقول) من: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾(:

· الدرس: لا قيمة لقول أو عمل لا يستند إلى علم .العلم هو الإمام، والعمل هو المأموم.
· التطبيق: قبل أن تبدأ مشروعًا، تعلم .قبل أن تعطي فتوى، تعلم .قبل أن تنتقد، تعلم .اجعل شعارك: " لا أتكلم حتى أعلم".

.٥درس مراتب الخوف من الله والترقي فيها:

· الدرس: ليس المطلوب مجرد خوف من النار، بل هناك مراتب أعلى: خشية العلماء من عظمة الله، وخوف الصديقين من فوات رضاه .وهذا الخوف هو الذي ينتج عنه كمال الطاعة وكسر الشهوات.
· التطبيق: اسأل نفسك في كل عبادة: هل أنا أعبد الله خوفًا من النار فقط؟ أم رغبة في الجنة؟ أم حبًا فيه وشوقًا إليه وحياءً منه أن يراني حيث نهاني؟ اعمل على أن ترتقي بدوافعك.

.٦درس طلب شفاعة الملائكة برضا الله لا بالتمني:

· الدرس: لن تحف بك الملائكة وتبتهل بالدعاء لك لمجرد أنك مسلم، بل لأن الله أحبك ورضي عنك . وهذا الحب والرضا ينال بطاعة الله واتباع سبيله والتوبة النصوح.
· التطبيق: بدلا ً من أن تقول: "أتمنى شفاعة الملائكة"، اجتهد في التوبة والطاعة، وسل الله أن يرضى عنك، فإن رضي عنك أحبك، وأمر ملائكته بحبك والدعاء لك.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الاستهتار إلى الشعور بالمسؤولية: سأدرك أن كل كلمة وكل فعل مسجل، وأنني مسؤول عنه يوم القيامة .لن أستهين بصغائر الذنوب ولا بصغائر الألفاظ .سأعيش وفي قلبي رقيب، وهو الإيمان بـ اليوم الآخر.
.2من الخوف من الناس إلى الخوف من الله: سأفهم أن سبب جرأة الناس على الباطل هو عدم خوفهم من الله .أما أنا، فسأجعل خوفي من الله هو الحارس لي، فلا أخاف في الحق لومة لائم.
.3من اتباع الظن إلى طلب العلم: لن أكون ممن يبني مواقفه على الشائعات والتحليلات والتخمينات . سأبحث عن الحق وأدلته، وسأصمت حتى أعلم.
.4من النظرة السطحية للإيمان إلى فهم عميق لثمراته: سأفهم أن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال، بل هو حارس للفطرة، وضابط للسلوك، ومزكٍّ للنفس .وإذا رأيت انحرافًا في سلوكي، فسأبحث عن الخلل في إيماني باليوم الآخر.
.5من التعلق بالأماني إلى السعي لرضا الله: سأغير بوصلتي تمامًا .بدلا ً من أن أتمنى أن يحبني الناس أو تحف بي الملائكة، سأعمل على أن يحبني الله، فإن أحبني الله، أحبتني ملائكته وخلقه.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة ربط الأسباب بالمسببات(: الآيتان تعلمانا كيف نحلل الظواهر بربطها بجذورها .فنحن لا نعالج "التطاول على الغيب" فقط، بل نعالج سببه وهو "فقدان الإيمان بالآخرة" .هذه مهارة حياتية في حل المشكلات: لا تعالج الأعراض فقط، بل ابحث عن الجذور.
· مهارة إدارة اللسان(: من خلال استشعار تسجيل الملائكة والخوف من الحساب، نكتسب ضبطًا ذاتيًا للسان، فلا يتفوه إلا بخير.
· مهارة التفكير النقدي في مواجهة الظن : الآية "إن الظن لا يغني من الحق شيئًا" هي قاعدة ذهبية للتفكير النقدي .التدرب على التمييز بين الحقائق والظنون والادعاءات، وعدم قبول شيء بلا دليل.
· مهارة بناء الضمير الذاتي : الإيمان باليوم الآخر ومراقبة الله هو أعظم أداة لبناء الضمير الذاتي الذي يمنع الإنسان من الخطأ حتى في غياب الرقابة الخارجية.
· مهارة التدرج الروحي : فهم مراتب الخوف) العوام، العلماء، الصديقين (يعطينا خارطة طريق للتطور الروحي، فنضع لأنفسنا أهدافًا للترقي في مقامات الإيمان.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: ترسيخ ركن الإيمان باليوم الآخر كأساس لحفظ العقيدة والسلوك .وبيان أن الإيمان بـ الملائكة يقتضي تنزيههم عما لا يليق .وربط فساد الاعتقاد بفساد الأقوال والأعمال.
· الأبعاد الدلالية: ربط جملة "لا يؤمنون بالآخرة" بالفعل "يسمون" يدل على أن الأول علة للثاني . وتكرار ذم الظن والتأكيد على عدم إغنائه عن الحق يدل على مركزية اليقين في المنظومة المعرفية القرآنية.

· الأبعاد النفسية: إعادة برمجة العقل الباطن ليشعر دائمًا بوجود رقيب ومسؤولية، مما يخلق حالة من الحيطة والحذر من الذنوب .كما يحرر النفس من قلق الظنون، ويمنحها طمأنينة اليقين.
· الأبعاد الفكرية: الآيات تؤسس لمنهج "العلموية" الإسلامية) طلب العلم واليقين(، في مواجهة "الظنونية") اتباع التخمينات .(كما تقدم نظرية متكاملة عن العلاقة بين الاعتقاد بالآخرة وبناء الحضارة الإنسانية المستقرة.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد حفظ الضمير الإنساني: الإيمان باليوم الآخر هو الضمانة الأكيدة لوجود ضمير حي يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.
· مقصد حماية المجتمع من الجريمة: إذا غُرس هذا الإيمان في القلوب، قلّت الجرائم، لأن الرادع داخلي قبل أن يكون خارجيًا.
· مقصد بناء خطاب ديني عقلي: الآيات تعلم الدعاة أن يربطوا بين السلوكيات الخاطئة وجذورها العقدية والفكرية، وأن يستخدموا المنطق والحجة في الإقناع.
· مقصد تصحيح العلاقة مع الغيب: حصر الكلام في الغيب في حدود ما ورد به الوحي، وترك ما سوى ذلك، صيانة للعقل من الخرافة.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: عند الاستيقاظ، تذكر أن يومًا جديدًا قد بدأ، وأن الملائكة بدأت التسجيل .قل: "اللّهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه".
· عند الحديث: تذكر ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ .وزن كلامك قبل أن ينطق به لسانك.
· عند سماع خبر: لا تصدق ولا تنشر حتى تتثبت .اسأل عن المصدر، وعن الدليل .هذه هي الأمانة العلمية التي تحميك من اتباع الظن.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية) البرنامج التطبيقي اليومي(

.١مفهوم "اليوم الآخر كضابط للسلوك" ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾:

· في حياتك العملية: قبل أن تغش في معاملة، أو تؤجل عملا ً، أو تسرق من وقت الدوام، تذكر: "هذا مسجل، وسأسأل عنه" .هذا الاستحضار يجعلك أكثر أمانة وإخلاصًا.
· في خلافاتك: إذا كنت في موقف تستطيع فيه أن تظلم أو تجرح، تذكر أن هناك محكمة آخرة، سيقف فيها الطرفان أمام أحكم الحاكمين، فينكف لسانك وترتدع نفسك.

.٢مفهوم "التثبت ونبذ الظن" ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾:

· في وسائل التواصل الاجتماعي: هذه الآية هي الدرع الواقي لك من فتنة الشائعات .كلما قرأت خبرًا مثيرًا، أو اتهامًا لأحد، فقل: "هل هذا علم أم ظن؟" .لا تنشر إلا ما تيقنت من صحته، ونفعه.
· في العلاقات الأسرية: لا تبنِ موقفًا من زوجتك أو ابنك على ظن .إذا شككت في أمر، فاسأل واستفسر وتثبت، قبل أن تتهم وتجرح.

.٣مفهوم "مراقبة الملائكة واستشعار الحياء منهم":

· في الخلوة: عندما تكون وحدك، ولا يراك أحد، وتغريك نفسك بمعصية، تذكر أن هناك ملائكة كرامًا كاتبين، يرونك .استحِ منهم، واستحِ من ربهم .هذا الحياء هو من شعب الإيمان.
· في كتابتك وتعليقاتك: حتى في العالم الافتراضي، أنت مراقب .الملائكة تسجل ما تكتبه بيدك .فلا تكتب إلا خيرًا.

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· توليد الرقابة الذاتية) ضمير اليقين(: الإيمان باليوم الآخر ينقل الإنسان من مرحلة "الخوف من العقاب البشري" إلى "الخوف من العقاب الإلهي" .هذا يخلق رقابة ذاتية دائمة، هي أقوى أنواع الرقابة.
· السكينة النفسية بترك الظنون: النفس التي تتبع الظنون تعيش في قلق دائم .أما النفس التي تطلب العلم واليقين، أو تتوقف عند حدود ما تعلم، فتعيش في سكينة وطمأنينة.
· التحرر من الخوف من الناس: إذا كان خوفك الأكبر من الله، صغر في عينك كل خوف من مخلوق . أنت لا تخاف أن يقول الناس عنك شيئًا، لأنك تعلم أن الله يعلم حقيقتك.
· استعظام الذنوب الحسية والمعنوية: استشعار أن الملائكة تسجل كل شيء، حتى الخواطر و الوساوس التي تستقر، يجعل المؤمن يستعظم الذنب صغيره وكبيره.

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· تأسيس "نظرية المعرفة" الإسلامية: الآية ترسم حدود المعرفة: الحق يقوم على العلم واليقين و الوحي .والضلال يقوم على الظن والهوى والجهل .هذه نظرية معرفية متكاملة.
· العقلانية المؤمنة: العقل المؤمن ليس عقلا ً ساذجًا، بل هو عقل ناقد، يرفض الظن، ويطلب الدليل، ويعرف حدوده في الغيب .وهذا هو قمة العقلانية.
· فقه السببية: ربط عدم الإيمان بالآخرة بالتطاول على الغيب هو درس في فقه الأسباب والنتائج .الأ فكار الكبرى لها تبعات سلوكية.
· إدراك خطورة الفراغ العقدي: عندما يفرغ القلب من الإيمان باليوم الآخر، يمتلئ بالخرافة والظن . الطبيعة البشرية لا تقبل الفراغ.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية الضمير قبل الردع: التربية الإيمانية تركز على بناء الرقيب الداخلي) الضمير (من خلال الإيمان بالله واليوم الآخر، وهذا أقوى ألف مرة من الرقابة الخارجية.
· تربية اللسان: "هل قلت هذا بعلم أم بظن؟" سؤال تربوي يومي، يعلم الأطفال والكبار أمانة الكلمة.
· تربية الشجاعة الأدبية: الذي يخاف الله لا يخاف أحدًا .هذه التربية تنتج أجيالا ً لا تهادن في الحق، ولا تسكت عن الباطل خوفًا من أحد.
· التدرج في التربية على مراتب الخوف: نبدأ بتربية النشء على خوف العقاب، ثم نرتقي بهم إلى خوف فقدان الثواب، ثم إلى خوف الحياء من الله، وهكذا.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة

.1ركن الشعور الدائم بالمسؤولية: الشخصية المتزنة هي التي تستشعر أنها مسؤولة أمام الله عن كل صغيرة وكبيرة .وهذا يمنعها من اللامبالاة والعبث.
.2ركن العلمية والموضوعية: هي شخصية لا تتبع الظن، بل تطلب العلم .موضوعية في أحكامها، لا تحكم بالهوى ولا بالتخمين .متزنة في ردود أفعالها.
.3ركن القوة والثبات: خوفها من الله وحده يحررها من كل خوف آخر، فيجعلها قوية ثابتة، لا تزعزعها العواصف، ولا تغريها المطامع.
.4ركن الحياء والجمال الروحي: استشعارها الدائم لوجود الملائكة يضفي عليها حياءً وجمالا ً روحياً، يجعلها تكره القبائح، وتحب الفضائل.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة

.1سيادة الأمانة والجودة) من الإيمان باليوم الآخر(: عندما يؤمن الموظف والعامل والتاجر بأنه سيُسأل يوم القيامة عن عمله، فإنه يؤدي عمله بأمانة وإتقان .هذه القيم هي أساس النهضة الا قتصادية والعمرانية .المجتمع الذي يفقد الإيمان بالآخرة يغرق في الفساد الإداري والغش والتسيب.
.2بناء مجتمع العلم والمعرفة) من نبذ الظن(: الحضارة تقوم على العلم لا على الظن .أمة تتبع الظن لا يمكن أن تنهض علميًا .هذه الآيات تبني ثقافة "الدليل" و"البينة"، وهي ثقافة البحث العلمي والتحقق التي قامت عليها النهضة الحديثة.
.3تحقيق الأمن المجتمعي) من الرقابة الذاتية(: إذا كان الضمير الفردي حيًا بإيمانه باليوم الآخر، قلت الحاجة إلى أجهزة الأمن والرقابة الخارجية، وقلت النفقات، وساد الأمن .هذا هو السلم المجتمعي الذي تقوم عليه الحضارات.

.4تحرير الطاقة من الخرافة إلى البناء: عندما يتوقف الناس عن اتباع الظنون والأوهام، وعن الا نشغال بالخرافات، تتحرر طاقاتهم النفسية والفكرية للإبداع والاختراع وبناء الحضارة .إن أمة تشغلها الظنون عن الحقائق، لا يمكن أن تنهض.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات الإيمان بالآخرة ونبذ الظن

اجعل هذه الوصايا العشر، المستخلصة من قلب الآيات، زادك ليومك، ودستورك لحياتك، لتحفظ فطرتك ، وتضبط قواك، وتترقى في مراتب الإيمان:

.1جدد إيمانك باليوم الآخر كل يوم: اجعل لك وردًا من التفكر في أهوال القيامة، ونعيم الجنة، وعذاب النار .هذا هو وقود الإيمان الذي يحرك سائر الطاعات.
.2استحضر رقابة الملائكة قبل أن تخطو أي خطوة: قبل أن تقول أو تفعل شيئًا، تذكر: "إن هذا يُكتب" .هذا الاستحضار هو أعظم واعظ.
.3لا تتكلم في الغيب إلا بدليل: قف عند حدود ما جاء به الوحي .ولا تخض فيما لا تعلم، حتى لا تكون من متبعي الظن.
.4ارفض الظن في أحكامك على الناس: لا تتهم أحدًا في نيته، ولا تسئ الظن بأخيك .ابحث عن الأ عذار، وإذا لم تجد دليلا ً قاطعًا، فاترك الحكم لله.
.5اطلب العلم ليطرد الجهل: كلما شعرت بأنك تتصرف بناء على تخمين أو وهم، فاعلم أنك بحاجة إلى العلم .اطلبه من مظانه.
.6راقب ألفاظك كما تراقب جواهرك: الكلمة أمانة .اجعل لك ميزانًا تزن به كلامك قبل أن ينطلق.
.7ترقّ في مراتب الخوف من الله: لا ترضَ من نفسك أن تكون ممن يعبدون الله على حرف .اسأل الله أن يرزقك خشيته في الغيب والشهادة، وأن يجعلك من العلماء الخائفين، والصديقين المشتاقين.
.8اهرب من الأصنام المعنوية إلى رحاب الإيمان: كما هربت من عبادة الأوثان، اهرب من عبادة الهوى والظن، فإنها أصنام معنوية تفسد عليك دينك وعقلك.
.9اطلب رضا الله لتكسب محبة الملائكة: لا تطلب الدعاء من الملائكة مباشرة، بل اطلبه من الله، وسل الله أن يرضى عنك، فإن رضي عنك، أحبك، وأمر ملائكته فدعوا لك.
.10ازرع في أهلك وولدك الإيمان باليوم الآخر: اجعل الحديث عن اليوم الآخر جزءًا من ثقافة أسرتك .احكِ لهم عن عدل الله ورحمته، لتزرع فيهم الضمير الحي الذي لا يموت.

بهذه الوصايا، نكون قد جعلنا من هاتين الآيتين الكريمتين برنامجًا متكاملا ً لضبط العقل واللسان و النفس، وحفظ الفطرة من فساد الظنون والأماني، والارتقاء في مراتب الإيمان باليوم الآخر، حتى نكون أهلا ً لرضا الله، ومحبة ملائكته، وشفاعة الشافعين.

القسم الثالث

المبحث الأول

يا من أبصرت حقيقة الإيمان باليوم الآخر، وعرفت أن إنكاره هو أصل كل انحراف، وأن الظن لا يغني من الحق شيئًا... تعالَ معي الآن لنقف على عتبة توجيه إلهي مباشر، وأمرٍ رباني فيه كل العزة و الكرامة، وفيه بيان المصير الذي ينتظر من أعرض عن الذكر، وآثر الحياة الدنيا. نحن على موعد مع ا لآيتين (29-30) من سورة النجم، حيث يُختتم هذا المقطع العظيم ببيان الموقف العملي الذي ينبغي أن يتخذه النبي ﷺ والمؤمنون مع المعرضين عن منهج الله، وحيث يُكشف الستار عن حقيقة هؤلاء المعرضين: أن منتهى علمهم هو الحياة الدنيا، وأنهم قد بلغوا الغاية في الجهل والضلال. إنها آيات تمنح المؤمن بوصلة واضحة، وتحرره من التعلق بغير الله، وتجعله يوقن أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بمن اهتدى.

أولًا: مقدمة تمهيدية – الإعراض عن المعرضين، والاقتصار على الدنيا

بعد أن أثبت الله جل جلاله في الآيات السابقة ملكيته المطلقة للدنيا والآخرة، وأبطل أوهام المشركين في شفاعة الملائكة، وبيّن أن أصل ضلالهم هو عدم إيمانهم باليوم الآخر واتباعهم للظن... يأتي هذا التوجيه الإلهي الحاسم: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾. إنه أمرٌ بالعزة وا لاستغناء بالله، وإعلانٌ بأن هؤلاء الذين رفضوا قبول منهج الله لا يستحقون الاهتمام، لأنهم قد انصرفوا عن ذكر الله إلى التعلق بأوهام وخرافات الأصنام وملذات الشهوات الدنيا.

إن الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها هاتان الآيتان هي: الأمر الإلهي للنبي ﷺ بالإعراض عن

المعرضين عن ذكر الله، وبيان أن سبب هذا الإعراض هو قصر إرادتهم على الحياة الدنيا فقط، ثم التأكيد على أن هذا الاقتصار على الدنيا هو منتهى علمهم وغاية إدراكهم، وأخيرًا إعلان أن الله هو ا لأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بمن اهتدى.

أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: بيان حقيقة استخلاف الإنسان في الأرض، وأنه مكلف بمهمة خاضعة للرقابة الإلهية، وتقع تحت سمع الله وبصره، وأن الله قد زوّده بالطاقات للقيام بهذه المهمة. ولكن هؤلاء المعرضين رفضوا هذه المهمة، فانصرفوا عن الذكر إلى الأوهام. فما معنى الإعراض أولا ً؟ ولماذا أمر الله نبيه بالإعراض عنهم؟ وما هو المقصود بقوله: ﴿ذِكْرِنَا﴾؟ إن الذكر ليس مجرد تلفظ باسم الذات الإلهية، بل هو حضور معاني الأسماء والصفات المتعلقة بالله في القلب. والذكر أيضًا يكون بإقامة حكم الله في أرضه، وتطبيق منهجه في جميع شؤون حياتنا، مع التوجه بذلك إلى الله. والذكر لله يكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، محبةً وتعظيمًا وخضوعًا ورجوعًا إلى الله في الحوائج والنوائب. إن الذكر لله هو الذي يبعث في الإنسان الحياة الحقيقية، أما إذا غفل عن الذكر فهو ميت، لأنه جسد بلا روح. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ». وقال تعالى في موضع آخر: ﴿أَوَمَن كانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.

وللذكر خمس عشرة طريقة، مرتبطة بأنواع الذكر: ذكر اللسان، وذكر القلب، وذكر الجوارح. وكل واحدة منها مرتبطة بالأحكام الخمسة: الحلال المستحب، والحرام، والمكروه، والمباح، والواجب. فتكتمل بذلك منظومة الذكر الشاملة للحياة كلها. والله تعالى يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. فشرط حصول ذكر الله للعبد هو أن يذكره العبد أولا ً. وما هو ذكر الله للعبد؟ هو أن يكشف الله الحجب عن قلبه، ويفيض عليه من رحمته وإحسانه. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. وبالتالي فإن هؤلاء المعرضين قد رفضوا رحمة الله برفضهم لذكره، وسعوا نحو الأماني والشهوات والملذات، فعاقبهم الله بالإهمال، وصرفهم عن آياته. وقد أخرج البخاري حديثًا قدسيًا يرويه الرسول ﷺ عن ربه قال: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبْتَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبْتَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ أَتَيْتَنِي تَمْشِي أَتَيْتُكَ هَرْوَلَةً». فالذكر فيه الفلاح كله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. والذكر ليس مقصورًا على اللسان والقلب كما يتصور البعض، بل الذكر بالجوارح والذكر العملي هو الخاص في هذه الآية، لأ ن المشركين رفضوا تحكيم منهج الله. وهؤلاء أعرضوا عن ذكر الله فاستحقوا الإهمال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾. وفي الذكر فائدة عظمى للنفس لتزكيتها، وللنجاة من النار. وإن من مهمات الملائكة الذين كان المشركون يزعمونهم هو الحفاظ على صحف الله التي فيها الذكر: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾.

ثم تأتي الآية الثانية لتبين التوجيه للنبي ﷺ بأن هؤلاء قد أعرضوا عن ذكر الله، فلا تهتم بهم، لأنهم ﴿لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾. هذه هي الصفة الثانية من صفات الهلاك التي اتصف بها الكفار فحرموا من رحمة الله: إنهم جعلوا الهدف من وجودهم في الأرض هو العمل للدنيا فقط. فهم يريدون الملذات و الشهوات، وهذا هو منطق: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾. فهؤلاء أرادوا الدنيا فقط، فحصل لديهم اختلال في الموازين التي تقوم عليها معايير القيم، فأصبحوا جهلاء، ذلك مبلغهم من العلم. ولهذا ساءت عندهم الحسنات، وحسنت السيئات، لأنهم سكارى في ضلال الدنيا. حتى لو عملوا عملا ً صالحًا، فإن القصد والنية غير متوفرة، وبالتالي تحبط أعمالهم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾. فهم لا يبتغون وجه الله، وفيهم الرياء والشهرة وعبادة الذات و الهوى. ولأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فلا قيمة لأعمالهم، ولا قيمة لأملهم إن آمنوا بالله دون العمل الصالح المتوافق مع قاعدة التوحيد التي حملها جميع الرسل والأنبياء، والإيمان باليوم الآخر. وبالتالي فهم جهلاء، لانقطاع اتصال أرواحهم بالله، ولعدم إيمانهم باليوم الآخر الذي يمنحهم العلم. وهم ظ المون للحق بالشرك، وظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾. وفيها إشارة إلى علم الله بمن يستحق العطاء والذي يوفقه للهداية بألطاف الربوبية والاصطفاء، ولديه علم بمن لا يستحق ذلك فاستحق الحرمان.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

دعنا الآن نبحر في قلب هاتين الآيتين الجليلتين، محورًا محورًا، ونستلهم منها العزة بالحق، والتحرر من التعلق بالباطل وأهله، واليقين بعدل الله وعلمه.

المحور الأول: الأمر بالإعراض عن المعرضين (الآية 29)

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(29) ﴾

قف معي الآن عند هذا الأمر الإلهي الحاسم. بعد كل ما تقدم من بيان بطلان عقائدهم وأمانيهم، وبيان أنهم لا يؤمنون بالآخرة، تأتي الفاء: ﴿فَأَعْرِضْ﴾. إنها فاء السببية، أي: بسبب كل هذه الانحرافات، وبسبب رفضهم للحق الواضح، وبسبب اتباعهم الظن والهوى... أعرض عنهم. إنه إعلان بالاستغناء عنهم، وعدم الالتفات إليهم، وصرف الهمة إلى غيرهم ممن يقبلون الذكر.

١.معنى الإعراض:
الإعراض هو الترك والصفح والانصراف. ليس هو مجرد تركهم وشأنهم، بل هو ترك الاحتفال بهم، وترك الاهتمام بجدالهم، وترك التأسف عليهم، وصرف الطاقة التي كانت توجه لإقناعهم إلى من يستحق. إنه أمر فيه عزة للمؤمن، فلا يذل نفسه باللحاق بمن يدبر عنه. وفيه حماية لطاقة المؤمن، فلا يبددها في جدال عقيم مع من اختار الضلال. وفيه حكمة دعوية، فالإعراض عن المعاند أحيانًا أبلغ من الإقبال عليه.

٢.ما هو المقصود بقوله ﴿ذِكْرِنَا﴾؟) الذكر بمعناه الشامل(:
هنا نقف مع السؤال العظيم: ما معنى الذكر الذي تولى عنه هؤلاء؟ إن فهم معنى "ذكرنا" هو مفتاح الآية. الذكر ليس مجرد تلفظ باسم الذات الإلهية فحسب، بل هو مفهوم شامل واسع، له أبعاد متعددة:

· ذكر الله باللسان: وهو التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد وتلاوة القرآن والدعاء .وهذا هو أبسط أنواع الذكر، ولكنه أصل عظيم.
· ذكر الله بالقلب: وهو حضور معاني الأسماء والصفات المتعلقة بالله في القلب، كاستحضار عظمته ورحمته وقدرته ورقابته .وهذا هو روح الذكر، الذي يبعث في الإنسان الحياة الحقيقية .فالإنسان إذا غفل عن هذا الذكر فهو ميت، لأنه جسد بلا روح .يقول النبي ﷺ:«مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ .«وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.
· ذكر الله بالجوارح) الذكر العملي(: وهو الخاص في هذه الآية، لأن المشركين رفضوا تحكيم منهج الله .وهذا الذكر يكون بإقامة حكم الله في أرضه، وتطبيق منهجه في جميع شؤون حياتنا، مع التوجه بذلك إلى الله .ويكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، محبة وتعظيمًا وخضوعًا .ويكون بالرجوع إلى الله في الحوائج والنوائب .وهذا هو معنى الاستخلاف الحقيقي، والقيام بمهمة التكليف الإلهي الذي زوّد الله الإنسان بالطاقات للقيام به .فهؤلاء المشركون لم يرفضوا التلفظ بالذكر فقط، بل رفضوا مقتضى الذكر وهو تحكيم شرع الله والاستسلام لأمره.

ولقد أشار العلماء إلى أن للذكر خمس عشرة طريقة، مرتبطة بأنواع الذكر الثلاثة (اللسان، القلب، الجوارح)، وكل واحدة منها مرتبطة بالأحكام الخمسة (الحلال المستحب، الحرام، المكروه، المباح، الواجب). فتصير الجملة خمسة عشر وجهًا. وكلها تدخل في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. فشرط حصول ذكر الله للعبد هو أن يذكره العبد أولا ً. وما هو ذكر الله للعبد؟ هو أن يكشف الله الحجب عن قلبه، ويفيض عليه من رحمته وإحسانه، ويذكره في الملأ الأعلى. وقد أخرج البخاري حديثًا قدسيًا يرويه الرسول ﷺ عن ربه قال: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ...» الحديث. وبالتالي فإن هؤلاء الذين رفضوا رحمة الله برفضهم لذكره، وسعوا نحو الأماني والشهوات والملذات، عاقبهم الله بالإهمال، وصرفهم عن آياته. و الذكر فيه الفلاح كله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وهؤلاء أعرضوا عن ذكر الله فاستحقوا الإهمال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· ترشيد الطاقة الجدلية: ليس كل معرض يستحق أن نطارده بالحجج .العقل الرشيد يفرق بين المعاند والمستفهم، فيعرض عن الأول ويركز على الثاني.
· مركزية الذكر: الذكر هو صلة الحياة .من قطعه مات قلبه، ومن مات قلبه لم يعد يفقه الحق.
· الرسائل النفسية:
· العزة بالله والاستغناء عن المعرضين: المؤمن عزيز بدينه، لا يلهث وراء من أدبر عنه .وهذا يحرره نفسيًا من التعلق بغير الله.
· السلام الداخلي بترك الجدال العقيم: الإعراض عن المعاندين يمنح النفس سكينة وهدوءًا، بدلا ً من القلق الذي يسببه الجدال بلا طائل.
· الرسائل التربوية والعملية:

· تربية النفس على الذكر بكل أنواعه: اجعل حياتك كلها ذكرًا: لسانك رطبًا بذكر الله، وقلبك حاضرًا معه، وجوارحك عاملة بطاعته.
· معرفة متى تعرض: علم أبناءك أن من الأدب مع الحق ألا يفرض نفسه على من يرفضه، بل يمضي إلى من يطلبه.

المحور الثاني: تحديد غاية المعرضين ومنتهى علمهم (الآية 30)

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ(30) ﴾

١.﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾: منتهى علمهم هو الدنيا
"ذلك" إشارة إلى كونهم لا يريدون إلا الحياة الدنيا .أي أن غاية علمهم ومنتهاه هو إدراك محسوسات الدنيا وشهواتها .إنهم لم يتجاوز علمهم وفهمهم هذه الحياة الفانية .إنه حكم قاطع بأن العلم الحقيقي هو ما أوصل إلى الله والدار الآخرة، وما عدا ذلك فهو جهل، مهما بدا لأهله أنهم علماء .فهؤلاء جهلاء ، لانقطاع اتصال أرواحهم بالله، ولعدم إيمانهم باليوم الآخر الذي يمنحهم العلم الحقيقي .وهم ظ المون للحق بالشرك، وظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك .وهذا هو أبلغ رد على من يظن أن الكفار لديهم علم! إن علمهم قاصر على ظاهر من الحياة الدنيا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ .وحتى لو عملوا عملا ً صالحًا، فإن القصد والنية غير متوفرة، فهم لا يبتغون وجه الله، وفيهم الرياء والشهرة وعبادة الذات والهوى، وبالتالي تحبط أعمالهم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ .فلا قيمة لأعمالهم، ولا قيمة لأملهم، لأنهم فقدوا شرط الإيمان باليوم ا لآخر، وفقدوا قاعدة التوحيد التي حملها جميع الرسل.

٢.﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾: التسليم لعلم الله المطلق
بعد الأمر بالإعراض وبيان أنهم لا يريدون إلا الدنيا، تأتي هذه الآية لتريح قلب النبي ﷺ والمؤمنين. إن الحكم النهائي على الناس ليس لك، وليس لك أن تحزن على من ضل. فالله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله، وهو الأعلم بمن اهتدى. فهو يعلم حقيقة كل إنسان، ويعلم من يستحق الهداية ومن لا يستحقها. وفيها إشارة إلى علم الله بمن يستحق العطاء والذي يوفقه للهداية بألطاف الربوبية والا صطفاء، ولديه علم بمن لا يستحق ذلك فاستحق الحرمان. إنه تفويض لله، وتسليم لحكمته، وثقة بعدله. وهذا يعلمنا ألا نحكم على الناس بناءً على ظاهرهم فقط، بل نكل الأمر إلى الله، ونستمر في الدعوة لمن يريد، ونعرض عن المعاندين.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية:
· العلم الحقيقي يتجاوز الدنيا: كل علم لا يهدي إلى الله وإلى الدار الآخرة فهو قاصر، ومبلغ أهله منه هو الدنيا فقط .هذا يحرر العقل من الانبهار بعلوم الدنيا المجردة عن الإيمان.
· تفويض حكم الضلال والهداية لله: هذا يمنع العقل من الغرور، ويمنع النفس من اليأس، فالله هو الهادي.
· الرسائل النفسية:
· الطمأنينة لحكم الله: لست مسؤولا ً عن هداية أحد، بل عن البلاغ .فالله هو الأعلم .هذا يريح النفس من حمل هم النتائج.
· التحرر من القلق على الظالمين: المعرضون اختاروا، والله أعلم بهم .لا تحمل همهم فوق طاقتك . اعرض عنهم وتفرغ لطاعة ربك.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية النية الخالصة: لا تجعل هدفك من العلم والعمل هو الدنيا فقط، بل اجعل الآخرة والله غايتك، لئلا يكون "ذلك مبلغك من العلم".
· التواضع وعدم ادعاء معرفة السرائر: لا تقل هذا مهتدٍ وهذا ضال بغير دليل .الله أعلم بالسرائر . عامل الناس بالظاهر، وكل السرائر لله.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "منهجية العزة بالحق وتفويض الأمر لله":

1.اتخاذ الموقف العملي المناسب: بعد بيان الحق وكشف الباطل، يجب أن يتحول العلم إلى موقف عملي، وهو الإعراض عن المعاندين.
2.تشخيص العلة الحقيقية للمعرضين: هم لم يعرضوا فقط عن كلام، بل عن "ذكرنا" الذي هو الحياة، وآثروا "الحياة الدنيا" التي هي متاع الغرور.
3.بيان محدودية علمهم: علمهم الذي يفتخرون به لا يتجاوز الدنيا.
4.تفويض العلم المطلق لله: الله وحده هو الأعلم بالضال والمهتدي.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة الفاء في "فأعرض": للسببية، وتربط الموقف العملي بالأسباب السابقة من تكذيبهم وإعراضهم.
· دلالة إضافة "ذكر" إلى ضمير الجلالة "ذكرنا": تشريف للذكر، وبيان أنهم أعرضوا عن الله نفسه، لا عن مجرد كلام.
· دلالة قصر إرادتهم على الدنيا بـ "إلا": حصر كامل، فهم لا يريدون غير الدنيا.
· دلالة "مبلغهم من العلم": تحقير لعلمهم، فهم لم يبلغوا إلا أدنى مراتب الإدراك.
· دلالة تأكيد "إن ربك هو أعلم": بالجملة الاسمية وضمير الفصل "هو" لتحقيق القصر، فالله وحده هو العالم، لا أنت ولا هم.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

1.قضية "التعامل مع المعاندين": الآيات تقدم منهجًا عمليًا للتعامل مع المعاندين والمكذبين بعد استنفاد وسائل الدعوة: الإعراض والصفح وتفويض الأمر لله.
2.قضية "الذكر بمعناه الشامل": إعادة تعريف الذكر بأنه الحياة الحقيقية، وأنه شامل للقول والعمل وا لاعتقاد، وأن الإعراض عنه هو الموت.
3.قضية "الهدف من الحياة": تفريق حاسم بين من يجعل الحياة الدنيا هدفه الأوحد، ومن يجعلها مزرعة للآخرة.
4.قضية "العلم النافع والعلم القاصر": بيان أن العلم الذي لا يصل بصاحبه إلى الله هو علم قاصر، لا قيمة له في ميزان الآخرة.
5.قضية "التفويض والتسليم لعلم الله وحكمته": في أمر الهداية والضلال، مما يمنح المؤمن راحة نفسية، ويحميه من القنوط.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

1.العزة بالدين وعدم التذلل للمعرضين: أن نرفع رؤوسنا بإيماننا، وألا نلهث وراء من يدبر عن الحق.
2.تحقيق الذكر بكل معانيه: أن نجعل حياتنا ذكرًا لله باللسان والقلب والجوارح، وأن يكون تحكيم شرع الله هو منهج حياتنا.
3.إخلاص النية وإرادة الآخرة في كل عمل: ألا نكون ممن ﴿لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، بل نجعل الآ خرة هي الهدف الأسمى.
4.التفويض لله في أمر الخلق: أن نعلم أن الله هو الأعلم بمن ضل وبمن اهتدى، فنكل الأمر إليه، و لا نحكم على الناس بالنيات.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية والمهنية؟ (البرنامج التطبيقي)

1.وفر طاقتك للحقائق لا للأوهام: لا تنشغل بالرد على كل منكر ومعاند، خاصة في وسائل التواصل . اعرض عنه، ووجه طاقتك لنشر العلم النافع.
2.اجعل كل عملك ذكرًا لله: في عملك، استحضر أنك في عبادة، وأتقنها، وابتغ بها وجه الله، لا مجرد الراتب والشهرة.
3.حدد هدفك الأسمى بوضوح: لا تجعل حياتك تدور حول جمع المال فقط .ضع لنفسك أهدافًا أخروية، واجعل الدنيا وسيلة لها.

.4لا تدّع معرفة الغيب في تقييم الآخرين: إذا رأيت منحرفًا، فلا تقل: هذا من أهل النار .بل قل: أخاف عليه، وأدعو له بالهداية، وأكل أمره لله.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس العزة بالإعراض) من: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾(:

· الدرس: المؤمن عزيز، لا يفرض نفسه على أحد .إذا أعرض الناس عن الحق، فلا تذل نفسك لهم.
· التطبيق: إذا ناقشت شخصًا وأصر على باطله، فقل خيرًا وانصرف .لا تجعل النقاش يتحول إلى مراء وشجار.

.٢درس الحياة بالذكر) من: ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾(:

· الدرس: الذكر هو غذاء الروح وحياة القلب .من تركه مات قلبه ولو كان جسده يمشي.
· التطبيق: لا تدع لسانك يفتر عن الذكر .خصص أوقاتًا للذكر القلبي الصامت .واجعل جوارحك ذاكرة بطاعة الله.

.٣درس خطر إرادة الدنيا فقط) من: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(:

· الدرس: من جعل الدنيا همه الأكبر، حصل له اختلال في الموازين، وخسر الآخرة.
· التطبيق: راجع نواياك في كل عمل .لماذا تعمل؟ لماذا تدرس؟ لماذا تتاجر؟ صحح نيتك لتكون لله وللدار الآخرة.

.٤درس العلم النافع) من: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾(:

· الدرس: العلم الحقيقي هو ما زادك خشية من الله، وقربك إليه .وما سوى ذلك فهو ظاهر من الحياة الدنيا.
· التطبيق: لا تنبهر بألقاب العلماء وأصحاب الشهادات إن كانوا بعيدين عن الله .ابحث عن العلم الذي ينفعك في آخرتك.

.٥درس تفويض الأمر لله) من: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ...﴾(:

· الدرس: لا تشغل بالك بمن ضل ومن اهتدى بعد أداء الواجب .الله هو الهادي والمضل بحكمته.
· التطبيق: إذا دعوت أحدًا فلم يستجب، فلا تحزن ولا تغضب .قل: "اللّهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" ، وامض في سبيلك.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الحزن على المعرضين إلى العزة بالحق: لن أحمل هم من يعرض عن ديني، بل سأفخر بإيماني، وأعرض عنه كما أمرني ربي.
.2من الحياة الروتينية إلى الحياة الذاكرة: سأدرك أن حياتي الحقيقية هي في ذكري لله، وسأجعل كل لحظة في يومي ذكرًا.
.3من السباق على الدنيا إلى السباق على الآخرة: سأضع الدنيا في يدي لا في قلبي، وأجعل الآخرة هي الهدف والغاية.
.4من الاغترار بعلوم الدنيا إلى طلب العلم النافع: لن أنبهر بعلوم لا صلة لها بالله، وسأطلب العلم الذي يورثني خشية الله ومعرفته.
.5من القلق على النتائج إلى الطمأنينة بعدل الله: سأريح عقلي وقلبي، وأعلم أن الله أعلم بمن ضل ومن اهتدى، فأفعل ما عليّ، وأترك النتائج له.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة إدارة الطاقة العاطفية والفكرية: الإعراض عن المعاندين مهارة تحمي طاقتك النفسية والعقلية من الاستنزاف في غير طائل.
· مهارة الوعي بالذات: عبر مراجعة النوايا باستمرار، وتساؤلك: هل أنا أريد الدنيا فقط بعملي هذا؟ أم أريد وجه الله؟
· مهارة الحياة بوعي(: تحويل الحياة كلها إلى ذكر، أي أن تكون حاضرًا بقلبك مع الله في كل حركاتك وسكناتك.
· مهارة التفويض(: تعلم أن تفوض أمر النتائج والحكم على الآخرين لله، مما يريح نفسيتك ويجعلك أكثر تركيزًا على نفسك.
· مهارة تحديد الأولويات : جعل الآخرة الأولوية الأولى، والدنيا وسيلة، هو أساس النجاح والإنجاز المتوازن.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: ترسيخ عقيدة أن الذكر حياة، والإعراض عنه موت .وترسيخ عقيدة أن الله هو الهادي والمضل، وهو أعلم بمن يستحق الهداية .وبيان أن الدنيا ليست غاية.
· الأبعاد الدلالية: استخدام "فأعرض" فيه حسم ووضوح في الموقف .وإضافة "ذكر" إلى ضمير "نا" فيه تشريف عظيم .وتعبير "مبلغهم من العلم" فيه تحقير لعلمهم.
· الأبعاد النفسية: منح المؤمن العزة والتحرر من التعلق بالآخرين .ومنحه الطمأنينة بتفويض الأمر لله . ومنحه السكينة بترك الجدال العقيم.
· الأبعاد الفكرية: تحديد مفهوم العلم الحقيقي بأنه ما تعدى حدود الدنيا إلى معرفة الله .وتأكيد أن منحصري العلم في الدنيا هم في أدنى المراتب الفكرية.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد استخلاف الإنسان وقيامه بمهمة الذكر: الآية تذكرنا بأننا خلفاء في الأرض، وأن مهمتنا هي إقامة ذكر الله بكل أنواعه، لا مجرد إعمار الدنيا المادي.
· مقصد ترشيد الجهود الدعوية: توجيه الدعاة إلى أن الإعراض عن المعاند أسلوب دعوي مؤثر في بعض الأحيان، وأنه لا ينبغي إضاعة الوقت معه.
· مقصد بناء الشخصية الإيجابية المنتجة: الشخصية التي لا تريد إلا الدنيا شخصية استهلاكية نفعية، أما الشخصية التي تريد الآخرة فهي شخصية إيجابية منتجة.
· مقصد حماية الأمة من الانحلال: الأمة التي تجعل الدنيا همها تتفكك وتذل، أما الأمة التي تجعل الآ خرة نصب عينيها فتعز وتقوى.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: ابدأ يومك بالذكر، واستحضر أنك تعيش هذا اليوم لتكون عبدًا ذاكرًا شاكرًا، لا لتجمع حطام الدنيا فقط.
· في مواجهة التحديات: إذا واجهت معاندًا أو مستهزئًا، تذكر قوله: "فأعرض عن من تولى عن ذكرنا" . لا تدخل في صراع يستنزفك.
· قبل النوم: حاسب نفسك: كم كان نصيب الآخرة من نواياك وأعمالك اليوم؟ وكم كان نصيب الدنيا؟

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

.١مفهوم "العزة بالإعراض" ﴿فَأَعْرِضْ﴾:

· في التعامل مع المنتقدين: إذا انتقدك أحد بغير حق، وأعرض عن النصح، فأعرض عنه .لا تبرر، ولا تجادل، وامض في طريقك.
· في الدعوة: لا تلح على من يرفض سماع الحق بإصرار .ازرع البذرة، واسقها برفق، فإن لم تنبت، فاتركها وابحث عن أرض خصبة.

.٢مفهوم "الحياة بالذكر" ﴿عَن ذِكرِنا﴾:

· اجعل عملك ذكرًا: عندما تعمل في مهنتك، قل في نفسك: "اللهم إني أعمل هذا العمل امتثالا ً لأ مرك بإعمار الأرض، وابتغاء مرضاتك" .هذه النية تحول العمل كله إلى ذكر وعبادة.
· في أوقات الانتظار والفراغ: استثمر الدقائق في ذكر الله، بدلا ً من تصفح ما لا ينفع .هذا الذكر يحيي قلبك ويملؤه نورًا.

.٣مفهوم "إرادة الآخرة" ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾:

· في النوايا اليومية: قبل أن تأكل، اسأل نفسك: لماذا آكل؟ لتقويتي على طاعة الله، أم للذة فقط؟ حول النية، ترتفع درجتك.
· في الاستهلاك والشراء: اشترِ ما تحتاج، ولا تسرف .تذكر أنك تريد الآخرة، فلا تجعل متاع الدنيا هو شغلك الشاغل.

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· العلاج بالعزة: الشعور بالعزة والاستغناء بالله علاج نفسي فعال للاكتئاب الناتج عن رفض الآخرين أو إعراضهم عنا.
· السكينة القلبية: الذكر يورث القلب سكينة وطمأنينة: ﴿أَلَا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ .والإعراض عن الذكر يورث القلق والاضطراب.
· التحرر من عبودية الدنيا: متى أدركت أن الدنيا مزرعة للآخرة، تحررت من قلق الرزق، ومن الشره ا لاستهلاكي.

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· العلم من أجل الآخرة: العقل المؤمن يطلب العلم ليعرف الله، ويعمر الأرض وفق منهجه، لا ليتكالب على الدنيا.
· الاستدلال بالنتيجة على المقدمات: إذا رأيت رجلا ً لا يريد إلا الدنيا، فاعلم أن هذا مبلغه من العلم ، وأن علمه قاصر مهما بدا عكس ذلك.
· منطق التفويض: ليس من مهمة العقل البشري أن يحكم على مصائر الناس الأخروية .مهمته الاجتهاد في الطاعة والدعوة، ثم تفويض الأمر لله.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية النشء على الذكر العملي: لا تعلم أبناءك الأذكار اللفظية فقط، بل علمهم أن الأمانة في الدرس، والصدق في الحديث، ومساعدة المحتاج، كلها من ذكر الله العملي.
· تربية العزة والكرامة: لا تربهم ليكونوا تابعين، يلهثون وراء رضا كل أحد .بل ربهم ليكونوا شجعانًا، يقولون الحق، ويتركون من يرفضه دون أن ينكسروا.
· غرس بوصلة الآخرة: باستمرار، وجه أنظارهم إلى أن النجاح الحقيقي هو الفوز بالجنة، لا الشهادة أو المال.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة

.1ركن العزة والاستقلال: شخصية عزيزة، تستمد قيمتها من دينها، لا من قبول الناس لها .متزنة لا تتأرجح بين الفرح بقبولهم والحزن لرفضهم.
.2ركن الإيجابية والعمل: شخصية لا تريد الدنيا، ولكنها تعمل فيها بإتقان لتصل إلى الآخرة .إنها شخصية منتجة، لا مستهلكة.
.3ركن السكينة والطمأنينة: بالذكر والتفويض، تعيش هذه الشخصية في سلام داخلي دائم.

4.ركن التواضع العلمي: تعرف أن علمها محدود، وأن الله هو الأعلم، فلا تتكبر بعلمها، ولا تقنط من هداية أحد.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة

1.النهضة تقوم على "الذكر" بمعناه الشامل: الذكر هنا هو إقامة منهج الله في الأرض .الحضارة الحقيقية تنهض عندما يكون أساسها هو تطبيق شرع الله الذي يضمن العدل والرحمة.
2.قوة الدفع الحضاري) من إرادة الآخرة(: من يريد الدنيا يكتفي بالقليل، ويقف .أما من يريد الآخرة، فهو يعمل للدنيا بلا حدود، لأنه يرى في كل عمل صالح طريقًا إلى الجنة، فيتضاعف إنتاجه وهمته.
3.تماسك المجتمع) من العزة بالإعراض عن الباطل(: مجتمع لا يلهث أفراده وراء قبول الآخرين، بل هم أعزة بالحق، مجتمع متماسك، لا تهزه الموضات، ولا تذله الضغوط الخارجية.
4.الاستقرار النفسي والاجتماعي) من التفويض(: عندما يفوض الناس أمورهم لله، ويتركون الحكم على النيات لله، يقل الصراع، ويسود السلام الاجتماعي، وتتفرغ الطاقات للبناء.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات الإعراض والذكر وإرادة الآخرة

اجعل هذه الوصايا العشر، المستخلصة من قلب الآيات، زادك ليومك، ودستورك لحياتك، لتحيا حياة الذاكرين، وتكون من المخلصين المريدين للآخرة:

1.كن عزيزًا بدينك: لا تذل نفسك لمن أعرض عن الحق .اعرض عنه بكرامة، ووفر طاقتك لمن يستحق.
2.عش بالذكر حياة: اجعل ذكر الله بكل أنواعه) لسانًا، قلبًا، جوارح (هو الروح التي تسري في جسد يومك .لا تكن حيًا بجسدك ميتًا بقلبك.
3.صحح نيتك في كل عمل: قبل كل مهمة، اسأل نفسك: "هل أنا أريد بهذا وجه الله والدار الآخرة؟" . اجعل هذه عادتك اليومية.
4.لا تجعل الدنيا همك الأكبر: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا .لا تطغ دنياك على آخرتك.
5.اطلب العلم النافع: العلم الذي يزيدك خشية من الله، ويعرفك به، ويقربك إليه .لا تنخدع بعلوم تجعل صاحبها لا يريد إلا الدنيا.
6.فوض الأمر لله: لا تتعب نفسك في الحكم على الناس .أنت عليك البلاغ، والله هو الهادي والمضل، وهو الأعلم بمن ضل ومن اهتدى.
7.حرر نفسك من قلق النتائج: ازرع خيرًا، وادعُ إلى حق، ثم توكل .لا تحزن على من لم يستجب، و لا تغتر بمن استجاب.
8.اجعل الذكر العملي منهج حياتك: إتقانك لعملك، وصدقك في معاملتك، ورفقك بأهلك، كله من ذكر الله العملي الذي يرفع درجتك.
9.أعرض عن لغو القول ومراء الجدال: إذا سمعت جدالا ً لا فائدة فيه، أو حديثًا يغضب الله، فأعرض عنه، ولا تكن من الخائضين.
10.تزود للقاء الله: تذكر دائمًا أن ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ ليس مصيرك أنت، فارفع سقف طموحك، واجعل همك رضا الله، واطلب الفردوس الأعلى.

بهذه الوصايا، نكون قد جعلنا من هاتين الآيتين الكريمتين خريطة طريق نحو العزة بالله، والحياة بذكره، وإرادة الآخرة في كل عمل.

المبحث الثاني

يا من ذاق حلاوة الإيمان باليوم الآخر، وعرفت أن الذكر هو الحياة، وأن الإعراض عن المعرضين عزة وكرامة، وأن منتهى علم من لا يريد إلا الدنيا هو الجهل بعينه... تعالَ معي الآن لنقف على خاتمة هذا المقطع العظيم من سورة النجم، حيث تبلغ الذروة في بيان ملكية الله للكون كله، وعدله المطلق في الجزاء، ورحمته الواسعة للمحسنين. نحن الآن على موعد مع الآيتين (31-32) من سورة النجم، حيث يُسدل الستار عن حقيقة الملكية الإلهية، وبيان أن الجزاء واقع لا محالة، وأن النجاة ليست بالأماني ولا بالأنساب، بل بتزكية النفس، واجتناب كبائر الإثم والفواحش، والالتجاء إلى سعة مغفرة الله. إنها آيات تبعث في قلب المؤمن الخوف والرجاء معًا، وتضبط قوى الشهوة والغضب و العقل بضابط التقوى والإحسان، وتجعل ميزان العدل الإلهي هو النبراس الذي يهتدي به العبد في حياته كلها.

أولًا: مقدمة تمهيدية – في رحاب الملكية المطلقة والعدل الإلهي والرجاء في المغفرة

بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بالإعراض عن المعرضين عن الذكر، والذين لا يريدون إلا الحياة الدنيا، وبيّن أن منتهى علمهم هو الدنيا فقط، وأنه سبحانه هو الأعلم بالضالين والمهتدين... يأتي السؤال المنطقي الذي يفرضه هذا السياق: إذا كان الله هو الأعلم، وهو الذي يملك الدنيا والآخرة، فما هو مصير هؤلاء المعرضين؟ وما هو مصير المؤمنين؟ كيف يدير الله هذا الكون؟ وما هو ميزان الجزاء عنده؟ تأتي الآ يتان (31-32) لتجيبان عن هذه الأسئلة بأبلغ بيان، ولتختم هذا المقطع الطويل من السورة بأعظم قواعد العدل والرحمة.

إن الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها هاتان الآيتان هي: إعلان ملكية الله المطلقة لما في السماوات وما في الأرض، بيان أن الجزاء الأوفى سيكون لمن أساء وسيكون لمن أحسن، وصف المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم، ثم ختم الآية ببيان سعة مغفرة الله، وتذكير العباد بأنه أعلم بهم منذ أنشأهم من الأرض وإذ هم أجنة في بطون أمهاتهم، وتحذيرهم من تزكية أنفسهم، فالله أعلم بمن اتقى.

أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: إعادة الأمور كلها إلى نصابها. فبعد أن بيّن الله بطلان الشرك والظنون والأماني، وبيّن عاقبة المعرضين، يختم بالقول الفصل: إن ملك السماوات والأرض لله وحده. وهذا يعني أن نظام الجزاء والحساب قائم وقادم. وإن هذا الجزاء عادل كل العدل: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾. ثم يرسم صفات المحسنين الذين يستحقون الجزاء الحسن، وهم الذين يجتنبون كبائر الذنوب والفواحش، ولا يقعون إلا في اللمم (صغائر الذنوب التي تُلمّ وتُمسح بالاستغفار). وهنا يتجلى التوازن العظيم بين الخوف من عدل الله، والرجاء في سعة مغفرته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾. ثم يذكرهم بأصلهم ليزيدهم تواضعًا وكسرًا للغرور: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾. وهو تحذير من تزكية النفس، لأن الله أعلم بمن اتقى. إنها آيات تجمع بين الترهيب والترغيب، وتبني في النفس المؤمنة حالة من المراقبة الدائمة ، فيُضبط بها الحب (الشهوة) والبغض (الغضب) والفكر (العقل) بضوابط التقوى، وتنضبط الأماني فلا تتجاوز إلى الباطل، وتصح النوايا فلا تتعلق بغير الله.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

دعنا الآن نبحر في قلب هاتين الآيتين الكريمتين، محورًا محورًا، ونستلهم منهما الخوف من عدل الله، والرجاء في رحمته، والتواضع بعلمه، والتحرر من تزكية النفس.

المحور الأول: ملكية الله المطلقة للكون (بداية الآية 31)

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

قف معي الآن عند هذا الإعلان العظيم الذي يزلزل الوجدان. بعد كل ما سبق من بيان أن الله مالك ا لآخرة والأولى، يأتي هذا البيان الأشمل والأعم: لله وحده كل ما في السماوات وكل ما في الأرض، ملكًا وخلقًا وتصرفًا وتدبيرًا.

١.معنى الآية ودلالتها:
هذا إخبار عن تمام ملكه سبحانه وتعالى. فكل من في السماوات والأرض هو عبد لله، مملوك له، فقير إليه، وهو الغني الحميد. وهذا يعني أن كل ما يحدث في هذا الكون، وكل حركة وسكون، إنما هي في ملك الله، وبإذنه، وتحت قهره وسلطانه. وهذا هو الأساس الذي تبنى عليه الآية التالية مباشرة عن الجزاء. فالمالك المطلق هو الذي يحاسب ويجزي، لأن من تمام ملكه أن يتصرف في ملكه كيف يشاء، بالعدل والفضل.

٢.لماذا ورد هذا الإعلان في هذا الموضع؟
هذا الإعلان يأتي كحجر الزاوية في ختام هذا المقطع. لقد تقدم الحديث عن:

· المعرضين عن الذكر، والذين لا يريدون إلا الدنيا.
· والذين يسمون الملائكة تسمية الأنثى.
· والذين لا يؤمنون بالآخرة ويتبعون الظن.

فهنا يعلن الله أنه المالك لكل هؤلاء، ولكل ما يعبدون من دونه، ولكل ما في السماوات والأرض. فع لامَ التعلق بغيره؟ وعلامَ الخوف من سواه؟ وعلامَ الرجاء فيمن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا؟ إن هذا الإعلان يهدم كل خوف من غير الله، وكل رجاء في غير الله، ويجعل القلب يتوجه كليًا إلى المالك الحق.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· مركزية عقيدة الملكية: فهم أن الكون له مالك واحد، يعني أن هناك نظامًا واحدًا، وقانونًا واحدًا، ومرجعية واحدة. وهذا يعطي العقل وضوحًا تامًا في الرؤية.
· تحرير العقل من الخرافة: ما دام كل شيء ملكًا لله، فلا سلطان لأي قوة أخرى في الكون. هذا يحرر العقل من أوهام التعلق بالوسطاء والقوى الغيبية المزعومة.
· الرسائل النفسية:
· الأمن والطمأنينة: أنا عبد في ملك سيدي، وسيدي رحيم عادل. هذا الشعور يمنح النفس أمنًا وطمأنينة لا حدود لهما.
· التحرر من الخوف من المخلوقين: ما دام الجميع عبيدًا مملوكين لله، فلا خوف من أحد، لأنهم جميعًا لا يملكون لأنفسهم شيئًا.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية الطفل على عظمة الله: منذ الصغر، علم الطفل أن الكون كله لله، ليكبر وهو يشعر بمراقبة الله وقربه، ويعيش في حماه.
· التوكل على الله وحده: في كل عمل، توكل على المالك الحقيقي، لا على الأسباب الظاهرة فقط.

المحور الثاني: قانون الجزاء العادل (بقية الآية 31)

.{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}.

بعد تقرير ملكيته المطلقة، يأتي بيان الحكمة من هذا الملك، ومن خلق السماوات والأرض، وهو الجزاء العادل. "اللام" في "ليجزي" هي لام العاقبة أو التعليل، أي أن ملكه للكون هو ليجري نظام الجزاء العادل.

.١معنى الآية وتفسيرها:
الله يملك كل شيء، وقد خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، ليقوم نظام الحساب والجزاء العادل. فالذين أساءوا في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم، سيجزيهم الله بما عملوا، أي بمثل عملهم من العقاب. والذين أحسنوا في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم، سيجزيهم الله بالحسنى، أي بالجنة والمثوبة العظمى التي هي أحسن مما عملوا، فضلا ً منه وكرماً.

.٢هذه الآية وضبط قوى النفس) الشهوة، الغضب، العقل(:
هذا هو بيت القصيد في علاقة هذه الآيات بتهذيب النفس. إن الإيمان بقانون الجزاء العادل هو الضابط الأكبر لقوى الإنسان:

· ضبط قوة الشهوة (الحب): إذا أحببت شيئًا محرمًا، وهو ما تهواه نفسك، فاعلم أنك إن أسأت باتباعه ستُجزى بما عملت. هذا الخوف من الجزاء يمنع الشهوة من التغلب عليك. وفي المقابل، إذا أحببت الحق والإحسان، فهذا هو الحب النافع الذي يوصلك إلى الحسنى.
· ضبط قوة الغضب (البغض): إذا أغضبك ظالم، فلا ترد الإساءة بالإساءة بما يتجاوز العدل، فتكون من المسيئين. بل اكظم غيظك، وادفع بالتي هي أحسن، لتكون من المحسنين الذين وعدوا بالحسنى.
· ضبط قوة العقل (الفكر): العقل قد يوسوس لك بتبرير الإساءة، أو بالغرور بالإحسان. لكن قانون الجزاء يجعل العقل يحاسب نفسه: هل هذا العمل إساءة أم إحسان؟ بهذا ينضبط العقل بميزان الشرع.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية:
· السببية الأخلاقية: الآية ترسخ قانون السببية في عالم الأخلاق، فكما أن للطبيعة قوانين، فللأخلا ق قوانين ثواب وعقاب.
· العدل المطلق: الجزاء مطابق للعمل. هذا أصل عظيم في فهم العدالة الإلهية.

· الرسائل النفسية:
· التوازن بين الخوف والرجاء: تذكر أنك إن أسأت جوزيت، فأنت خائف. وتذكر أنك إن أحسنت جوزيت بالحسنى، فأنت راج. هذا التوازن هو حياة القلب.
· تحفيز للإحسان: وعد الله للمحسنين بالحسنى يملأ النفس طاقة إيجابية، ويجعلها تحب الإحسان وتشتاق إليه.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية الضمير الأخلاقي: ربط العمل بالجزاء يبني ضميرًا حيًا، يجعل الفرد يبادر إلى الخير، ويكف عن الشر.
· غرس قيمة العدالة: في تربية الأبناء، اربط المكافآت والعقوبات بالسلوك، ليفهموا سنة الله في الجزاء.

المحور الثالث: صفات المحسنين وسعة مغفرة الله (الآية 32)

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (32)﴾

هذه الآية هي من أرجى آيات القرآن، ومن أشدها تخويفًا في آن واحد. إنها تجمع صفات أهل الإحسان، وتبين سبل النجاة، وتحذر من الغرور، وتدعو إلى التواضع.

١.﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾: تعريف المحسنين الناجين
المحسنون الموعودون بالحسنى هم هؤلاء. إنهم ليسوا معصومين من كل خطأ، بل هم بشر، ولكنهم يتميزون بأنهم:

· يجتنبون كبائر الإثم: وهي الذنوب العظام التي ورد فيها وعيد خاص، كالشرك، والقتل، والزنا، و السرقة، والكذب، وعقوق الوالدين، وغيرها. "يجتنبون" تعني أنهم يبذلون جهدهم في الابتعاد عنها، ويجعلونها في جانب، وهم في جانب آخر.
· ويجتنبون الفواحش: وهي ما عظم قبحه من الذنوب، سواء كانت هذه الفواحش من كبائر الإثم أو دونها.
· إلا اللمم: اللمم هو صغار الذنوب، أو ما يُلمّ بالشيء أي يقرُب منه ولا يفعله، أو ما يقع من الذنب ثم يُقلع عنه. فالإنسان قد يقع في اللمم بحكم ضعفه البشري، لكنه لا يصر عليه، بل يتوب ويستغفر. وهذا استثناء منقطع، أي: لكن اللمم مغفور لهم بسعة مغفرة الله.

٢.﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾: فتح باب الرجاء على مصراعيه
بعد ذكر جزاء المسيئين، وجزاء المحسنين، ووصفهم باجتناب الكبائر والفواحش إلا اللمم، يأتي هذا الإعلان الرحيم ليطمئن القلوب: إن ربك واسع المغفرة. مغفرته تسع كل ذنب صغير وكبير، إذا تاب العبد وأناب. فلا يقنطن أحد من رحمة الله، ولا يتكبرن أحد عن طلب المغفرة. هذا هو الرجاء الذي يدفع إلى العمل.

٣.﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ...﴾: التواضع أمام علم الله المطلق
ثم يأتي التذكير بالأصل، ليُذل الغرور من النفوس. الله أعلم بكم، ليس فقط الآن، بل هو أعلم بكم منذ أن بدأ خلقكم، منذ أن أنشأ أباكم آدم من الأرض، ومنذ أن كنتم أجنة في بطون أمهاتكم، ضعفاء لا تملكون لأنفسكم شيئًا. فهو أعلم بحقيقتكم، وأعلم بضعفكم، وأعلم بما تستحقون. فهذا يوجب لكم التواضع، ويمنعكم من الكبر والعجب.

٤.﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾: النهي عن تزكية النفس
"فلا تزكوا أنفسكم" أي لا تمدحوها، ولا تشهدوا لها بالتقوى والبراءة من الذنوب على سبيل الإعجاب و الكبر. فلا تقولوا: نحن الأطهار، ونحن الأبرار. بل اتهموا أنفسكم بالتقصير، وأرجوا رحمة الله، فإن الله هو الأعلم بمن اتقى حقًا، لا أنتم.

٥.كيف تضبط هذه المعاني قوى النفس وتصلحها؟

· بالنسبة لقوة الشهوة (الحب): اجتناب كبائر الإثم والفواحش هو ضبط لشهوة النفس عن التعدي إلى الحرام الكبير. وسعة المغفرة تشجع من زلّ في اللمم ألا ييأس، فيقوم ويتوب، ولا يترك الشهوة تستولي عليه بعد الذنب.

· بالنسبة لقوة الغضب (البغض): التذكير بأصل الإنسان وأنه خُلق من الأرض، وبأن الله أعلم به، يمنع الغرور الذي يولد الغضب على الناس والظلم لهم. فلا يحتقر أحدًا، ولا يظلمه، لأنه يعلم أن الله خلقه من نفس الأصل.
· بالنسبة لقوة العقل (الفكر): النهي عن تزكية النفس يحمي العقل من آفة الغرور الفكري، ويجعله دائمًا في حالة مراجعة ونقد ذاتي. كما أن معرفة أن الله واسع المغفرة يمنع العقل من وسوسة القنوط من رحمة الله بعد الذنب.

٦.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية:
· التفريق بين الكبائر والصغائر: علم يحفظ للإنسان منظومة الأولويات الأخلاقية.
· خطورة تزكية النفس: تزكية النفس تؤدي إلى تعطيل النقد الذاتي، وإلى احتقار الآخرين، وهي آفة من آفات العقل.
· الرسائل النفسية:
· التوازن بين الخوف والرجاء: الخوف من الكبائر يجتنبها، والرجاء في سعة المغفرة يمنع اليأس من اللمم. هذا التوازن يحفظ النفس من الإحباط والاستهتار معًا.
· التواضع النفسي: التذكير بالأصل (من تراب، ثم نطفة) يهدم الكبر والغرور في النفس، ويجعلها متواضعة لله وللخلق.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية النشء على تعظيم الكبائر: غرس الرهبة من الكبائر في قلوب الأبناء، وفي نفس الوقت تعليمهم الاستغفار والتوبة من الصغائر.
· تربية النقد الذاتي: تعليمهم ألا يزكوا أنفسهم، بل يحاسبوها، ويعترفوا بذنوبهم، ويتوبوا منها.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "منهجية التوازن بين عدل الله ورحمته":

.1تأسيس قاعدة الملكية: كل شيء لله، فلا متصرف إلا هو، ولا معطي ولا مانع إلا هو.
.2إقامة قانون الجزاء العادل: الجزاء من جنس العمل، إساءة بإساءة، وإحسان بإحسان أفضل.
.3بيان صفات الناجين: ليسوا بلا ذنوب، لكنهم يجتنبون الكبائر، ويتوبون من اللمم.
.4فتح باب الرجاء: التأكيد على سعة المغفرة.
.5سد باب الغرور: التذكير بالأصل الحقير، والنهي عن تزكية النفس، واليقين بأن الله أعلم بالمتقين.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة "ولله ما في السماوات وما في الأرض": تقرير عقيدة التوحيد في الربوبية والملك، وهي أساس التصرف بالعدل والفضل.
· دلالة "ليجزي": اللام للتعليل، وتدل على أن إقامة العدل هي سنة الله في كونه.
· دلالة "بما عملوا": الباء للسببية، وتدل على أن الجزاء على قدر العمل، وهو عدل محض.
· دلالة "بالحسنى": التفضل من الله، حيث جازى الحسنة بأكثر منها، وهذا من سعة رحمته.
· دلالة "إلا اللمم": استثناء يفتح باب الأمل، ويبين أن العصمة المطلقة ليست شرطًا للنجاة.
· دلالة "واسع المغفرة": تصوير المغفرة بالشيء الواسع الذي يتسع لكل ذنب، ترغيب عظيم.
· دلالة "إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة": تذكير بالضعف والأصل، وفيه كسر للكبرياء.
· دلالة "فلا تزكوا أنفسكم": نهي قاطع، يحمي الإنسان من أخطر أمراض القلوب: العجب والرياء.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "العدل الإلهي وأثره في تهذيب النفس": كيف أن الإيمان بالجزاء العادل يضبط الشهوة و الغضب والعقل.
.2قضية "معايير النجاة": النجاة ليست بترك الذنوب مطلقًا، فهذا غير ممكن، بل باجتناب الكبائر و الفواحش، وعدم الإصرار على الصغائر.

.3قضية "التوازن بين الخوف والرجاء": الخوف من عدل الله يمنع من المعصية، والرجاء في سعة مغفرته يمنع من اليأس.
.4قضية "تزكية النفس": التحذير من مدح النفس والشعور بالاستحقاق، وربط التقوى بعلم الله لا بعلم الإنسان.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

.1الإقرار لله بالملك المطلق: وأن نتعامل مع الكون على أنه ملك لله، ولسنا فيه إلا عبيدًا مأذونًا لنا في عمرانه بأمره.
.2استشعار عدل الله في كل صغيرة وكبيرة: أن نؤمن أن كل عمل سنحاسب عليه، فيكون ذلك رقيبًا لنا.
.3الاجتهاد في الإحسان واجتناب الكبائر: أن نضع لأنفسنا برنامجًا للتقرب إلى الله بالإحسان، والبعد عن كل كبيرة وفحشاء.
.4التواضع وعدم تزكية النفس: ألا نغتر بأعمالنا، ولا نرى أننا خير من غيرنا، بل نرى تقصيرنا ونتهم أنفسنا.
.5الرجاء في سعة مغفرة الله: ألا نيأس مهما عظمت ذنوبنا، ونسارع إلى التوبة والاستغفار.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية والمهنية؟ (البرنامج التطبيقي)

.1راقب نيتك وعملك: في كل عمل تقوم به، تذكر أنك في ملك الله، وأنك ستُجزى على هذا العمل . أحسن العمل لتكون من أهل الحسنى.
.2فرّق بين الكبائر والصغائر في حياتك: راجع نفسك يوميًا، واعترف بذنوبك .اسأل: هل وقعت في كبيرة؟ فتب منها فورًا .هل وقعت في لمم؟ فاستغفر ولا تكرر.
.3لا تزكِّ نفسك أمام الآخرين: لا تتحدث عن صلاتك وصيامك وعبادتك على سبيل الفخر .قل الخير واكتم العمل الصالح إلا لمصلحة .واشعر دائمًا أنك مقصر.
.4عامل الناس بالعدل والرحمة: كما أن الله عادل رحيم، كن عادلا ً مع من تعاملهم، ورحيمًا بهم، و لا تظلمهم، فإن مالك الكل هو الله.
.5عوّد نفسك على التواضع: تذكر أنك من تراب، وأنك كنت نطفة، فلا تتكبر على أحد، ولا تحتقر خلق الله.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس الإحسان المطلق لله) من: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...﴾(:

· الدرس: إذا كان كل شيء لله، فلماذا أبخل بمالي أو وقتي أو جهدي في سبيله؟ كل ما عندي هو أصلا ً ملكه.
· التطبيق: أنفق من مالك لله، تطوع بوقتك لخدمة دينه، بذل جهدك في الدعوة إليه، فأنت لا تنفق من ملكك، بل من ملكه.

.٢درس المراقبة الدائمة) من: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا...﴾(:

· الدرس: أنت مراقب في كل لحظة، وسيحاسبك مالك الملك. هذا الاستشعار هو أعظم رادع وأكبر باعث.
· التطبيق: قبل أن تعمل أي شيء، اسأل نفسك: "هل هذا الفعل من الإساءة فأستحق عليه العقاب، أم من الإحسان فأستحق الحسنى؟".

.٣درس النجاة في اجتناب الكبائر) من: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ...﴾(:

· الدرس: ليس المطلوب أن تكون معصومًا، بل أن تجتنب الكبائر والفواحش. ركز طاقتك على ترك

هذه، فإن تركتها كفّر الله عنك الصغائر.
· التطبيق: ضع قائمة بالكبائر (كالغيبة، الكذب، عقوق الوالدين، أكل الحرام)، واجعل لك برنامجًا يوميًا لمراجعة نفسك هل وقعت في واحد منها، وتب إن وقعت.

.٤درس الأمل في سعة المغفرة) من: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ﴾(:

· الدرس: إذا زللت ووقعت في الذنب، فلا تقنط. مغفرة الله أوسع من ذنبك. قم وتوضأ وصلّ وتب، فإن الله يفرح بتوبة عبده.
· التطبيق: كلما شعرت بثقل الذنب، فورًا ردد: "إن ربي واسع المغفرة"، ثم استغفر وتب. لا تجعل الشيطان ييئسك من رحمة الله.

.٥درس التواضع وترك تزكية النفس) من: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ...﴾(:

· الدرس: لا تشعر أنك أفضل من أحد، ولا تتحدث عن نفسك بالإعجاب. التقوى في القلب، وعلام الغيوب هو الله.
· التطبيق: إذا مدحك أحد، فقل: "الحمد لله الذي ستر، وأسأله أن يغفر لي ما لا يعلمون". ولا تقارن نفسك بأحد، بل انظر إلى من هو فوقك في الدين، وإلى من هو دونك في الدنيا.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الغفلة إلى المراقبة: سأعيش وفي قلبي دائمًا أنني في ملك الله، وأنني محاسب .لن تكون حياتي عبثًا، بل كل لحظة فيها محسوبة.
.2من الفوضى الأخلاقية إلى النظام الأخلاقي: سأدرك أن هناك كبائر وصغائر، وسأرتب حياتي وفق هذا الميزان، فلا أخلطهما، ولا أستهين بما عظّم الله.
.3من اليأس إلى الرجاء الدائم: مهما بلغت ذنوبي، سأظل أطرق باب "واسع المغفرة" بالتوبة والا ستغفار، ولن أقنط من رحمة الله.
.4من الكبر إلى التواضع: سأعيش وأنا أذكر أصلي) من تراب(، وأذكر ضعفي) أنا كنت جنينًا(، فلا أتكبر على أحد، ولا أزكي نفسي.
.5من حب المدح إلى كراهية تزكية النفس: سأكره أن يمدحني أحد، وسأخاف على نفسي من العجب ، وسأجتهد أن يكون عملي خفيًا خالصًا لله.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة التقييم الذاتي الموضوع): "فلا تزكوا أنفسكم" تعلمك أن تقيم نفسك بموضوعية بعيدًا عن الغرور، وأن تطلب من الآخرين النقد البناء.
· مهارة تحديد الأولويات الأخلاقية): التفريق بين الكبائر والفواحش واللمم مهارة تساعدك في وضع أهدافك الأخلاقية، فالتركيز يكون على ترك الكبائر أولا ً.
· مهارة إدارة العواطف): الآيات تعلمك كيف توازن بين الخوف والرجاء، فتمنع الخوف من التحول إلى يأس، والرجاء من التحول إلى أمنٍ من مكر الله.
· مهارة بناء المرونة النفسية): عبر مفهوم "واسع المغفرة"، تتعلم كيف تنهض بعد السقوط في الذنب، فلا تحبطك الهفوات.
· مهارة التواضع الفكرى): تذكر أن الله أعلم بك، يمنعك من الغرور بمعرفتك وعلمك، ويجعلك دائمًا منفتحًا للتعلم.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: ترسيخ عقيدة أن الجزاء عادل، وأن المغفرة واسعة، وأن العلم لله وحده. وهذه أركان أساسية في الإيمان باليوم الآخر، وبأسماء الله الحسنى (المالك، العدل، الغفور، العليم).
· الأبعاد الدلالية: التعبير بـ "واسع المغفرة" بدل "غفور" يرسم صورة حسية لسعة لا حد لها. والتدرج من "أنشأكم من الأرض" إلى "أجنة في بطون أمهاتكم" تذكير بمراحل الضعف الإنساني ليكسر الغرور.
· الأبعاد النفسية: تحقيق الأمن النفسي من خلال الإيمان بملكية الله (فلا خوف من غيره)، والرجاء في مغفرته (فلا قنوط)، والتحذير من تزكية النفس (فلا غرور).
· الأبعاد الفكرية: تقديم معايير موضوعية للحكم على الأعمال (إساءة، إحسان، كبائر، فواحش، لمم)، مما يؤسس لعقلية أخلاقية منظمة، لا عشوائية.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد بناء الضمير الحي: الإيمان بالجزاء العادل يبني الرقيب الداخلي الذي هو أساس استقامة الفرد والمجتمع.
· مقصد تحقيق التوازن النفسي: الجمع بين الخوف والرجاء، وبين معرفة الكبائر والصغائر، يحقق التوازن النفسي الذي يمنع التطرف.
· مقصد حفظ كرامة الإنسان: النهي عن تزكية النفس يحفظ الإنسان من آفة الكبر، والترغيب في سعة المغفرة يحفظه من ذل اليأس.
· مقصد إصلاح العلاقات الاجتماعية: إذا طبق المجتمع هذه المعاني، قل الحسد والكبر، وكثر التواضع والرحمة.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: جدد إيمانك بأنك في ملك الله، وأن يومك هذا سيسجل فيه كل عمل، فاجعله كله إحسانًا.
· أثناء العمل: إذا واجهت موقفًا أخلاقيًا صعبًا، اسأل نفسك: "أهو من الكبائر أو الفواحش فأفر منه، أم من اللمم فأستغفر؟".
· قبل النوم: حاسب نفسك على أعمال اليوم. لا تزكِّ نفسك إن وجدت خيرًا، بل احمد الله. ولا تقنط إن وجدت شرًا، بل استغفر، واعزم على عدم العودة.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

.١مفهوم "العيش في ملك الله" ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...﴾:

· في إنفاقك: عندما تتصدق، لا تشعر أنك تمنّ على الفقير، بل أنت تعطيه من مال الله الذي استخلفك فيه.
· في طموحاتك: لا تحزن على ما فاتك من الدنيا، فهو ملك الله يؤتيه من يشاء. واطمع فيما عند الله، فهو خير وأبقى.

.٢مفهوم "ميزان الجزاء" ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا...﴾:

· في ردود أفعالك: إذا أساء إليك أحد، فلا ترد الإساءة بمثلها. بل أحسن، ليجزيك الله بالحسنى. وإذا أحسن إليك أحد، فاشكره وادعُ له، واعلم أن هذا من إحسان الله إليك.
· في تقييمك للآخرين: لا تبني تقييمك للناس على ما أصابهم من خير أو شر في الدنيا، فالجزاء الأوفى في الآخرة.

.٣مفهوم "فقه الأولويات في الذنوب" ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾:

· في توبتك: اجعل ترك الكبائر هو هدفك الأول. ركز في توبتك على أن تطهر حياتك من كبائر الذنوب، ولا تشغل بالك بالصغائر حتى تقلع عن الكبائر.

.٤مفهوم "سعة المغفرة كطاقة دافعة" ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾:

· بعد الذنب: لا تجلد ذاتك. تذكر "واسع المغفرة". هذا يمنحك طاقة إيجابية للقيام والتوبة والعمل الصالح، بدلا ً من طاقة اليأس السلبية.

.٥مفهوم "منع زكاة النفس" ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾:

· في حديثك: لا تقل: "أنا فعلت كذا، ولولا أنا لحدث كذا". انسب الفضل لله. قل: "بتوفيق الله".
· في مواقع التواصل الاجتماعي: لا تنشر صور عباداتك وطاعاتك للفخر. خفِّ عملك الصالح ما استطعت، إلا أن تكون داعيًا قدوة.

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· التحرر من تأنيب الضمير المدمر: "واسع المغفرة" تشفي من الإحساس المَرَضي بالذنب الذي يؤدي إلى اليأس والاكتئاب، وتحوله إلى دافع للتوبة.
· تعزيز تقدير الذات بشكل متوازن: "فلا تزكوا أنفسكم" تمنع تضخم الأنا، وفي نفس الوقت فإن معرفة أنك مخلوق ضعيف خلقه الله من تراب، تجعلك تقبل ذاتك بضعفها، وتسعى لتقويتها بالله.
· السكينة في مواجهة الظلم: الإيمان بأن الله "ليجزي الذين أساءوا بما عملوا" يمنح المظلوم سكينة عظيمة، فهو يكل أمره لله، ويعلم أن حقه لن يضيع.

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· منهج التفكير الأخلاقي المنظم: التفريق بين الكبائر والصغائر، وبين الإساءة والإحسان، يعطي العقل إطارًا تحليليًا واضحًا للسلوكيات.
· رفض التبرير والتفلت: الإيمان بالجزاء العادل يمنع العقل من التلاعب لتبرير الإساءة، لأنك تعلم أن الله يجازي بالعمل، لا بالتبرير.
· العلم بالضعف البشري: "إذ أنشأكم من الأرض..." يذكر العقل بضعف الإنسان، فيمنعه من العجب و الغرور الفكري، ويجعله متواضعًا في طلب العلم ومعرفة الحق.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية الضمير بالجزاء والعفو معًا: استخدام أسلوب الثواب والعقاب مع الأطفال يجب أن يقترن بـ العفو والتسامح، ليتعلم الطفل التوازن بين الخوف من العقاب والرجاء في العفو.
· غرس قيمة "ستر العيوب": كما أن الله ستير ويحب الستر، علم الطفل ألا يفضح نفسه بذنوبه، بل يستتر بستر الله، ويتوب فيما بينه وبين ربه.
· تربية التواضع بتذكر الأصل: ذكر الطفل بأن أصله من تراب، وأنه كان نطفة، يقتلع منه الكبر والغرور من جذورهما.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة

.1ركن التوازن بين الخوف والرجاء: الشخصية المتزنة لا هي آمنة من مكر الله، ولا هي قانطة من رحمته .هذا التوازن يجعلها في حالة عبادة دائمة متجددة.
.2ركن قبول الذات ونقدها: هي شخصية لا تحتقر نفسها فتيأس، ولا تقدس نفسها فتعجب .هي تقبل ذاتها بضعفها، وتسعى لتطويرها، وتنقد نفسها باستمرار.
.3ركن الأخلاق العملية: شخصية تترجم إيمانها إلى منظومة أخلاقية واضحة: تجتنب الكبائر، وتستغفر من اللمم، وهذا يجعلها عملية وواقعية في تدينها.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة

.1إقامة نظام اجتماعي عادل: المجتمع الذي يوقن أفراده بأن الله "ليجزي الذين أساءوا بما عملوا" سيكون العدل فيه أساس العلاقات، لأن كل فرد يعرف أن هناك حسابًا، فيضبط سلوكه.
.2تحفيز الإنتاج والإتقان) من الإحسان(: وعد الله المحسنين بالحسنى يدفع أفراد المجتمع للإتقان وا

لإبداع والإحسان في كل عمل، وهذا هو روح النهضة الحضارية.
.3تحقيق السلام الاجتماعي) من التواضع وعدم التزكية(: انتشار ثقافة "فلا تزكوا أنفسكم" يقتل جذور الفخر والاستعلاء الطبقي والعنصري، ويؤدي إلى مجتمع متواضع متعاون.
.4بناء مجتمع التوبة والتجديد) من سعة المغفرة(: المجتمع الذي يفتح باب التوبة على مصراعيه، يسمح لأفراده بالتعافي من الأخطاء، والنهوض من جديد، مما يقلل الجريمة، ويزيد الإنتاجية.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات العدل والمغفرة والتقوى

اجعل هذه الوصايا العشر، المستخلصة من قلب الآيات، زادك ليومك، ودستورك لحياتك، لتحيا متوازنًا بين الخوف والرجاء، ومتواضعًا لله، ومتطهرًا من الكبائر:

.1عش في كنف "ولله ما في السماوات وما في الأرض": كل ما تراه وما تملكه هو لله .لا تبخل بماله في طاعته، ولا تخف من فوات رزق هو مالكه.
.2استشعر عظمة "ليجزي" قبل كل فعل: اجعل هذا الفعل نصب عينيك دائمًا .أنت في ساحة امتحان، والجزاء قادم .أحسن العمل، تظفر بالحسنى.
.3ضع اجتناب الكبائر رأس أولوياتك: حدد كبائر الذنوب التي تزل فيها، واجعل لك خطة محكمة للتخلص منها واحدة تلو الأخرى.
.4لا تحتقر اللمم ولا تستكبر عنها: إذا وقعت في صغيرة، فلا تستهن بها، ولا تقل: "لا بأس، إنها صغيرة" .بل استغفر فورًا، وتب .فالجبال من الحصى.
.5اجعل "واسع المغفرة" ملاذك بعد كل زلة: لا تيأس .كلما أذنبت، فتب واطرح نفسك على باب "واسع المغفرة"، واثقًا أنه لن يطردك.
.6تذكر أصلك كلما شعرت بكبر: قل لنفسك: "أنتِ من تراب، وكنتِ نطفة قذرة" .هذا يذيب جبال الكبر في قلبك.
.7لا تزكِّ نفسك أبدًا: لا تقل: "أنا صالح، أنا تقي" .بل قل: "اللّهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون".
.8أحسن إلى من أساء إليك: هذا هو طريق "الذين أحسنوا" .لا ترد الإساءة بمثلها، بل اعف واصفح، ليحسن الله جزاءك.
.9وازن في تربية أبنائك بين الترهيب والترغيب: ذكرهم بعدل الله وعقابه على الكبائر، وبشّرهم بسعة مغفرته وتوبته على الصغائر.
.10فوّض علم السرائر لله: لا تحكم على إيمان أحد، ولا على مصيره .الله "أعلم بمن اتقى" .عامل الناس بظواهرهم، وكل سرائرهم ونيّاتهم لله.

بهذه الوصايا، نكون قد جعلنا من هاتين الآيتين الكريمتين ميزانًا لحياتنا، ودستورًا لأخلاقنا، وطريقًا لف
لاحنا.

القسم الرابع
المبحث الأول

يا من أبصرت حقيقة الجزاء، وعرفت أن ملك السماوات والأرض لله وحده، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأن النجاة في اجتناب الكبائر والفواحش ...تعالَ معي الآن لنقف على مشهد من أعجب مشاهد القرآن، مشهد يرسمه الوحي بأسلوب التعجب والتوبيخ والتحفيز، لنرى كيف يتعقب الله حال من أعرض عن طاعته، وكيف يسوقنا هذا المشهد إلى مراجعة أنفسنا، وإلى البذل والعطاء، وإلى الثبات على طريق الحق .نحن على موعد مع الآيات33) - (35من سورة النجم، حيث يُفتح لنا باب عظيم من أبواب التدبر، لنرى كيف يضيّع الإنسان الفرص التي وهبها الله له، وكيف يكون الجهل والحمق سببًا في خسران الصفقة الرابحة مع الله، وكيف أن الإيمان الحقيقي بالتوكل والقضاء والقدر هو الزاد الذي يمنع العبد من التوقف والانقطاع عن طريق ربه.

أولًا: مقدمة تمهيدية – مشهد التعجب من حال المعرض الجاهل

بعد أن بيّن الله جل جلاله في الآيات السابقات قواعد العدل والجزاء، وصفات المحسنين، وسعة مغفرته، يأتي هذا المقطع ليوجه الأنظار إلى نموذج حيّ من نماذج الانحراف والجهالة .إنه ليس مجرد خبر عن شخص معيّن، بل هو رسم لنمط متكرر من البشر: ذاك الذي يمنحه الله فرصة عظيمة للطاعة والقربة، فيعرض ويولي، ويضيع على نفسه ثوابًا لا يعوّض .تفتتح الآية بأسلوب التعجب والتوبيخ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ .إنها صرخة استنكار، ودعوة إلى التأمل: كيف لهذا الإنسان - الذي يرزقه الله سببًا يطيع الله فيه - أن ينصرف عن هذه الفرصة؟ كيف له أن يضيع محطة لا تعوّض من محطات العمر، وهو يرى الحق ويدرك صدق الرسول ﷺ ومع ذلك يكذب ويتولى؟ أليس هذا جاهلا ً أحمق، غبيًا خسر صفقة رابحة مع الخالق؟

إن الأفكار الرئيسية في هذه الآيات هي: التعجب من حال المعرض عن الطاعة، بيان بخله وقطعه للعطاء، كشف الجذور الفكرية لهذا الموقف وهي الجهل بالغيب وضعف التوكل على الله، ثم تقرير أن الله مطلع على كل شيء .أما مقاصد الآيات وأهدافها فهي: دفع المؤمنين نحو الطاعة والبذل والعطاء، وتحذيرهم من التوقف والانقطاع، وبيان أن مقتضى الإيمان الحقيقي هو الثقة بوعد الله والتوكل عليه، وعدم الالتفات إلى تخويفات الشيطان من الفقر، وإيقاظ القلوب لئلا تضيع فرص الطاعات التي قد لا تعود.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

المحور الأول: التعجب من حال المعرض الذي يضيع الفرص) الآيتان33 -(34

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (33) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ(34) ﴾

قف معي الآن عند هذا المشهد الذي يرسمه القرآن بأسلوب التعجب ."أفرأيت" أي: أخبرني، حدثني، أنظر إلى هذا الذي فعل هذا الفعل العجيب! إنه استفهام للتعجيب من حاله، وتوبيخ له، وتنبيه للسامع كي لا يقع فيما وقع فيه.

.١معنى الآيتين وتفسيرهما:
أفرأيت - يا محمد - حال هذا الذي أعرض عن طاعة الله، وولى ظهره للحق؟ لقد أُتيحت له فرصة عظيمة؛ كان الله قد رزقه سببًا يطيع الله فيه، كأن يكون في موقف يحتاج فيه المسلمون إلى المال للجهاد في سبيل الله، أو في وقت مجاعة تحتاج الأمة فيه إلى البذل والعطاء .ولكنه بدلا ً من أن ينتهز هذه الفرصة فينال الثواب الكبير، ﴿تَوَلَّىٰ﴾ أي أعرض وانصرف .ثم ﴿أَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾: أي أعطى شيئًا يسيرًا من ماله أو من طاعته، ثم قطع العطاء وتوقف عن البذل، ولم يكمل الطريق . "أكدى" مأخوذة من "الكدية" وهي الصخرة الصلبة التي تمنع الحفار من إتمام حفر البئر .فالمعنى: أنه بدأ بعطاء قليل، ثم صادف في طريقه ما يشبه الصخرة التي أوقفته، فانقطع ولم يُتمّ .وشبّه ذلك بمن كانوا يحفرون بئرًا، فصادفتهم صخرة منعتهم من إتمام العمل، فيتركون العمل ويُقبلون على الدنيا.

.٢كيف يضيّع هذا الأحمق الفرصة التي لا تعوّض؟
الآية هنا ترسم نموذجًا إنسانيًا متكررًا: رجل منحه الله الصحة والمال والفراغ، فدعته نفسه إلى قيام الليل أو إلى الصدقة أو إلى الجهاد، فبدأ قليلا ً ثم انقطع .كم من إنسان ينصرف عن قيام رمضان

وهو في صحة وفراغ، وينشغل بالملذات والشاشات؟ تلك محطات لا تعوّض، أرزاق يمنحها الله للعبد، فكيف ينصرف عنها؟ إن الذي أعرض عن الإيمان وقد رأى صدق الرسول ﷺ بأم عينه، هو في خسارة عظمى؛ فلا هو صدّق ولا صلى، بل كذّب وتولى .أليس هذا جاهلا ً أحمق؟ إن القرآن يستخدم هذا الأسلوب - أسلوب التعجب والتوبيخ - ليدفعنا نحو الطاعة والبذل والعطاء، وليجعلنا نستشعر قيمة الفرصة التي قد لا تعود، وقيمة المحطة التي إن فاتت فلن تعوّض.

.٣أهمية هذا الأسلوب القرآني في الدفع نحو الطاعة والعطاء:
القرآن لا يكتفي بالأمر والنهي المجردين، بل يرسم لك مشهدًا حيًا، ويقول لك: انظر إلى هذا الأحمق! كيف أضاع الفرصة؟ أتريد أن تكون مثله؟ هذا الأسلوب يوقظ في النفس مشاعر الغيرة على الطاعة، والرغبة في انتهاز الفرص، والحذر من التوقف والانقطاع .فهو يحرك فيك دافعًا عاطفيًا قويًا: لا تكن أحمق مثل هذا! انتهز صحتك وفراغك ومالك قبل أن تفوتك المحطات.

.٤الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية: العاقل هو من ينتهز الفرص ولا يضيعها .الجاهل هو من يرى الحق ويعرض عنه .وهذا يبني عقلية "استثمار الفرص" التي هي من أهم أسباب النجاح في الدنيا والآخرة.
· الرسائل النفسية: توليد شعور بالحماسة لانتهاز محطات الطاعة، وشعور بالخوف من الفوات والا نقطاع .وهذا يخلق طاقة نفسية دافعة للعمل.
· الرسائل التربوية والعملية: تربية النفس على المبادرة إلى الخير، وعدم التأجيل والتسويف، والخوف من التوقف بعد البداية.

المحور الثاني: الجذور الفكرية للموقف: الجهل بالغيب وضعف التوكل) الآية(35

﴿أَعِندَهُ عِلمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ(35) ﴾

بعد أن ذكر فعله العجيب، ينتقل السياق إلى كشف الجذور الفكرية والنفسية لهذا الموقف .ما الذي جعله يتوقف عن البذل؟ ما الذي جعله يقطع العطاء ويكدى؟ هل هو يملك علم الغيب فيرى أن الإ نفاق سيجعله يصاب بالفقر؟ إنه سؤال استنكاري تهكمي: أعنده علم الغيب فهو يرى؟ أي: هل يطلع على الغيب فيعلم ما سيحدث له في المستقبل، فيرى أن مواصلة العطاء ستؤدي به إلى الفقر والإملا ق؟ لا، ليس عنده علم الغيب .إذًا ما الذي جعله يتوقف؟ إنه خوف لا أساس له، ناتج عن ضعف التوكل على الله، وعن تصديق وساوس الشيطان الذي يعده الفقر ويأمره بالفحشاء.

.١بيان أن مقتضى الإيمان الحقيقي هو التوكل والثقة بالله:
هنا يتبين أن هذا المتوقف عن البذل لم يكن مؤمنًا حق الإيمان بالتوكل والقضاء والقدر .فالمؤمن الحق يعلم أن الرزق بيد الله، وأن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته .إنه واثق بضمان الله: ﴿وَمَا أَنفَقتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .ويسمع نداء ربه: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ .فمن كان مؤمنًا حقًا، يثق بوعد الله، ولا يلتفت إلى تخويفات الشيطان . إنه يؤمن بالقضاء والقدر، ويتوكل على الله، فلا يخاف من شيء دون الله .وهذا المعنى هو الذي أشار إليه ربنا في موضع آخر: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ .فالذي توقف عن البذل، إنما استجاب لوعد الشيطان وخاف الفقر، ولم يثق بوعد الله.

.٢العوائق والصخور التي تعترض طريق العبد:
إن كل من سلك طريقًا صالحًا، أو عمل عملا ً صالحًا، ثم صادف في طريقه إيذاءً أو ابتلاءً أو عائقًا، فتأثر بهذا العائق وتوقف، يشبه هذا الذي وصفته الآية .وقد شبّه العلماء ذلك بقوم كانوا يحفرون بئرًا، فصادفتهم صخرة أثناء الحفر) وهي الكدية(، فمنعتهم من إتمام العمل، فيتركون العمل ويُقبلون على الدنيا .فالعاجز ملوم في الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ .فالقاعدة أن المؤمن يقاوم الظلم والعوائق ما استطاع .فإن كان العائق فوق طاقته، فعليه بالصبر والتوكل على الله، فلا يجزع ولا يفزع .ولكن الخطأ كل الخطأ أن يتوقف الإنسان من تلقاء نفسه، وأن يقطع العمل لمجرد وسوسة أو خوف.

.٣دعوة إلى محاسبة النفس والاستحياء من الله:
على الإنسان إذا دعته نفسه إلى التوقف عن الخير، وإذا وجد في رأيه هابطًا يدفعه إلى قطع العمل في سبيل الله، أن يتهم هذا الرأي، وأن يحاسب نفسه، ويطهرها من الأوساخ .التوقف عن الإنفاق في سبيل الله مخافة الفقر - إذا لم يستيقظ العبد من هذه الغفلة - هو إعراض عن الله بجهله، وهو

خضوع للشيطان .فليستح العبد من الله، وليحكم نفسه إلى إلهام الحياة من الله .فإذا فعل ذلك، أداله الله حكم الحياة والبركة.

٤.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: التأكيد على أن المستقبل غيب لا يعلمه إلا الله .الخوف من الفقر بسبب العطاء هو جهل بالغيب، وتكذيب بوعد الله .العقل السليم يبني قراراته على الوحي والوعد الإلهي، لا على الظنون والوساوس.
· الرسائل النفسية: تحرير النفس من عبودية الخوف من الفقر، وتعلقها بضمان الله .وهذا يمنحها سكينة وقوة على البذل.
· الرسائل التربوية والعملية: تدريب النفس على الثبات على العمل الصالح، وعدم الانقطاع بسبب العوائق، وتذكيرها بأن الصخور التي تعترض طريقها ليست سببًا للوقوف، بل للصبر والتوكل والا ستمرار.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟) المنظومة المعرفية(
نفهم الآيات من خلال "منهجية ربط السلوك بالاعتقاد":

.1وصف السلوك: التعجب من حال المعرض الذي أعطى قليلا ً وأكدى.
.2تشخيص العلة: السؤال الاستنكاري: هل عنده علم الغيب فهو يرى؟ أي أن سبب توقفه هو توهمه معرفة المستقبل، وخوفه من الفقر.
.3بيان العلة الحقيقية: ضعف التوكل على الله، وعدم الثقة بوعده، والجهل بالقضاء والقدر.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟) الأبعاد والإشارات الدقيقة(

· دلالة "أفرأيت": أسلوب تعجب وتوبيخ، يرسم مشهدًا حيًا، ويحرك مشاعر السامع.
· دلالة "تولى": إعراض كامل عن الحق مع العلم به.
· دلالة "أعطى قليلا ً وأكدى": تصوير دقيق لحال المذبذب، الذي يبدأ العمل ثم ينقطع.
· دلالة "أعنده علم الغيب فهو يرى": استفهام إنكاري، يبين أن توقفه مبني على جهل ووهم، لا على علم حقيقي.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "انتهاز فرص الطاعات": الآيات تحذر من تضييع محطات العمر التي لا تعوض.
.2قضية "بخس النفس حقها": بيان أن المعرض عن الطاعة جاهل أحمق، يخسر صفقة رابحة مع الله.
.3قضية "الثبات على العمل الصالح": معالجة ظاهرة التوقف والانقطاع عن الخير بعد بدايته.
.4قضية "التوكل على الله والثقة بوعده": ربط العطاء والبذل بالإيمان بالغيب، والتوكل على الضامن الرزاق.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟) المطالب الإيمانية(

.1المبادرة إلى الطاعات: ألا نضيع فرصة طاعة وهبنا الله إياها.
.2الثبات على الخير: ألا نكون ممن ﴿أَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾، بل نستمر في البذل والعطاء.
.3تحقيق التوكل على الله: أن نثق بوعد الله، ولا نخشى الفقر بسبب طاعته.
.4محاسبة النفس: أن نتهم آراءنا التي تدعونا إلى قطع الخير، ونطهر أنفسنا من وساوس الشيطان.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية؟) البرنامج التطبيقي(

.1لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد: إذا فتح الله لك باب خير، فادخله فورًا ولا تسوّف.
.2إذا بدأت مشروع خير فأتمه: لا تكن ممن يتحمس ثم يفتر .استمر ولو كان العمل قليلا ً دائمًا . أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل.
.3حارب وسواس "الخوف من الفقر" بالتوكل: كلما هاجسك الشيطان أن الإنفاق يقلل المال، فقل: "بل هو يزيده"، وتصدق ولو بشيء يسير.
.4لا تجعل العوائق توقفك: إذا صادفتك صخرة في طريق الخير، فابحث عن طريق آخر، أو استعن بـ الصبر والتوكل على الله، ولا تقف.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس الجهل والحمق في تضييع الفرص) من: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾(:

· الدرس: الذي يعرض عن طاعة الله مع قدرته عليها هو جاهل أحمق، يخسر صفقة لا تعوّض.
· التطبيق: اسأل نفسك: هل هناك فرصة طاعة أعرضت عنها اليوم؟ قيام ليل، صدقة، صلة رحم، بر و الدين؟ بادر إليها قبل أن تفوت.

.٢درس ذم الانقطاع عن العمل) من: ﴿أَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾(:

· الدرس: البداية وحدها لا تكفي .العبرة بالاستمرار والثبات .المتوقف عن العمل الصالح ملوم.
· التطبيق: راجع أعمالك الصالحة التي بدأتها ثم انقطعت عنها) ورد قرآن، صدقة يومية، صيام اثنين وخميس .(جدد العهد معها اليوم.

.٣درس الخوف من الفقر هو جهل بالغيب) من: ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾(:

· الدرس: لا أحد يعلم الغيب إلا الله .خوفك من الفقر إن أنفقت هو تصديق للوهم، وتكذيب لوعد الله.
· التطبيق: كلما أردت أن تتصدق فخفت الفقر، فتذكر هذه الآية، وقل: "ربي يعلم الغيب، وقد وعد بـ الخلف، وهو خير الرازقين".

.٤درس التوكل على الضامن لا على المضمون:

· الدرس: لا تتوكل على رصيدك البنكي، بل توكل على الله الذي يملك خزائن السماوات والأرض .المال مضمون، والرزاق هو الله.
· التطبيق: عند الشدة، لا تنظر إلى ما في يدك، بل انظر إلى من بيده ملكوت كل شيء .قل: "حسبي الله، هو الرزاق ذو القوة المتين".

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الندرة إلى الوفرة: سأنظر إلى الفرص التي يمنحني الله إياها للطاعة على أنها أرزاق لا تعوض، وسأحرص على استثمارها.
.2من التوقف إلى الاستمرار: سأجعل شعار حياتي: "لا أبدأ عملا ً صالحًا ثم أقطعه"، بل سأجاهد نفسي على الديمومة والثبات.
.3من الخوف من الفقر إلى الثقة بالغنى: سأدرك أن الفقر الحقيقي هو فقر القلب عن التوكل على الله، وسأطرد وساوس الشيطان بالثقة في وعد ربي.
.4من اليأس عند العوائق إلى الصبر والتوكل: سأغير موقفي من الصعاب، فلا أجعلها سببًا للانقطاع، بل سببًا للجوء إلى الله والتوكل عليه.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة استثمار الفرص(: التدرب على رؤية نوافذ الطاعة التي يفتحها الله، وعدم تضييعها بالتسويف أو الكسل.
· مهارة الاستمرارية والانضباط الذاتي : بناء عادة "عدم التوقف بعد البداية"، وهذا سر النجاح في كل ميادين الحياة.
· مهارة التفكير النقدي في مواجهة الوساوس : عندما يأتيك خاطر "لا تتصدق، ستحتاج المال"، استخدم هذه الآية لتقول: هل عندي علم الغيب؟ هذا فكر خاطئ.
· مهارة التوكل العملي: تحويل التوكل من مجرد شعور قلبي إلى سلوك عملي، وهو البذل مع الثقة ب الله، لا البخل مع انتظار الرزق.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: ترسيخ عقيدة التوكل على الله، والثقة بوعده، والإيمان بأن الرزق بيده، وأن الغيب لا يعلمه إلا هو.
· الأبعاد الدلالية: استخدام أسلوب التعجب "أفرأيت" للتحفيز والتوبيخ، واستخدام صورة "أكدى")الصخرة (لتجسيد العائق الذي يوقف العمل.
· الأبعاد النفسية: إثارة حماسة انتهاز الفرص، والنفرة من حال المتوقفين، وتحرير النفس من قيود الخوف من المستقبل.
· الأبعاد الفكرية: بناء عقلية "الاستثمار في الطاعات"، والربط بين السلوك) التوقف (والاعتقاد) ضعف التوكل(، ونقد الخوف من الفقر بمنطق "هل تملك علم الغيب؟".

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد تحفيز المؤمنين على البذل والعطاء: بأسلوب التعجب من حال البخيل المعرض.
· مقصد بناء الثقة في وعد الله: في مقابل الخوف من وعد الشيطان.
· مقصد علاج ظاهرة "الفوران ثم الفتور": التي تصيب كثيرًا من العاملين للإسلام.
· مقصد تحقيق التوازن بين الخوف والرجاء: الخوف من أن نكون مثل هذا المعرض، والرجاء في سعة فضل الله لمن أنفق.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: اسأل نفسك: ما هي فرصة الطاعة المتاحة لي اليوم؟ كيف أستثمرها قبل أن تغيب شمس هذا اليوم؟
· عند إرادة البذل: إذا وسوس لك الشيطان بالفقر، فقل: "أعنده علم الغيب فهو يرى؟" وتصدق.
· عند مواجهة العوائق: إذا أوشكت أن تتوقف عن عمل خير بسبب صعوبة، فقل: "لن أكون ممن أكدى، بل سأصبر وأتوكل على الله".

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية) البرنامج التطبيقي اليومي(

.١مفهوم "لا تكن أحمق فتضيع الفرصة") من قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾(:

· في حياتك اليومية: الصحة فرصة، الفراغ فرصة، المال فرصة، الشباب فرصة .كل محطة من هذه المحطات هي رزق للطاعة .لا تكن أحمق فتضيعها، فربما لا تعود.

.٢مفهوم "إياك والصخرة!") من قوله: ﴿وَأَكْدَى﴾(:

· في مشاريعك الخيرية: لا تجعل أول عائق يواجهك سببًا للتوقف .توقع الصخور، واستعد لها بالصبر والحلول البديلة .ولا تكن ممن يحفرون البئر، فإذا صادفتهم صخرة، تركوا الحفر وأقبلوا على الدنيا.

.٣مفهوم "من الذي أخبرك أنك ستفتقر؟") من قوله: ﴿أَعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ فَهُوَ يَرَى﴾(:

· في قراراتك المالية: اتخذ قراراتك المالية بناء على ما شرعه الله وأمر به، لا على توقعاتك المستقبلية المبنية على الوهم .أنت لا تعلم الغيب، فلا تبنِ قراراتك على علم الغيب المزعوم!

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· العلاج بالتعجب والتحفيز العاطفي: أسلوب "أفرأيت" يوقظ المشاعر، ويحرك الهمم .وهذا يعلمنا أن نخاطب أنفسنا وغيرنا بأسلوب يحفز، لا مجرد أوامر جافة.
· التحرر من الخوف الوجودي من الفقر: الآية تعالج عقدة نفسية عميقة عند الإنسان، وهي الخوف من المستقبل المالي، بمنطق "أنت لا تعلم الغيب".

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· بطلان الاستدلال بالوهم: خوف الفقر بسبب العطاء هو استدلال بالوهم، والقرآن يبطله بأن صاحبه لا يملك علم الغيب .هذه قاعدة في التفكير: لا تبني قراراتك على أوهام.
· منطق الاستثمار الرباني: العقل المؤمن يفهم أن العطاء في سبيل الله هو استثمار مع طرف مضمون الربح) الله(، والتوقف عن هذا الاستثمار هو حمق وجهل.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية الثبات وذم الفتور: القيمة التربوية العليا هنا هي "لا تكدى" .علم نفسك وأبناءك أن العبرة بالا ستمرار، لا بالبداية القوية.
· تربية الشجاعة في البذل: الشجاعة ليست فقط في القتال، بل في البذل عند الخوف من الفقر .هذه شجاعة مالية، تربى بالتوكل وتصديق وعد الله.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة:

.1ركن المبادرة وانتهاز الفرص: شخصية لا تتردد، ولا تسوّف، بل تبادر إلى كل خير، وتستثمر محطات عمرها.
.2ركن الصلابة والثبات: شخصية لا توقفها الصخور والعوائق، بل تستمر في طريق الخير، وتتوكل على الله.
.3ركن الكرم النفسي والمادي: شخصية متحررة من عقدة الخوف من الفقر، واثقة في وعد الله، منطلقة في البذل والعطاء.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة:

.1بناء اقتصاد البركة لا اقتصاد الندرة: المجتمعات التي ينتشر فيها هذا الفقه، يكثر فيها البذل و التكافل، وينمو الاقتصاد بالصدقات والإنفاق، لا بالبخل والاكتناز.
.2استمرار المشاريع الخيرية والتنموية: الأمة التي تطبق "لا تكدى" لا تبدأ مشاريعها بحماس ثم تتركها عند أول صعوبة، بل تستمر وتثابر، وهذا هو سر النهضة.
.3تحرير الطاقة البشرية من الخوف إلى العمل: عندما يتحرر الناس من الخوف من المستقبل، ويتوكلون على الله، تنطلق طاقاتهم للعمل والإنتاج والإبداع، بدلا ً من الانكماش والجبن.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات ذم التولي والإكداء

اجعل هذه الوصايا العشر زادك ليومك، ودستورك لحياتك، لئلا تكون من الجاهلين الحمقى الذين يضيعون الفرص، بل من العقلاء الذين يستثمرونها:

1.انتهز فرص الطاعات ولا تسوّف: صحتك، فراغك، مالك، شبابك ...كلها محطات لا تعوّض .بادر اليوم قبل أن تقول: ليتني فعلت.
2.إذا بدأت عملًا صالحًا فأتمه: لا تكن ممن "أعطى قليلا ً وأكدى" .استمر في الخير ولو كان قليلا ً دائمًا، فخير العمل أدومه.
3.جاهد نفسك على البذل والإنفاق: لا تستجب لوسواس الشيطان الذي يخوفك الفقر .تصدق واثقًا بأن الله يخلف عليك، فهو خير الرازقين.
4.لا تجعل من العوائق حجة للتوقف: كل طريق خير فيه صخور وعقبات .توقعها، واستعد لها، ولا تجعلها سببًا للانقطاع.
5.اتهم رأيك إذا دعاك لقطع الخير: إذا وجدت نفسك تميل للتوقف عن العمل الصالح، فاعلم أن هذا من دواعي النفس والشيطان .حاسب نفسك، وطهرها، واستمر.
6.توكل على الله لا على علمك بالغيب: أنت لا تعلم ما يخبئه الغد .لا تتخذ قراراتك بناءً على مخاوف من مستقبل مجهول .بل أطع الله، وتوكل عليه، فهو يعلم الغيب وهو حسبك.
7.استحضر مشهد "أفرأيت" عند الفتور: كلما شعرت بفتور في الطاعة، تذكر هذا المشهد القرآني، واسأل نفسك: أأكون مثل هذا الأحمق الذي ضيع الفرصة؟
8.علم أبناءك قيمة الفرصة: دربهم على أن العمر محطات، والفرص لا تنتظر .من فاتته صلاة الجماعة فقد ضيع كنزًا، ومن نام عن الفجر فقد خسر صفقة.
9.كن واثقًا في وعد الله عند كل نفقة: اجعل هذه الآية سلاحك ضد وسواس الفقر: "أعنده علم الغيب فهو يرى" .قل: "ربي وعد، ووعده الحق، ولن يخلف".
10.أدم النظر في سير المنقطعين لتعتبر: انظر إلى من بدأوا طريق الخير ثم توقفوا، واسأل الله الثبات .واعتبر بهم، ولا تكن منهم.

بهذه الوصايا، نكون قد جعلنا من هذه الآيات الكريمة شحذًا لهممنا، وتثبيتًا لخطانا، وتحريرًا لقلوبنا من وساوس الفقر، وربطًا أوثق بالله المتكفل بأرزاقنا.

المبحث الثاني

يا من أبصرت حال المعرضين، وعرفت حماقة من يضيع فرص الطاعات، ووقفتَ على مشهد من يبدأ الخير ثم ينقطع... تعالَ معي الآن لنفتح معًا صحائف النور، ولنسافر عبر الزمن إلى محطات من أعظم محطات التاريخ، لنقرأ ما في صحف موسى وإبراهيم. إننا الآن على موعد مع الآيات (36-38) من سورة النجم، حيث ينقلنا الوحي من مشهد التوبيخ والتعجيب، إلى مشهد البناء والتثبيت، ومن بيان حال الجاهل الأحمق، إلى بيان حال القدوة العظمى. إنها آيات تدعونا إلى الجدية في تلقي الحق وتنفيذه، وتعلمنا أن طريق القوة هو التوكل على الله والثقة به، وتغرس في قلوبنا أن المسؤولية فردية، وأن كل نفس بما كسبت رهينة.

أولًا: مقدمة تمهيدية – في رحاب صحف موسى وإبراهيم عليهما السلام

بعد أن بين الله حال المعرض الذي أعطى قليلا ً وأكدى، وتساءل مستنكرًا: أعنده علم الغيب فهو يرى؟ يأتي هذا المقطع ليجيب عن أسئلة في السياق: إذا كان هذا حال المعرضين، فما هو الطريق الصحيح إذًا؟ من أين نستمد القوة للثبات؟ وكيف نتعامل مع ضغوط الحياة وعوائق الطريق؟ من هم القدوة الذين ينبغي أن نقتدي بهم؟

تأتي هذه الآيات الثلاث (36-38) لتكشف عن المصدر الأصيل للقوة والثبات: الوحي الإلهي المتمثل في صحف موسى وإبراهيم. إنها دعوة إلى قراءة التاريخ، وإلى التعلم من أخبار الأمم السابقة. ألم يُنبأ هذا الإنسان بما في صحف موسى وإبراهيم؟ ألم يقرأ في القرآن الكريم الأخبار التي بينت الأحكام التي جاءت بها التوراة والكتب السماوية، وفيها لكل شيء موعظة وتفصيل؟

إن الأفكار الرئيسية في هذه الآيات هي: الدعوة إلى قراءة أخبار الأمم السابقة والوحي المنزل عليهم، استحضار نموذج موسى عليه السلام في توكله على الله وقوته في مواجهة فرعون، استحضار نموذج إبراهيم عليه السلام الذي وفى بكل ما التزم به وأخلص الحب كله لله، وتقرير المبدأ العظيم: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي مبدأ المسؤولية الفردية.

أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: الدعوة إلى الجدية في حمل مهمة الدعوة. إن الطريق إلى

القوة هو الجدية والثبات والصمود أمام العوائق والابتلاءات. والقوة تستمد من التوكل على الله والثقة به، والجدية في حمل المهمة واحتساب ذلك عند الله. لقد أوضحت الآيات أن الواجب علينا أن نأخذ المهمة بالقيام بالدعوة بقوة في التلقي والتنفيذ، وما هو بالهزل، فالمسألة توجب الجدية. وتريد الآيات أن تغرس فينا أن الحب والاعتماد على الرب يمنحان القوة، وأن التوكل يقتضي الثقة بالله، وبذلك تحصل على النصر. كما تريد أن تزرع في قلوبنا مبدأ المسؤولية الفردية: كل فرد يحمل أثقاله وأوزاره، فلا محسوبية ولا وساطة، إنه ميزان العدل الذي لا يحمل أحد تبعات غيره.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

المحور الأول: الدعوة إلى قراءة التاريخ والوحي (الآية 36)

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ(36) ﴾

قف معي الآن عند هذه الآية التي تفتح لنا آفاقًا من النور. "أم" هنا للإضراب والانتقال، وهي بمعنى "بل". فبعد أن ذكر حال المعرض الجاهل، ينتقل إلى توبيخه وتقريعه بسؤال استنكاري: بل ألم يُخبَر هذا الإنسان بما في صحف موسى؟ ألم يقرأ في القرآن الكريم الأخبار التي بينت الأحكام التي جاءت بها التوراة والكتب السماوية؟

١.معنى الآية ودلالتها:
المقصود بصحف موسى هي التوراة، أو الألواح التي أنزلها الله عليه. وفي هذا السؤال معنيان:

· المعنى الأول: ألم يأتِ هذا المعرضَ خبرُ ما في صحف موسى، فيعلمَ عاقبة المعرضين وعاقبة المؤمنين، فيعتبر ويتعظ؟
· المعنى الثاني: وهو الأهم في سياقنا، أن ما في القرآن يوافق ما في صحف موسى وإبراهيم من أصول الدين والعقائد .فالقرآن ليس بدعًا من الرسل، بل هو مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية.

٢.ماذا نتعلم من صحف موسى عن الجدية والقوة والتوكل؟
هنا نصل إلى لباب الدعوة القرآنية في هذه الآية: إنها دعوة إلى قراءة التاريخ، وإلى استلهام نماذج القوة والثبات. لنتأمل معًا كيف رسمت صحف موسى نموذجًا للتوكل الذي يمنح القوة الخارقة:
موسى وهارون عليهما السلام دخلا على فرعون، وما كانا يحملان سوى عصًا وملابس رثة من الصوف! انظر كيف كان دخولهما لتأخذ العبرة والعظة والدروس من اعتماد موسى على الله. لقد دخل على فرعون واشترط عليه شرطًا لبقاء ملكه وعدم زوال عزه: وهو أن يؤمن ويرسل معه بني إسرائيل. إن ذلك الموقف جعل فرعون الجبار الطاغية يغضب أشد الغضب ويتعجب من موسى، فقال: انظروا إلى هذين المجنونين! يشترطان عليّ أن أرسل معهم بني إسرائيل وأن أؤمن بربهم، مقابل بقاء ملكي وعدم زوال عزي! وهم لا يملكان شيئًا، فقيران لا درهم لهما ولا دينار! فما الذي جعل موسى بهذه القوة وهذه الثقة؟ إنه التوكل على الله، والثقة بأن الله يقف إلى جانبه. إنه الاعتزاز والاستعلاء بالحق. فمن يكون الله معه وفي صفه، يكون له النصر. ومن يقف الله ضده، يهزم لا محالة.

وعندما كان موسى وقومه متجهين نحو البحر، وفرعون وجنوده خلفهم، وقال قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، كان موسى واثقًا ثقة كاملة، فقال: ﴿كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. لقد كان واثقًا، فحصلت المعجزة، وكان له النجاح. فالتوكل يقتضي الثقة بالله، وبذلك تحصل على القوة. وهذا يستوجب الجدية في التلقي والقبول بأمر الله، والجدية في التنفيذ والقبول بقضاء الله وقدره.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· العبرة من التاريخ: العقل الرشيد يتعلم من أخبار السابقين، ويستلهم منها سنن الله في النصر و الهزيمة.
· وحدة رسالة الأنبياء: القرآن والتوراة والإنجيل أصلها واحد، ومبادئها الكبرى واحدة.
· الرسائل النفسية:
· بعث الطمأنينة والثقة: حين تقرأ أن موسى كان معه ربه فنجاه، تعلم أن الله معك أيضًا إذا توكلت عليه، فتطمئن نفسك.
· استشعار القوة: قصة موسى تمنح المؤمن شعورًا بالقوة والاستعلاء بالحق، مهما كان عدوه قويًا.
· الرسائل التربوية والعملية:

· تربية النفس على التوكل العملي: ليس توكلًا باللسان فقط، بل توكل يدفعك لدخول معركة الحياة بثقة، كما دخل موسى على فرعون.
· الجدية في الأمر: أمر الدعوة والدين ليس هزلا ً .لقد أوضحت صحف موسى أن المسألة توجب الجدية في التلقي والتنفيذ.

المحور الثاني: نموذج الوفاء والإخلاص (الآية 37)

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ(37) ﴾

بعد النموذج الأول (موسى)، يأتي النموذج الثاني الأعظم في سياق التوكل والإخلاص: إبراهيم عليه السلام. لقد وصفه الله بوصف عظيم: "الذي وفّى". أي وفّى بكل ما التزم به وأمر به، وأتمه على أكمل وجه.

.١معنى الآية ودلالتها:
إبراهيم عليه السلام هو الذي وفّى بكل ما أمره الله به، ووفّى بكل ما ابتلاه الله به. وتاريخه حافل بهذا المفهوم العظيم. كيف أنه ظل يدعو إلى الله، لم يستجب له أحد، حتى إنه لم يتوقف عن الدعوة، بل ظل ثابتًا يدعو إلى منهج الإيمان، حتى أذن له بالهجرة، ولا من معه أحد غير لوط. لقد اصطفاه الله، وكان أمةً وحده! أي: هذا الفرد الواحد يعادل أمة كاملة في الثبات والصمود. إن إبراهيم كان أمة.

.٢ثمار التوكل لا تتأتى إلا بإخراج كل حب غير حب الله:
هنا نصل إلى الذروة في فهم معنى الوفاء والتوكل. إن ثمار التوكل لا يتأتى حصولها بهذا المفهوم العظيم إلا عندما يخرج المؤمن من قلبه كل حب، حتى لا يبقى فيه حب إلا حب الله. لنتأمل: إبراهيم عليه السلام أوفى بالتزامه بأمر الله عندما رأى في المنام أنه يذبح ابنه. لقد امتحن الله إبراهيم بهذه الواقعة كي يخرج من قلبه كل حب غير حب الله. لقد علمنا درسًا كبيرًا، حمل القيمة العظيمة لمعاني الفكرة في خلوص القلب بحب الله. وعندما أقدم إبراهيم على الذبح، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾. ولتخريج هذه الفكرة وتنسيقها في قلوبنا لتبقى حية وواقعًا ملموسًا حاضرا في أذهان المؤمنين، يشد الناس اليوم آلافًا إلى المكان الذي وقع فيه الموقف، لتظل قلوبنا ومشاعرنا تتذكر تلك الواقعة، التي يخبرنا الله أنه يخص المتوكلين بها بمنازل السلامة، ويحجب عنهم كل أذى.

.٣كيف نستلهم من إبراهيم عليه السلام؟
إن الحب والاعتماد على الرب يمنحان القوة. فإبراهيم كان وفيًا بما التزم به من الواجبات دون انقطاع، فلا خوف ولا حزن، هو في رعاية الله وحمايته. وإن حبنا للأهل والأقارب والأبناء ليس أكثر من حب إبراهيم لابنه إسماعيل، ولا أكثر من حبه لأبيه آزر. لكن كل محبة انتهت عندما أمره الله، وتبرأ من أبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾. إن إبراهيم قدوة في أن طاعة الله مقدمة على كل محبة.

.٤الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· الوفاء بالعهد مع الله: أعلى مراتب الإيمان هي الوفاء بكل ما التزم به العبد لربه.
· مركزية الحب لله: كل حب في القلب يجب أن يكون تابعًا لحب الله، وإلا كان وبالا ً على صاحبه.
· الرسائل النفسية:
· التحرر من التعلق القاتل: حب الأهل والأبناء فطرة، لكن إذا زاحم حب الله، صار عائقًا .إبراهيم يعلمنا كيف نرتب هذه المحبات.
· السكينة في الابتلاء: إبراهيم ابتُلي بأعظم البلاءات، فصبر ووفّى، فنال السلامة .هذا يمنح المبتلى سكينة وأملا ً.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية النفس على الوفاء: درب نفسك على أن تفي بكل واجب عليك تجاه ربك، مهما كان شاقًا.
· توجيه المحبة: علم أبناءك أن الحب الحقيقي لله هو الذي يقود إلى طاعته، لا إلى معصيته.

المحور الثالث: مبدأ المسؤولية الفردية (الآية 38)

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ(38) ﴾

بعد ذكر نموذجي موسى وإبراهيم، تأتي هذه الآية الكريمة لتقرر مبدأً عظيمًا من مبادئ العدل الإلهي، وهو أن كل نفس مسؤولة عن عملها، ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى. وهذا المبدأ موجود في صحف موسى وإبراهيم، وفي كل الكتب السماوية، وفي القرآن الكريم.

١.معنى الآية ودلالتها:
"وِزْر" معناها الحمل الثقيل، والمراد به هنا الإثم والذنب ."وازرة" أي نفس حاملة للإثم .والمعنى: لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى، بل كل إنسان يؤاخذ بذنبه هو، لا بذنب غيره .وهذا يقرر مبدأ العدالة الفردية.

٢.أثر هذا المبدأ في التوكل والثبات والدعوة:
هذا المبدأ مرتبط ارتباطًا وثيقًا بما سبق من الحديث عن التوكل والقوة والثبات. كيف؟

· أولا ً: يمنع الخوف على الأبناء من أن يكون سببًا في التوقف عن الدعوة .كثيرًا ما يتوقف الناس عن العمل الدعوي أو عن البذل خوفًا على مستقبل أبنائهم .فيأتي هذا المبدأ ليؤكد أن رزقهم بيد الله، وأنهم لن يحملوا وزر آبائهم، ولا الآباء سيحملون وزر أبنائهم .قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ . فخوفك على مستقبل الأبناء والاهل الذي يكون سببًا في انقطاعك عن العمل الدعوي، يتعارض مع التوكل .لأن الله هو الخالق لهم، وهو الرزاق لهم.
· ثانيًا: يمنع الاتكال على الأنساب والوسائط .فلا محسوبية ولا وساطة يوم القيامة .إبراهيم عليه السلام نفسه، وهو خليل الله، لم ينفع أباه الكافر .فلا يتكل أحد على نسبه أو صلاح آبائه.
· ثالثًا: يدفع إلى الجدية في العمل الفردي .كل فرد يحمل أثقاله وأوزاره .أنت مكلف بتربية نفسك أو لا ً، وبالعمل لدينك .لا يشغلك تقصير غيرك، ولا يغرك صلاح غيرك.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية:
· ترسيخ مبدأ العدل الفردي: هذا المبدأ هو أساس العدالة في الإسلام، وهو يمنع الظلم الاجتماعي والقانوني.
· قطع الطريق على الواسطة يوم القيامة: هذا يحطم أوهام المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام لتشفع لهم.
· الرسائل النفسية:
· الطمأنينة على الأبناء: أنت لست مسؤولا ً عن أرزاقهم، بل الله هو الرزاق .فتوكل عليه، ولا تجعل الخوف عليهم يمنعك عن طاعة الله.
· تحرير النفس من الشعور بالذنب بسبب ذنوب الآخرين: لا تحمل هم ذنوب أهلك وأقاربك بما يجعلك تيأس أو تقنط .عليك النصيحة، والله هو الهادي.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية الفرد على المسؤولية الشخصية: علم ابنك أنه مسؤول عن تصرفاته، ولن يحاسبه الله بذنب أبيه، ولن ينجيه صلاح أبيه إذا أساء.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "منهجية استلهام القدوة من التاريخ":

1.الرجوع إلى المصادر الأصلية: صحف موسى وإبراهيم) أي الوحي السابق (فيها العبر والمواعظ.
2.استخراج نماذج القدوة: موسى نموذج التوكل والقوة، وإبراهيم نموذج الوفاء والإخلاص.
3.تطبيق المبادئ الكلية: أخذ المبدأ العظيم) المسؤولية الفردية (وتطبيقه على واقع الحياة.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة "أم لم ينبأ": استفهام توبيخي، يحث على قراءة التاريخ والاعتبار به.

· دلالة "صحف موسى وإبراهيم": فيها إشارة إلى أن أصول الدين واحدة في كل الكتب السماوية.
· دلالة "الذي وفى": وصف جامع لكل كمالات إبراهيم، وفيه إشارة إلى أن التمام والكمال هو في الوفاء بحق الله.
· دلالة "ألا تزر وازرة وزر أخرى": قاعدة كلية من قواعد العدل الإلهي، تفيد الحصر والتأكيد.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

1.قضية "أهمية التاريخ والوحي السابق": القرآن يحيل إلى الكتب السابقة للاعتبار والموعظة.
2.قضية "مصادر القوة للداعية": القوة تستمد من التوكل على الله، والجدية، والثقة بالله.
3.قضية "الوفاء بالعهد": أعلى مراتب العبودية هي الوفاء بكل ما التزم به العبد لله.
4.قضية "المسؤولية الفردية": إقامة نظام العدل على أساس مسؤولية كل فرد عن عمله.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

1.الجدية في التلقي والتنفيذ: أن نأخذ أمر الدين بقوة وجد، لا بهزل وتكاسل.
2.التوكل على الله والثقة به: أن نجعل التوكل هو مصدر قوتنا في مواجهة التحديات.
3.إخلاص الحب لله: أن نرتب محبتنا، فلا نقدم أي حب على حب الله وطاعته.
4.تحمل المسؤولية الفردية: أن نعلم أننا سنحاسب كأفراد، فنجتهد في إصلاح أنفسنا.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية؟ (البرنامج التطبيقي)

1.اقرأ التاريخ واعتبر: خصص وقتًا لقراءة سير الأنبياء والصالحين، واستلهم منها القوة والصبر.
2.كن جادًا في عبادتك ودعوتك: لا تتعامل مع الدين على أنه هامش في حياتك .بل هو الأصل.
3.توكل على الله في كل خطوة: إذا اعترضك خوف من عدو أو من فقر، فاستحضر قصة موسى، وقل: "إن معي ربي سيهدين".
4.أوفِ بعهدك مع الله: حافظ على الفرائض، وزد من النوافل، واصدق في توبتك، ولا تنقض عهدك مع الله.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

١.درس القوة بالتوكل) من قصة موسى(:

· الدرس: القوة الحقيقية ليست في العدد والعدة، بل في التوكل على الله والثقة به .من كان الله معه فهو الغالب.
· التطبيق: عند مواجهة أي مشكلة كبيرة، قل: "اللهم أنت حسبي، أنت معي" .وامض بثقة، ولا تتردد.

٢.درس الوفاء بالحب لله) من قصة إبراهيم(:

· الدرس: أعظم درجات العبودية أن تقدم حب الله على كل محبوب .الوفاء هو أن تضحي بكل شيء في سبيل الله.
· التطبيق: راجع قلبك: هل هناك شيء تحبه أكثر من طاعة الله؟ هل هناك معصية تصر عليها لحبك لها؟ ضع حب الله فوق كل حب.

٣.درس المسؤولية الفردية) من: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(:

· الدرس: أنت وحدك من ستحاسب .فلا تتكل على صلاح غيرك، ولا تيأس من هداية أحد .ركز على نفسك.
· التطبيق: لا تنشغل بعيوب الناس عن عيوبك .حاسب نفسك يوميًا .ولا تقل: "الناس كلهم يفعلون هذا"، فكل إنسان سيحاسب بمفرده.

.٤درس عدم جعل الخوف على الأهل سببًا للانقطاع:

· الدرس: الخوف على مستقبل الأبناء لا ينبغي أن يكون سببًا في التوقف عن الدعوة أو البذل .الله هو الرزاق لهم وهو الخالق.
· التطبيق: إذا هممت بعمل خيري يتطلب بذل وقت أو مال، وخفت على أهلك، فتوكل على الله، واعلم أن الله يرزقهم ويرزقك.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الخوف إلى القوة: سأستبدل خوفي من المستقبل ومن الأعداء ومن الفقر، بقوة التوكل على الله، والثقة بأنه معي.
.2من الفتور إلى الجدية: سأتعامل مع ديني ودعوتي بجدية تامة، ولن أجعل الدين هامشًا في حياتي.
.3من تعدد المحاب إلى إخلاص الحب لله: سأرتب أولوياتي في الحب، وأجعل محبة الله وطاعته فوق كل محبة، حتى لو تعارضت مع أهلي وأبنائي.
.4من التواكل إلى تحمل المسؤولية: سأتحمل مسؤوليتي الفردية كاملة، ولا ألقي باللوم على الظروف أو الناس، وسأعمل لآخرتي بنفسي.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة التعلم من التاريخ(: استخلاص الدروس والعبر من قصص السابقين لتطبيقها في الواقع الحالي.
· مهارة التوكل الإيجابي(: التوكل ليس سلبية، بل هو ثقة باالله تدفع للعمل، كما دخل موسى على فرعون وكما أقدم إبراهيم على الذبح.
· مهارة ترتيب الأولويات(: تعلم كيف ترتب محابّك، فتقدم حب الله على كل شيء.
· مهارة تحمل المسؤولية الفردية : تحويل التفكير من "لماذا لم يفعل فلان؟" إلى "ماذا فعلت أنا؟".

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: تقرير وحدة الرسالات السماوية، وأن التوكل على الله هو مصدر القوة، وأن المسؤولية فردية يوم القيامة.
· الأبعاد الدلالية: الإحالة إلى "صحف موسى وإبراهيم" فيها تكريم للأنبياء السابقين، وربط للقرآن بـ الوحي السابق.
· الأبعاد النفسية: بعث الطاقة والقوة في نفس المؤمن من خلال استحضار نماذج الصمود والثبات.
· الأبعاد الفكرية: بناء عقلية التوكل الواعي، التي تدرك السنن الإلهية، وتأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد بناء الشخصية الجادة: شخصية لا هزل فيها، تأخذ دينها بقوة.
· مقصد بناء الشخصية المتوكلة: شخصية مصدر قوتها الله وحده، فلا تخاف شيئًا.
· مقصد بناء الشخصية الوفية: شخصية تفي بعهدها مع الله، وتضحي في سبيله.
· مقصد إقامة مجتمع المسؤولية الفردية: مجتمع يعلم كل فرد فيه أنه مسؤول، فيجتهد.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: جدد توكلك على الله، وقل: "اللهم بك أصول وبك أجول، أنت معي، حسبي الله".
· عند كل مهمة صعبة: تذكر موسى وهو يدخل على فرعون، وقل: "إن معي ربي سيهدين".
· عند أي تضحية: تذكر إبراهيم وهو يهم بذبح ابنه، وضَحِّ أنت بشهوتك أو بمالك أو بوقتك لله.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

.١مفهوم "الجدية في الدين") من سياق الآيات(:

· في عباداتك: لا تصلِّ بسرعة كأنك تريد التخلص منها .صلِّ بخشوع ووقار، وأعطِ كل ركن حقه.
· في دعوتك: لا تستهن بأي فرصة للدعوة .كن جادًا في إيصال الحق، مستعليًا به، واثقًا بنصره.

.٢مفهوم "التوكل الذي يمنح القوة") من قصة موسى(:

· في مواجهة المهام الصعبة: لا تركز على ضعف إمكانياتك، بل ركز على قوة من تتوكل عليه .قل: "أنا ضعيف، لكن الله قوي، وهو معي".

.٣مفهوم "الوفاء بحب الله") من قصة إبراهيم(:

· عند تعارض الرغبات: إذا تعارضت رغبتك مع أمر الله، فاختر أمر الله .هذا هو الوفاء .ضحِّ بلذة النوم لقيام الليل، فهذا من معاني الوفاء.

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· الاستعلاء بالحق: شعور نفسي يمنحه التوكل، يجعل المؤمن يشعر بالعزة والكرامة، فلا ينكسر أمام باطل.
· التوازن العاطفي: قصة إبراهيم تعيد ترتيب العواطف، فلا يطغى حب الأهل على حب الله.
· الأمان النفسي: الإيمان بمبدأ "لا تزر وازرة وزر أخرى" يمنح الأمان، لأنك تعلم أن الله عادل، لن يؤاخذك بذنب غيرك.

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· التفكير الاستراتيجي: قراءة أخبار الماضين تعطي رؤية استراتيجية للحاضر والمستقبل.
· فقه التوكل وعلاقته بالأخذ بالأسباب: موسى دخل على فرعون، ولم ينتظر أن يهلكه الله وحده دون أن يتحرك .هذا هو التوكل الصحيح.
· مبدأ العدالة القانونية: "لا تزر وازرة وزر أخرى" هو أساس كل نظام قانوني عادل.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية الشجاعة: من خلال سرد قصص الأنبياء، نزرع الشجاعة في نفوس الناشئة.
· تربية الوفاء بالعهد: تعليم الطفل أنه إذا وعد الله بشيء) كالحفاظ على الصلاة (وجب عليه الوفاء.
· تربية المسؤولية: تعليمه أنه مسؤول عن أفعاله، ولن يتحمل عنه أحد عقابها.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة:

.1ركن القوة والصلابة: شخصية لا تهزم، لأنها تستمد قوتها من الله، وتوقن أن الله معها.
.2ركن الوفاء والثبات على المبدأ: شخصية لا تتنازل عن مبادئها، وتضحي في سبيلها، وتفي بعهدها

مع الله.
3.ركن المسؤولية والإيجابية: شخصية لا تتكل على غيرها، تتحمل مسؤوليتها، وتعمل بإيجابية.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة:

1.صناعة القادة: الأمة التي تربي أبناءها على نموذج موسى في التوكل والشجاعة، وإبراهيم في الوفاء والتضحية، تنتج قادة عظامًا يغيرون التاريخ.
2.بناء مجتمع المسؤولية: مجتمع يؤمن كل فرد فيه أنه مسؤول عن عمله، لا ينتظر أن يصلح غيره، هو مجتمع منتج وفاعل.
3.سيادة النظام والعدل: انتشار مبدأ "لا تزر وازرة وزر أخرى" في القانون والأخلاق، يبني مجتمعًا عادلا ً، لا يُظلم فيه أحد، ولا يفلت فيه مجرم.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من صحف موسى وإبراهيم

1.كن جادًا في دينك: خذ أمر الله بقوة، ولا تتهاون في التلقي والتنفيذ.
2.توكل على الله توكلا ً يحركك: لا تجلس وتقول توكلت، بل تحرك وادخل المعركة، والله معك.
3.استعل بالحق: لا تنبهر بقوة الباطل، فمن معه الله لا يغلبه شيء.
4.أخلص حبك لله: رتب محابّك، وضع حب الله في القمة، وضَحِّ في سبيله بكل شيء.
5.أوفِ بعهدك: كل التزام ديني هو عهد مع الله، فلا تنقضه.
6.تحمل مسؤوليتك: ركز على عيوبك فأصلحها، ولا تلتهي بذنوب الآخرين.
7.لا تجعل الخوف على الرزق يمنعك عن الطاعة: الله هو الرزاق، وهو يتكفل بك وبأهلك.
8.اقرأ التاريخ واستلهم: سير الأنبياء فيها شحن إيماني لا ينضب.
9.ازرع في أبنائك قيم القوة والوفاء والمسؤولية: ليكونوا لبنات صالحة في بناء الأمة.
10.عش ب-"إن معي ربي سيهدين": اجعل هذه الكلمة شعارك في كل أزمة، واجعل "وفى" غاية نسعى إليها.

بهذه الوصايا، نكون قد فتحنا صحف النور، واستلهمنا من مدرسة موسى وإبراهيم ما يبنينا ويقوينا ويثبتنا.

المبحث الثالث

يا من وقفتَ على أعتاب صحف موسى وإبراهيم، ورأيتَ نموذج التوكل والوفاء، وعلمتَ أن المسؤولية فردية، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى... تعالَ معي الآن لنقف على حجر الزاوية في بناء الإنسان، وعلى قانون العدل الإلهي الذي لا يتغير ولا يتبدل. نحن على موعد مع الآيات (39-42) من سورة النجم، حيث يُسدل الستار عن قانون السعي والجزاء، ذلك القانون الذي يبني الحضارات، ويرفع الأفراد، ويجعل الحياة كلها ميدانًا للعمل الجاد المثمر. إنها آيات تملأ قلبك طمأنينة بعدل الله، وتدفع في روحك طاقة العمل، وتجعل نصب عينيك الغاية العظمى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾.

أولًا: مقدمة تمهيدية – قانون السعي والجزاء والمنتهى إلى الله

بعد أن قرر الله جل جلاله مبدأ المسؤولية الفردية ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، يأتي هذا المقطع ليبني على هذا المبدأ العظيم أعمق تفاصيله وأكثرها تأثيرًا في النفس البشرية. إنه ينتقل بنا من تقرير المبدأ النظري إلى بيان القانون العملي: لكل إنسان ثمرة سعيه، وسعيه سوف يُرى ويُعرض عليه، ثم يُجزى عليه الجزاء الأوفى. وبعد هذا السعي الحثيث، وبعد هذا الجزاء العادل، إلى أين المسير؟ إلى ربك وحده. إنه ختام المسيرة، وغاية الرحلة: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾.

إن الأفكار الرئيسية في هذه الآيات هي: بيان أن الإنسان لا يملك إلا ما سعى له، وأن هذا السعي سوف يُعرَض عليه يوم القيامة، وسيُجزى عليه الجزاء الأوفى، وأن نهاية المطاف ورجوع الخلق كلهم إلى الله. أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: بناء عقلية العمل والإنتاج لدى المسلم، ونفي ثقافة الاتكال والأماني الفارغة، وترسيخ مبدأ العدالة الإلهية الكاملة، وتحفيز النفس على الإحسان في العمل والسعي، وإيقاظ القلب دائمًا إلى أن الرحلة إلى الله، فيكون دافعه في كل عمل هو الوصول إلى رضاه. إنها آيات تمنح المؤمن بوصلتين: بوصلة العمل في الدنيا، وبوصلة العودة إلى الله.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

المحور الأول: قانون السعي (الآية 39)

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (39)﴾

١.معنى الآية وتفسيرها:
هذا تقرير إلهي قاطع: ليس للإنسان من أجر وثواب إلا ما سعى له بنفسه. "السعي" هنا هو العمل و الكسب والاجتهاد. ومعنى الآية ليس مقصورًا على أن الإنسان لا يملك إلا جزاء سعيه في الآخرة، بل إن الآية ترسم مبدأً كونيًا: أن الإنسان في هذه الحياة لا يحصل على شيء إلا بقدر ما يبذل من سعي وجهد. وهذا يشمل الدنيا والآخرة، ولكن الجزاء في الآخرة هو الأظهر.

٢.هذه الآية وهدم ثقافة الاتكال والأماني:
تأتي هذه الآية لتهدم من جذورها ثقافة الاتكال والتواكل، وثقافة الأماني الفارغة التي لا يتبعها عمل. فهي تقول للإنسان: أنت لا تملك شيئًا إلا ما سعيت له. لا تملك الجنة بمجرد التمني، ولا تملك النجاح بمجرد الحلم، ولا تملك الرزق بمجرد الجلوس في البيت. لقد ربطت الآية بين الملك والعمل، فلا ملك بلا سعي. وهذا هو قانون بناء الحضارات: لا تنهض أمة بالتمني، بل بالعمل الدؤوب.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· قانون السببية: الآية ترسخ في العقل قانون السبب والنتيجة. النتيجة لا تأتي بدون سبب، و السبب هو السعي والعمل.
· نفي الوهم والخرافة: لا يمكن لأحد أن ينفعك بشيء لم تسعَ إليه أنت، وهذا يهدم أوهام الاعتماد على شفاعة الواسطة بلا عمل.
· الرسائل النفسية:
· الطاقة الإيجابية للعمل: الآية تمنحك شعورًا بأنك قادر على تحقيق ما تريد إذا اجتهدت، فأنت لست ضحية ظروف، بل أنت صانع نجاحك بإذن الله.
· التحرر من الحسد: إذا علمت أن ما عند الآخرين هو بسعيهم، وأنك يمكنك أن تسعى فتملك مثلهم أو أفضل، تحررت من الحسد.
· الرسائل التربوية والعملية:
· تربية الطفل على العمل: علمه أن لا شيء يأتي بلا تعب. النجاح يحتاج إلى سعي. النقود تحتاج إلى عمل.
· غرس قيمة الوقت: الوقت هو وعاء السعي. من يضيع وقته يضيع سعيه، ومن يضيع سعيه يضيع ملكه.

المحور الثاني: عرض السعي (الآية 40)

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (40)﴾

١.معنى الآية وتفسيرها:
بعد أن قرر أن الملك إنما هو بالسعي، يأتي هذا الإعلان: إن هذا السعي سوف يُرى. أي سوف يُعرض على صاحبه يوم القيامة، وسوف يراه الناس، وسوف يظهر وينكشف أمره. فما من عمل خفي ولا ظاهر، صغير ولا كبير، إلا وسيُكشَف عنه، ويراه صاحبه، ويراه الخلائق. وهذا كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

٢.أثر استشعار عرض الأعمال على القلب والجوارح:
إذا استشعر العبد أن سعيه سوف يُرى، وأن أعماله سوف تُعرَض عليه وعلى الخلائق يوم القيامة، فسيستحي أن يرى في صحيفته ما يخجله. سيدفعه هذا الاستشعار إلى إتقان العمل، وإلى تصحيح النية، وإلى تجنب القبائح. إن الإيمان بأن العمل سيراه الله أولا ً، ثم سيراه الناس يوم القيامة، هو أعظم باعث للإحسان. وكما قال النبي ﷺ في تعريف الإحسان: «أنْ تعْبُدَ اللهَ كأنّكَ ترَاهُ، فإنْ لمْ تكُنْ ترَاهُ فإنّهُ يَرَاكَ».

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية:
· مبدأ الشفافية المطلقة: كل شيء سينكشف، فلا قيمة للتستر خلف الكذب والرياء. الحق هو ما سيثبت.
· الرسائل النفسية:
· الرقيب الداخلي: استشعار أن العمل سيرى يخلق رقيبًا داخليًا، يمنعك من الظلم ومن التقصير ومن الرياء.
· الطمأنينة للمظلوم: سعيك الذي لم يُقدّر لك في الدنيا سيراه الناس يوم القيامة، وستؤجر عليه.
· الرسائل التربوية والعملية:
· إتقان العمل: علم أبناءك أن أي عمل يعملونه سيرونه، فيحرصوا على إتقانه.
· مراقبة النية: قبل كل عمل، اسأل نفسك: هل يسرني أن أرى هذا العمل معروضًا عليّ يوم القيامة ؟

المحور الثالث: الجزاء الأوفى (الآية 41)

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (41)﴾

.١معنى الآية وتفسيرها:
بعد أن يُرى السعي ويُعرض، يأتي الجزاء. و "الجزاء الأوفى" أي الأكمل والأتم والأوفر. وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدًا مثقال ذرة، بل يجازي المحسن بأكثر من إحسانه، ويجازي المسيء بقدر إساءته. فالجزاء وافٍ تام، لا نقص فيه ولا بخس.

.٢عدالة الجزاء ورحمة الله مجتمعتان:
في قوله "الجزاء الأوفى" إشارة إلى منتهى العدل ومنتهى الفضل. فالعدل أن يُجزى المسيء بما عمل، والفضل أن يُجزى المحسن بأكثر مما عمل. قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. وهذا هو معنى "الأوفى"، فهو وافٍ على العدل، وفيه زيادة فضل ورحمة.

.٣أثر هذا الوعد على طاقة العمل والإنتاج:
عندما يعلم المؤمن أن تعبه لن يضيع، وأن سعيه سيُجزى عليه الجزاء الأوفى، فإن هذا يمنحه طاقة هائلة للعمل. فهو لا يعمل لمخلوق قد يبخسه حقه، بل يعمل لخالق وعد بالجزاء الأوفى، وهو أكرم الأ كرمين. هذا الوعد يحرر المؤمن من مشاعر الإحباط إذا لم يرَ ثمرة سعيه في الدنيا، لأنه موقن بأن الثمرة الحقيقية مدخرة له عند ربه.

.٤الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الإيمان بالجزاء الأوفى يحل إشكالية "لماذا ينجح الأشرار في الدنيا؟"، فالجواب: لأ ن الجزاء الأوفى في الآخرة.
· الرسائل النفسية: بعث الأمل في النفس، خاصة لمن يعمل ولا يجد ثمرة في الدنيا. طمأنينة بأن الجزاء الأوفى قادم.
· الرسائل التربوية والعملية: التربية على أن العمل لله لا يضيع. شجع أبناءك بأن كل تعب في الدراسة أو في مساعدة الناس، سيجزيهم الله عليه.

المحور الرابع: المنتهى إلى الله (الآية 42)

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (42)﴾

.١معنى الآية وتفسيرها:
بعد كل هذا السعي، وبعد الجزاء الأوفى، إلى أين ينتهي المسير؟ إلى الله وحده. "المنتهى" أي نهاية كل شيء ومصيره ومرجعه إلى الله. إليه تنتهي الخلائق، وإليه تنتهي الأمور، وإليه ينتهي الساعون ليسألهم ويجزيهم. إنها الآية التي تجعل القلب يخفق شوقًا وهيبة، فإلى الله المنتهى، إليه المرجع و

المآب.

.٢تأثير الإيمان بـ "المنتهى" على مسيرة الحياة:
إذا استقر في قلبك أن كل الطرق تنتهي إلى الله، فإن هذا الإيمان سيغير مسار حياتك بالكامل:

· سيجعل لك هدفًا أسمى: تذكر دائمًا أنك ذاهب إلى الله، فاجعل سعيك في هذه الدنيا موصلا ً إليه، لا مبعدًا عنه.
· سيهون عليك متاعب الطريق: لأنك تعلم أن لنهاية الطريق (الموت) حلاوة اللقاء بالله.
· سيمنحك السكينة: فالكل عائد إلى الله، الظالم والمظلوم، الغني والفقير، فعلامَ القلق؟

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الحياة ليست عبثًا، بل لها غاية ومسار ومنتهى. هذا يعطي للحياة معنى.
· الرسائل النفسية: السكينة والطمأنينة بأن كل شيء بيد الله، وإليه المرجع، مما يخفف القلق والتوتر.
· الرسائل التربوية والعملية: عش كل يوم وكأنك في طريق إلى الله. في الصباح، قل: "اللهم بك أصبحنا، وإليك المصير".

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "منهجية السعي والجزاء والغاية":

.1قانون السعي: لا شيء بدون عمل .كل إنسان رهين سعيه.
.2شفافية العمل: كل سعي سينكشف ويُعرَض، فلا خفاء.
.3عدالة الجزاء: الجزاء واف، بل وأوفى للمحسنين.
.4غاية المسير: كل هذا السعي ينتهي إلى الله.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة "ليس للإنسان إلا ما سعى": حصر وقصر، يبين أن لا ملك إلا بالعمل.
· دلالة "سوف يرى": للتهديد والوعد معًا، تهديد للمسيء، ووعد للمحسن بأنه سيرى ثمرة سعيه.
· دلالة "الجزاء الأوفى": فيه ترغيب عظيم، فالله لا يكتفي بالعدل، بل يزيد من فضله.
· دلالة "إلى ربك المنتهى": إضافة الربوبية "ربك" فيها تلطف وتشريف للنبي ﷺ، وتذكير بالعناية و الرعاية.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "العمل والإنتاج": بناء عقلية العمل الجاد، ونفي التواكل والكسل.
.2قضية "العدل الإلهي": إثبات كمال العدل الإلهي في الجزاء.
.3قضية "معنى الحياة": بيان أن للحياة غاية، وأن المصير إلى الله.
.4قضية "الشفافية والمراقبة": ترسيخ الإيمان بأن الأعمال سترى.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

.1العمل والسعي الجاد: أن نكون أمة منتجة، تبني وتسعى وتعمل.
.2الإخلاص في العمل: لأن العمل سيرى، فلنحسن النية.
.3الثقة بعدل الله: ألا نهتز لظلم ظالم، فالجزاء الأوفى بيد الله.

.4العيش لأجل الآخرة: أن يكون "المنتهى" نصب أعيننا دائمًا.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية؟ (البرنامج التطبيقي)

.1لا تيأس من سعيك: حتى لو لم تر ثمرته في الدنيا، فسوف تراه.
.2أتقن عملك كأنك تراه: لأن الله يراه، وسيراه الناس يوم القيامة.
.3خطط لمستقبلك بسعي دؤوب: النجاح لا يأتي صدفة.
.4ليكن شعارك: "إلى ربي المنتهى" .عش بها، وكررها كلما شعرت بضيق أو حزن.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس أن الجزاء من جنس العمل) من: ﴿لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾(:

· الدرس: قدرك ومكانتك عند الله بقدر سعيك.
· التطبيق: لا ترضَ بالقليل من العمل، وزد في سعيك لله كل يوم.

.٢درس استحضار العرض الأكبر) من: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾(:

· الدرس: أنت على موعد مع عرض أعمالك، فاستعد له.
· التطبيق: كل ليلة، تصور أن أعمال يومك تُعرَض عليك، فما الذي تسر بظهوره؟ وما الذي تخجل منه ؟ واعمل للغد على هذا الأساس.

.٣درس الأمل في الجزاء الأوفى) من: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾(:

· الدرس: تعبك لن يضيع، بل سيعود إليك أضعافًا مضاعفة.
· التطبيق: إذا شعرت بالإرهاق من عمل صالح، فذكر نفسك بالجزاء الأوفى، فسيتحول التعب إلى لذة.

.٤درس العيش بغاية) من: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾(:

· الدرس: لا تعش بلا هدف. هدفك النهائي هو الوصول إلى رضوان الله.
· التطبيق: كلما وقفت في مفترق طرق، أسأل: أي الطرق أقرب إلى الله؟

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الاتكال إلى الاعتماد على الذات: سأدرك أن لا شيء يأتيني دون أن أسعى له، فأتحمل مسؤوليتي.
.2من الخوف من عدم التقدير إلى الطمأنينة بالجزاء الأوفى: لن أحزن إن لم يقدر الناس سعيي، ف الله يجزي الأوفى.
.3من العبثية إلى الغائية: سأفهم أن لحياتي معنى، وأني في رحلة إلى الله، فأجعل كل سعيي موص لا ً إليه.
.4من الخوف من الموت إلى الشوق إلى اللقاء: ما دام المنتهى إلى ربي، فالموت هو باب الوصول، ف لا أخافه بل أشتاق لما بعده.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة إدارة الأهداف): ربط كل سعي بهدف أخروي يجعل كل أعمالك ذات قيمة.
· مهارة الشفافية الذات): درب نفسك على أن تكون أعمالك في الخلوة كالجلوة، لأنها سترى.
· مهارة الصبر على العمل): فهم أن الجزاء الأوفى في الآخرة يساعدك على الصبر عند تأخر النتائج في الدنيا.
· مهارة تحديد البوصلة الأخلاقية): "إلى ربك المنتهى" تجعلك تتخذ قراراتك بناء على ما يقربك إلى الله.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: ترسيخ عقيدة البعث والجزاء، وأن الله عادل لا يظلم، وأنه إليه المصير.
· الأبعاد الدلالية: استخدام ألفاظ "السعي، يرى، الجزاء، المنتهى" بناء محكم، من العمل إلى النتيجة إلى الغاية.
· الأبعاد النفسية: خلق دافع نفسي قوي للإنجاز، وعلاج للإحباط، وطمأنينة للقلب.
· الأبعاد الفكرية: تقديم رؤية فلسفية متكاملة عن معنى الحياة: سعي، حساب، جزاء، مصير.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد بناء مجتمع الإنتاج والإتقان: مجتمع يعمل أفراده وهم يوقنون أن الله سيرى أعمالهم.
· مقصد بناء مجتمع العدالة والأمل: مجتمع يوقن أن حقه لن يضيع، فالجزاء الأوفى بيد الله.
· مقصد بناء الفرد الرباني: الذي يعيش في الدنيا وقلبه معلق بالمنتهى.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: خطط ليومك، واجعل سعيك واضحًا.
· أثناء العمل: تذكر أنك تراه، وأن الله يراك.
· قبل النوم: راجع سعيك، واحمد الله على ما وفقت فيه، واستغفر مما قصرت فيه، واعزم على غد أفضل.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

.١مفهوم "السعي ثم الجزاء" ـ{لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}ـ:

· في طلب الرزق: لا تجلس وتقول: "اللهم ارزقني". بل اسعَ، واطلب الرزق، والله هو الرزاق.
· في طلب العلم: لا تطلب النجاح وأنت نائم. ادرس، واسعَ، واجتهد.

.٢مفهوم "العمل سيرى" ـ{سَوْفَ يُرَى}ـ:

· في مواقع التواصل: لا تكتب كلمة خبيثة أو صورة محرمة، فستراها يوم القيامة.
· في الخلوات: إذا خلوت بمعصية، تذكر أن هذا المشهد سيرى يوم الحساب.

.٣مفهوم "الجزاء الأوفى" ـ{يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى}ـ:

· عند التعب في الطاعة: قل لنفسك: "الجزاء الأوفى يستحق مني هذا التعب".
· عند ظلم الناس لك: لا تحزن، فالجزاء الأوفى من الله خير مما فاتك من الناس.

.٤مفهوم "بوصلة المنتهى" ـ{إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى}ـ:

· عند اتخاذ القرارات المصيرية: اسأل نفسك: "هذا القرار، هل يقربني إلى منتهاي (الله) أم يبعدني عنه ؟".

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· الشعور بالقيمة الذاتية: أنت تملك ما سعيت له، مما يعزز شعورك بقيمتك الذاتية وبقدرتك على التأثير.
· الأمل الفاعل: الرجاء في الجزاء الأوفى هو أمل يدفع للعمل، لا أمل مخدر يدفع للكسل.
· السكينة الوجودية: "إلى ربك المنتهى" تجيب عن أكبر سؤال وجودي: "إلى أين أنا ذاهب؟".

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· منطق السبب والنتيجة): السعي سبب، والملك نتيجة. هذا قانون عقلي.
· فلسفة الغاية): للحياة غاية، وبدون غاية تتحول الحياة إلى عبث.
· التفكير الشفاف: أي فكرة أو خاطرة أو عمل، يجب أن تتحمل أن تعرض علنًا يوم القيامة.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية الطفل على "ثمن النجاح": لا تعطه شيئًا بدون أن يسعى له، ليتعلم أن لا شيء يأتي بدون تعب.
· غرس "رقابة الذات": علمه أن يراقب نفسه بنفسه، لا خوفًا منك، بل لأن الله يراه وسيراه.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة:

.1شخصية منتجة: لا تعرف الكسل، تؤمن أن لا ملك إلا بالسعي.
.2شخصية أخلاقية: تستحي أن يرى عملها السيئ، وتتقن عملها الحسن.
.3شخصية متفائلة: بالجزاء الأوفى، لا تيأس من عدل الله.
.4شخصية غائية: تعيش لغرض أسمى، وهو الوصول إلى رضوان الله.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة:

.1مجتمع الإنتاج: إذا آمن كل فرد أن له ما سعى، انطلق الجميع في العمل والإنتاج، فتزدهر الحضارة.
.2مجتمع الأمانة والإتقان: إذا استشعر الكل أن أعمالهم سترى، سادت الأمانة والإتقان، وقل الغش و الفساد.
.3مجتمع العدل والسلام: الإيمان بأن الجزاء الأوفى بيد الله يقلل من جرائم الانتقام الفردي، ويجعل الناس يفوضون أمرهم لله.
.4حضارة ذات رسالة: أمة لا تعيش للأكل والشرب فقط، بل تعلم أن منتهاها إلى الله، فتحمل رسالة للعالمين.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات السعي والجزاء والمنتهى

.1اسعَ بكل طاقتك: لا تجلس منتظرًا أن يأتيك الخير، بل اخرج وابذل واجتهد.
.2راقب عملك: تذكر أن كل ما تفعله مسجل ومرئي .اجعله عملا ً يسرك أن تراه يوم القيامة.
.3لا تحزن على ما فاتك في الدنيا: ثق أن الجزاء الأوفى ينتظرك عند الله.
.4أتقن سعيك: الجزاء الأوفى يكون على قدر الإتقان والإحسان في السعي.
.5عش لغاية: لا تعش يومك بلا هدف .ليكن هدفك في كل يوم: ماذا سأفعل اليوم لأقترب من الله؟
.6اربط كل عمل بالآخرة: قبل أن تبدأ أي عمل، قل: "اللّهم هذا لوجهك الكريم، فتقبله مني".
.7صبر جميل: إذا طال الطريق، تذكر المنتهى، وقل: "إن العاقبة للمتقين، وإلى ربي المصير".
.8راجع سعيك يوميًا: حاسب نفسك كل ليلة، واسألها: ماذا سعيتِ اليوم؟ وماذا قدمتِ لغدك؟
.9علم أبناءك قيمة السعي: اربط مكافآتهم بسعيهم، ليكبروا وهم يدركون أن الدنيا دار عمل.
.10ردد دائمًا: "إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ": اجعل هذه الآية على لسانك وفي قلبك، تذكرك بأن كل الطرق تنتهي إلى الله، فاجعل طريقك إليه مستقيمًا.

بهذه الوصايا، نكون قد جعلنا من هذه الآيات الكريمة محركًا لنا نحو العمل، وميزانًا لأعمالنا، وبوصلة لغاياتنا.

المبحث الرابع

..يا من وعيت قانون السعي، وأيقنت أن كل سعي سيرى وسيجزى الجزاء الأوفى، وعلمت أن المنتهى إلى ربك وحده... تعالَ معي الآن لنقف على حقيقة الألوهية المتجلية في أسمائه وأفعاله، تلك الحقيقة التي تملأ القلب خشية ورجاءً، وتجعل العبد يلتجئ إلى ربه وحده في كل أحواله. نحن على موعد مع الآيات (43-49) من سورة النجم، حيث يُعرفنا الله جل جلاله بنفسه من خلال أفعاله العظيمة التي لا يشاركه فيها أحد، فيضحك ويبكي، ويميت ويحيي، ويخلق الزوجين الذكر والأنثى، ويغني ويقني، وهو رب الشعرى. إنها آيات تزرع في القلب عظمة الخالق، وتثبت أن كل ما يعتري الإنسان من أفراح وأحزان، ومن غنى وفقر، ومن حياة وموت، إنما هو بيد الله وحده، فلا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع سواه.

أولًا: مقدمة تمهيدية – في رحاب تجليات الألوهية وأفعال الله المطلقة

بعد أن بين الله جل جلاله قانون السعي والجزاء، وقرر أن كل إنسان لا يملك إلا ما سعى، وأن سعيه سيرى ثم يجزى الجزاء الأوفى، وأن إلى ربه المنتهى... يأتي هذا المقطع العظيم ليجيب عن سؤال فطري يثور في القلب: إذا كان الأمر كذلك، فمن بيده كل هذا؟ من الذي يملك الضحك والبكاء؟ من الذي يهب الحياة ويسلبها؟ من الذي يخلق الذكر والأنثى؟ من الذي يغني ويقني؟ إنه الله وحده. إنها آيات تنقلنا من الحديث عن أفعال العباد وسعيهم، إلى الحديث عن أفعال رب العباد وقدرته، ليتقرر في القلب أن المالك لكل شيء هو الله، وأن المستحق للعبادة هو الله، وأن المتصرف في الكون كله هو الله.

إن الأفكار الرئيسية في هذه الآيات هي: إثبات أن الله هو الذي أضحك وأبكى، وهو الذي أمات وأحيا ، وهو الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، وأن عليه النشأة الأخرى، وهو الذي أغنى وأقنى، وهو رب الشعرى. كل هذه الأفعال مسندة إلى الله وحده، وفي ذلك تقرير لعقيدة التوحيد في الربوبية والألوهية، وهدم لعقائد المشركين الذين كانوا يعبدون الشعرى وغيرها.

أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: ملء القلب بعظمة الله، وإفراده بالعبادة والخوف والرجاء. ف الله وحده هو الذي يضحك ويبكي، أي هو الذي يخلق أسباب الفرح والحزن، وهو الذي يهب الحياة ويسلبها، وهو الذي يرزق الذرية، وهو الذي يعيد الخلق يوم القيامة، وهو الذي يغني من يشاء ويفقر من يشاء. فعلامَ التعلق بغيره؟ وعلامَ الرجاء في سواه؟ إنها آيات تريد أن تحرر القلب من عبودية المخلوقين، وتعلقه بالخالق وحده.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

المحور الأول: الفرح والحزن بيد الله (الآية 43)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ(43) ﴾

.١معنى الآية وتفسيرها:
هذا إخبار إلهي مؤكد بـ "أنّ" وضمير الفصل "هو" ليفيد الحصر والقصر: إنه الله وحده الذي أضحك وأبكى. أي هو الذي خلق أسباب الضحك وأسباب البكاء، وهو الذي قدّر في هذا الكون أن يفرح الإنسان وأن يحزن. فما من ضحكة تخرج من فم إنسان إلا بإذن الله، وما من دمعة تنزل من عين إلا بقدر الله. إنها رسالة عظيمة لكل مؤمن: إن أفراحك وأحزانك بيد الله، فلا تطلب الفرح من غيره، ولا تفر من الحزن إلى سواه.

.٢لماذا بدأ بالضحك والبكاء؟
إنهما ألصق المشاعر بالإنسان، وأكثرها تكرارًا في حياته. فكل يوم يضحك ويبكي. والبدء بهما فيه إشارة إلى أن الإنسان لا يملك حتى مشاعره وأحاسيسه، بل هي مخلوقة لله، مقدّرة بقدره. وهذا يعلمنا أن نفرح بالله ونحزن بالله، وأن نستشعر أن تقلب الأحوال من ضحك إلى بكاء هو اختبار من الله.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الله خالق المشاعر، فهو خالق الإنسان كله، فلا استقلال للعبد عن ربه حتى في أحاسيسه الداخلية.
· الرسائل النفسية: طمأنينة عظيمة! إن أفراحك لن تأتيك إلا بإذن الله، وأحزانك لن تصيبك إلا بقدره . فاركن إليه، واطلب منه الفرح، واستجر به من الحزن.
· الرسائل التربوية: تعليم النفس والأبناء أن الضحك والبكاء آيتان من آيات الله، فينبغي أن نضحك في طاعته، ونبكي من خشيته، لا أن نجعلهما في معصيته.

المحور الثاني: الحياة والموت بيد الله (الآية 44)

.{وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا(44) }.

.١معنى الآية وتفسيرها:
بعد المشاعر، ينتقل إلى الأحداث الكبرى: الموت والحياة. الله وحده هو الذي أمات وأحيا. أي هو الذي قدّر الموت على من مات، وقدّر الحياة لمن حيي. لا يملك أحد أن يمنح الحياة، ولا أن يدفع الموت. وهذا فيه رد على المشركين الذين كانوا يعبدون أصنامًا لا تملك موتًا ولا حياة.

.٢تقديم الإماتة على الإحياء:
لاحظ أن الآية قدمت الإماتة على الإحياء. لماذا؟ قيل: لأن الإماتة أقرب إلى الإنسان، فهو يرى الموت كل يوم، فيعتبر. وقيل: لأن التخويف بالموت أشد وقعًا على النفس، فيدفعها إلى العمل والاستعداد. وقيل: لأن ما بدأ بالإماتة قادر على الإحياء، فقدم الإماتة ليدل على قدرته على الإحياء بعد الموت.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: تقرير عقيدة البعث، فمن أمات قادر على أن يحيي .ولا فرق بين إماتة وإحياء عند الله.
· الرسائل النفسية: التذكرة الدائمة بالموت تورث القلب خشية وإنابة .والرجاء في الإحياء بعد الموت يورث القلب شوقًا إلى لقاء الله.
· الرسائل التربوية: تربية النفس على الاستعداد للموت، وعدم الاغترار بالحياة .وزيارة القبور للاعتبار بأن الذي أماتهم هو الذي سيحييهم.

المحور الثالث: خلق الزوجين (الآيتان 45-46)

.{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ(46) }.

.١معنى الآيتين وتفسيرهما:
الله وحده هو الذي خلق الزوجين: الذكر والأنثى. وقد خلق هذين النوعين المختلفين من أصل واحد، بل من أصل واحد حقير، وهو "نطفة إذا تمنى"، أي المني الذي يُصب في الرحم. إنه مشهد يدل على عظمة الخالق وقدرته الباهرة، أن يخلق من هذه النطفة الضئيلة إنسانًا كاملا ً، ذكرًا أو أنثى، مختلفي الصفات والطبائع.

.٢فيها رد على المشركين:
لقد زعم المشركون أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله. فتأتي هذه الآية لتقرر أن الله هو الذي خلق الذكر والأنثى من نطفة، فكيف يكون له ولد؟ وكيف تكون الملائكة إناثًا وهو الذي يخلقهم؟ إنه خالق كل شيء، وهو الغني عن كل شيء.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: إثبات عظمة الخلق ودقة الصنعة، ودعوة العقل إلى التأمل في أصل الإنسان.
· الرسائل النفسية: التواضع لله؛ فالإنسان أصله من نطفة مهينة، فلا يتكبر .والشكر لله الذي خلقه

فسواه.
· الرسائل التربوية: تعليم الأبناء عظمة الخالق من خلال خلقهم هم، وبيان أن الذكر والأنثى كلاهما من خلق الله، فلا تفريق في الكرامة الإنسانية.

المحور الرابع: النشأة الأخرى (الآية 47)

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ(47) ﴾

١.معنى الآية وتفسيرها:
بعد أن ذكر الإماتة والإحياء، وخلق الإنسان من نطفة، يذكر النتيجة المنطقية: أن الذي بدأ الخلق قادر على أن يعيده. "النشأة الأخرى" هي البعث بعد الموت. وقوله "عليه" لا تعني الوجوب على الله، بل هي بمعنى الوعد الصادق الذي لا يتخلف، وهو واجب الوقوع بمقتضى وعده وحكمته.

٢.ربط النشأة الأخرى بما سبق:
الذي أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وخلق من نطفة... أليس بقادر على أن يعيد الخلق؟ بلى. إن هذا الربط المنطقي يبكت المنكرين للبعث، ويثبت قلب المؤمن.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: البرهان المنطقي على البعث: الإعادة أهون من الابتداء.
· الرسائل النفسية: الأمل العظيم في لقاء الله والجزاء الأوفى .فما بعد الموت حياة.
· الرسائل التربوية: غرس الإيمان باليوم الآخر في القلوب من خلال التأمل في الخلق الأول.

المحور الخامس: الغنى والفقر بيد الله (الآية 48)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ(48) ﴾

١.معنى الآية وتفسيرها:
الله وحده هو الذي أغنى وأقنى. "أغنى" أي أعطى الغنى والمال والكفاية. "وأقنى" أي أعطى القنية وهي الأصول الثابتة من المال التي تدوم، كالأرض والدواب والبيوت. وقيل: "أغنى" من شاء، و"أقنى" أي أفقر من شاء، فهو الذي يغني ويفقر. وفي كل الأحوال، هو المتصرف في أرزاق العباد.

٢.فائدة ذكر الغنى بعد النشأة الأخرى:
كأنه يقول: الله هو الذي يملك دنياكم وآخرتكم، هو الذي يغني في الدنيا، وهو الذي يبعث في الآ خرة. فالتعلق به وحده في طلب الرزق وفي طلب الجنة.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الله هو الرزاق، والرزق ليس مقصورًا على المال، بل يشمل القنية والاستقرار.
· الرسائل النفسية: التحرر من عبودية المال؛ فالغنى والفقر بيد الله، لا بيد الناس.
· الرسائل التربوية: تعليم الأبناء ألا يخافوا من الفقر، بل يسعوا ويطلبوا الرزق من الله.

المحور السادس: رب الشعرى (الآية 49)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ(49) ﴾

١.معنى الآية وتفسيرها:
"الشعرى" هي نجم عظيم مضيء، كان يعبده العرب في الجاهلية، وتحديدًا قبيلة خزاعة وحمير .فيأتي القرآن ليهدم هذه العبادة الباطلة، ويقرر أن الله هو رب هذا النجم الذي تعبدونه من دون الله .فكيف تعبدون المملوك وتتركون المالك؟ كيف تعبدون المخلوق وتتركون الخالق؟

.٢لماذا خص الشعرى بالذكر؟
هذا من باب التنزل مع الخصم، وبيان أن معبوداتهم الباطلة هي في قبضة الله وتحت ربوبيته. فالله هو رب الشعرى، فكيف يُعبد من له رب؟ وهذا شبيه بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: هدم الشرك مهما كان المعبود كبيرًا في أعين الناس .لا أحد يستحق العبادة إلا الله.
· الرسائل النفسية: الشعور بالعزة؛ فمعبودات الكفار ليست شيئًا يخاف منه، بل هي مملوكة لله.
· الرسائل التربوية: تربية النشء على أن لا يعبدوا إلا الله، وألا يهابوا أي قوة في الكون، فكل القوى مملوكة لله.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "منهجية إثبات التوحيد بأفعال الله":

.1إثبات أن الضحك والبكاء بيد الله.
.2إثبات أن الموت والحياة بيد الله.
.3إثبات أن خلق الإنسان من نطفة بيد الله.
.4إثبات أن البعث بيد الله.
.5إثبات أن الغنى والفقر بيد الله.
.6إثبات أن كل المعبودات الباطلة هي مملوكة لله وربها.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة ضمير الفصل "هو": في مواضع متعددة للتأكيد على اختصاص الله بهذه الأفعال دون سواه.
· دلالة تقديم الإماتة على الإحياء: للتربية على الخوف من الموت والاستعداد له.
· دلالة "من نطفة": إظهار قدرة الله في خلق الإنسان من أصل ضعيف، مما يدل على كمال قدرته، ويدعو الإنسان للتواضع.
· دلالة "رب الشعرى": إعلان أن كل ما يعبد من دون الله هو مربوب لله، فكيف يكون إلهًا؟

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "توحيد الربوبية": أن الله هو الخالق المالك المدبر لكل شيء.
.2قضية "توحيد الألوهية": أن الله وحده هو المستحق للعبادة، فإذا كان هو الذي يضحك ويبكي ويميت ويحيي ويرزق، فلماذا يصرف العبد عبادته لغيره؟
.3قضية "البعث والنشأة الأخرى": إقامة البرهان على قدرة الله على البعث.
.4قضية "الرزق والغنى": بيان أن الرزق بيد الله وحده.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

.1إخلاص العبادة لله: ألا نخاف إلا الله، وألا نرجو إلا الله، ما دمنا نقر أن النفع والضر بيده.
.2التوكل على الله: في جلب السرور ودفع الحزن، وفي طلب الرزق، وفي كل أمورنا.
.3الاستعداد للموت والبعث: بالتوبة والعمل الصالح.
.4التواضع: تذكر أصلنا من نطفة.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية؟ (البرنامج التطبيقي)

.1في فرحك: افرح بالله، واشكره.
.2في حزنك: التجئ إلى الله، واطلب منه أن يبدل حزنك فرحًا.
.3في خوفك من الموت: ليكن خوفك دافعًا للعمل الصالح.
.4في طلبك للرزق: اسعَ وتوكل على الله.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس الفرح والحزن بيد الله) من: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾(:

· الدرس: لا تطلب أن يضحكك أحد، ولا تخف أن يبكيك أحد .الله وحده هو الذي يقلب القلوب.
· التطبيق: كلما أصابك هم، فقل: "اللهم إنك أنت الذي أضحكت وأبكيت، فأبدل حزني فرحًا".

.٢درس الموت والحياة) من: ﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾(:

· الدرس: أنت لا تملك لنفسك موتًا ولا حياة .فلا تخف من عدو، فإنما يقتلك الله بأجلك.
· التطبيق: عش كل يوم وكأنه آخر يوم في حياتك، واستعد للموت.

.٣درس التواضع) من: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾(:

· الدرس: تذكر أصلك الحقير، فلا تتكبر على عباد الله.
· التطبيق: كلما راودك كبر، قل لنفسك: "أنتِ من نطفة قذرة، ثم تصيرين جيفة، فعلامَ الكبر؟".

.٤درس البعث) من: ﴿النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾(:

· الدرس: بعد الموت حياة، فاعمل لها.
· التطبيق: أخلص النية في أعمالك، واجعلها للآخرة.

.٥درس الغنى والفقر) من: ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَى﴾(:

· الدرس: لا تحزن على فقر، ولا تبطر بغنى .فالكل من الله.
· التطبيق: اشكر الله في الغنى، واصبر في الفقر، واسأل الله الغنى بالطاعة.

.٦درس التوحيد) من: ﴿رَبُّ الشِّعْرَى﴾(:

· الدرس: كل قوة في الكون هي مملوكة لله .فلا تخف من الباطل.
· التطبيق: واجه أصنام عصرك بشجاعة، وقل: "ربي هو رب هذا كله".

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الإحساس بالضعف إلى القوة بالله: سأدرك أن مشاعري وحياتي ورزقي بيد الله، فلا أخاف من أحد.
.2من الكبر إلى التواضع: سأعيش وأنا أذكر أن أصلي من نطفة.
.3من الغفلة عن الموت إلى الاستعداد له: سأجعل الموت نصب عيني.
.4من الخوف من الباطل إلى احتقاره: سأرى أن كل ما يعبد من دون الله هو مربوب لله.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة إدارة المشاعر(: أن تعلم أن مشاعرك بيد الله، فتلجأ إليه ليهبك السكينة.
· مهارة التواضع الوجودي(: تذكر أصل الإنسان يمنع الغرور ويعزز الصحة النفسية.
· مهارة التخطيط للآخرة(: الإيمان بالنشأة الأخرى يجعلك تخطط ليومك وغدك وفق هذا المقياس.

· مهارة الاستقلال النفسي : تحرير النفس من التعلق بالمخلوقين في الرزق والمشاعر.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: إثبات انفراد الله بالخلق والتدبير والملك، وإبطال الشرك.
· الأبعاد الدلالية: استخدام ضمير الفصل "هو" وتكرار "أنه" لتوكيد النسب لله وحده.
· الأبعاد النفسية: شعور بالأمان، فأنت في يد من يملك كل شيء.
· الأبعاد الفكرية: بناء عقلية توحيدية ترى الله في كل حدث.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد بناء الإيمان التفصيلي: لا مجرد إيمان مجمل، بل إيمان بأن الله هو الذي يضحك ويبكي ويميت ويحيي.
· مقصد تحرير الإنسان: تحريره من عبودية المشاعر والمال والخوف من الناس.
· مقصد إقامة الحجة على المشركين: بإثبات أن معبوداتهم مملوكة لله.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· عند الفرح: احمد الله ولا تبطر.
· عند الحزن: استرجع واصبر.
· عند الخوف: استشعر أن الذي بيده الموت والحياة هو حسبك.
· عند الرغبة في المال: اطلبه من الذي أغنى وأقنى.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

.١مفهوم "مشاعري بيد الله" ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾:

· إذا ضحكت، فقل: "الحمد لله الذي أضحكني" .وإذا بكيت، فقل: "الحمد لله على كل حال، اللهم أجرني في مصيبتي".

.٢مفهوم "الغنى والفقر بيد الله" ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَى﴾:

· عند استلام الراتب، لا تقل: "هذا من تعبي"، بل قل: "هذا من فضل ربي" .فهو الذي أغنى، وأعطاك القنية.

.٣مفهوم "حتى النجوم ملك لله" ﴿رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾:

· عندما تنظر إلى السماء، وتنبهر بالنجوم، تذكر أن لها ربًا، واسجد لذلك الرب، ولا تعبد المخلوق.

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· الأمان النفسي المطلق: أنا في حمى من يملك الحياة والموت والمشاعر.
· التوازن العاطفي: أفراحي وأحزاني من الله، فأنا صابر شاكر.

المفاهيم الفكرية:

· البرهان بالخلق على البعث: النشأة الأولى دليل على إمكان النشأة الأخرى.
· تفنيد الشرك بمنطق المالك والمملوك: كيف يُعبد من له رب؟

المفاهيم التربوية:

· تربية الطفل على مراقبة الله: أخبره أن الله هو الذي جعله يضحك، وهو الذي سيبكيه إن عصاه، ليتعلق قلبه بالله.
· تربية الشجاعة: "رب الشعرى" تجعل المؤمن لا يهاب شيئًا.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة:

1.شخصية آمنة: لأنها توقن أن كل ما يجري عليها من فرح أو حزن هو من الله.
2.شخصية شجاعة: لا تخاف الباطل، لأنها تعلم أن الله رب كل شيء.
3.شخصية متواضعة: لعلمها بأصلها) النطفة.(

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة:

1.مجتمع عابد لله وحده: لا يخضع لقوى الباطل، فتتحرر طاقاته للبناء.
2.مجتمع متوازن نفسيًا: يعرف كيف يتعامل مع الأفراح والأحزان، فيستمر في الإنتاج.
3.مجتمع علمي: دعوة الآيات للتأمل في الخلق) من نطفة (تفتح الباب للبحث العلمي.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات تجليات الألوهية

1.أخلص العبادة لله: ما دام هو الذي يملك كل شيء، فتوجه إليه وحده.
2.التجئ إلى الله في أفراحك وأحزانك: فهو الذي أضحك وأبكى.
3.استعد للموت: تذكر أن الله هو الذي يميت ويحيي، فاجعل خوفك منه رادعًا.
4.تواضع: تذكر أن أصلك من نطفة، فلا تتكبر.
5.آمن بالبعث: واعمل ليوم النشأة الأخرى.
6.اطلب الغنى من الله: لا من الناس.
7.لا تخف شيئًا: كل ما في الكون مملوك لله، فكن شجاعًا.
8.علم أبناءك عظمة الخالق: من خلال أفعاله التي يرونها كل يوم.
9.عش بالأمل: الذي خلقك من نطفة قادر على أن يعيدك ويجزيك الحسنى.
10.اجعل القرآن ربيع قلبك: ففيه تعريف بالله يملأ النفس حياة ونورًا.

بهذه الوصايا، نكون قد جعلنا من هذه الآيات الكريمة نورًا نمشي به في الناس، ويقينًا نكنز به للآخرة ، وتوحيدًا نلقى به رب الشعرى، رب كل شيء ومليكه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المبحث الخامس

.يا من استقر في قلبه أن الله هو الذي أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأغنى وأقنى، وأنه رب الشعرى ورب كل شيء... تعالَ معي الآن لنفتح معًا سِجِلّ التاريخ، لا لنقرأ أخبارًا مضت، بل لنرى بأعين بصائرنا مصارع الغابرين، ونسمع بآذان قلوبنا صرخات الهالكين، ونعتبر بمن كذبوا فدُمرت ديارهم، وطغوا فأهلكهم الله. نحن الآن على موعد مع الآيات (50-55) من سورة النجم، حيث يُعرض علينا مشهدٌ كوني مهيب: مشهد الأمم التي بادت، والقرى التي انقلبت، والعذاب الذي غشي فأهلك. إنها آيات تخاطب الوجدان قبل العقل، وتهز كيانك لتيقظ فيك الخوف من بأس الله، والحيطة من سننه التي لا تحابي أحدًا، واليقين بأن التكذيب والطغيان عاقبتهما الهلاك الحتمي. إنها ليست مجرد قصص، بل هي أجراس إنذار تدق في كل لحظة، وتقول لكل إنسان: انظر إلى آثار السابقين، واعتبر قبل أن تكون عبرة للآخرين.

أولًا: مقدمة تمهيدية – في رحاب مصارع الأمم وسنن الإهلاك

بعد أن أثبت الله جل جلاله تفرده بالألوهية والربوبية في الآيات السابقة، وأعلن أنه رب الشعرى الذي يعبده المشركون... يأتي هذا المقطع ليبين أن هذا الرب الذي يملك كل شيء هو الذي أهلك الأمم السابقة عندما كذبوا رسله وطغوا في البلاد. إنه ينتقل من تقرير العقيدة إلى بيان ثمرتها العملية: الإ يمان بالله يوجب طاعته، والطغيان والتكذيب يوجبان الهلاك. ويسوق لنا نماذج تاريخية حية، شاهدة على صدق هذا القانون الإلهي: عادًا الأولى، وثمود، وقوم نوح، وقوم لوط. كلهم هلكوا بذنوبهم، ودمّروا تدميرًا.

إن الأفكار الرئيسية في هذه الآيات هي: ذكر مصارع الأمم السابقة (عاد، ثمود، قوم نوح، قوم لوط) كأمثلة واقعية على سنة الله في إهلاك المكذبين، وبيان أن سبب هلاكهم هو الطغيان والتكذيب، وتذكير قريش بأنهم ليسوا خيرًا من هؤلاء، فإن أصروا على التكذيب فسيصيبهم ما أصابهم. أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: تحريك الوجدان بالخوف من بأس الله، وتربية النفس على الا عتبار بأحوال الماضين، وتثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين بأن العاقبة للتقوى، وأن الباطل إلى زوال، وزجر المكذبين المعاصرين للنبي ﷺ بضرب أمثال من سبقهم، لعلهم يرجعون. إنها آيات تجعل التاريخ مرآة يرى فيها كل إنسان مصيره، وتزرع في القلب يقينًا بأن سنن الله لا تتبدل: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

المحور الأول: إهلاك عاد الأولى (الآية 50)

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ(50) ﴾

قف معي الآن عند هذا المشهد الأول من مشاهد القدرة الإلهية والبطش الرباني. الله الذي أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، هو نفسه الذي أهلك عادًا الأولى. إنه إخبار مؤكد بـ "أنّ"، يربط بين أفعال الله السابقة في الخلق والرزق، وبين فعله في الإهلاك، لتعلم أن الله هو الفاعل لكل شيء، وأن من يقدر على الخلق والرزق يقدر على الإهلاك والتدمير.

١.معنى الآية وتفسيرها:
عادًا الأولى هم قوم هود عليه السلام. ووصفهم بـ "الأولى" فيه عدة معان: فهم عاد الأولى في القدم، إذ هم من أقدم الأمم هلاكًا، أو هم عاد الأولى قبل عاد الأخرى التي جاءت بعدهم. وقيل: "عادًا الأولى" أي عادًا الأولى في الكفر والعتو. وقد كانوا قومًا ذوي قوة جبارة، ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، لكنهم كذبوا هودًا، فدمرهم الله بريح صرصر عاتية، فأصبحوا كأعجاز نخل خاوية.

٢.لماذا بدأ بـ "عاد الأولى"؟
لعل البدء بهم لأنهم أقدم الأمم المذكورة هلاكًا، أو لأنهم كانوا مضرب المثل في القوة والبطش عند العرب، فإهلاكهم مع قوتهم دليل على أن قوة الله فوق كل قوة. وفي ذلك ردع لقريش التي كانت تعتز بقوتها وثروتها، كأنه يقول لهم: إن كنتم تظنون أن قوتكم تمنعكم من عذاب الله، فانظروا إلى عاد الأولى، لقد كانوا أشد منكم قوة، فأهلكهم الله.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية: التاريخ سنة ماضية .الهلاك ليس عبثًا، بل هو جزاء على التكذيب و الطغيان .العاقل من يقرأ التاريخ ويعتبر، ولا يغتر بقوته.
· الرسائل النفسية: توليد الخوف من بأس الله، فإذا كان الله قد أهلك من هم أشد قوة، فكيف بمن هم دونهم؟ هذا الخوف يدفع إلى الاستقامة .وأيضًا، بعث الطمأنينة في قلب المؤمن بأن الباطل مهما طال فإن مصيره إلى زوال.
· الرسائل التربوية والعملية: تربية النفس على عدم الاغترار بالقوة أو المال أو الجاه، فإن كل قوة هي زائلة إذا لم تقترن بطاعة الله.

المحور الثاني: إهلاك ثمود (الآية 51)

﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ(51) ﴾

يأتي المشهد الثاني متصلا ً: وثمود. إنهم قوم صالح عليه السلام، الذين آتاهم الله الناقة آية، فعقروها، فأخذتهم الصيحة أو الرجفة، فهلكوا عن آخرهم. وخص ثمود هنا بجملة مرعبة: ﴿فَمَا أَبْقَىٰ﴾.

.١معنى الآية وتفسيرها:
"فما أبقى" أي فما أبقى الله منهم أحدًا .لم يترك لهم باقية، ولم يبق لهم نسلًا ولا دارًا .إنه إهلاك كامل تام، دمار لم يبق ولم يذر .وهذا أبلغ من قوله "أهلكهم"، فالإهلاك قد يكون مع بقاء آثارهم، أما "فما أبقى" فهو فناء محض .وكما قال تعالى في موضع آخر: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

.٢لماذا قال "فما أبقى" مع ثمود تحديدًا؟
قيل: لأن عذابهم كان بالصيحة التي قطعت قلوبهم وأفنتهم عن آخرهم، فلم ينج منهم أحد. بينما عاد أهلكوا بالريح، وقوم نوح بالغرق، ولكنهم كانوا على وجه الأرض ثم فنوا. أما ثمود فقد جاءهم العذاب وهم في ديارهم، فما أبقى منهم باقية. وفي هذا مزيد تخويف: إن الله قد يهلك قومًا فلا يبقي منهم شيئًا، فلا يأمنن أحد مكر الله.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الإهلاك التام ممكن وواقع، فلا يعتقدن أحد أن شيئًا يحمي من عذاب الله.
· الرسائل النفسية: شعور بالرهبة والفزع من شدة البطش .وتذكير بأن الإمهال ليس إهمالا ً.
· الرسائل التربوية: التربية على الخوف من الذنوب، فإنها سبب الهلاك، ورب ذنب صغير كان سببًا في هلاك أمة.

المحور الثالث: إهلاك قوم نوح (الآية 52)

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ(52) ﴾

ثم ينتقل السياق إلى قوم نوح، وهم أقدم من عاد وثمود، لكن القرآن لم يرتبهم زمنيًا، بل رتبهم لأ غراض بلاغية وتربوية. وجاء بـ "من قبل" ليبين قدم هلاكهم، فهم قبل عاد وثمود.

.١معنى الآية وتفسيرها:
قوم نوح هم أول الأمم التي كذبت رسولها بعد آدم، ودعاهم نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلم يستجيبوا له. وقد وصفهم الله هنا بذروة صفات الشر: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾. "أظلم" أي أشد الناس ظلمًا، لأنهم بدأوا الكفر وأسسوه، فكان وزرهم أعظم. و"أطغى" أي أكثر طغيانًا وتجاوزًا للحد، فطغوا في الكفر، وطغوا في الاستهزاء بنوح، وطغوا في إيذائه. ولهذا استحقوا الغرق، وأُغرقوا جميعًا.

.٢لماذا خصهم بوصف "أظلم وأطغى"؟
لأن عذابهم كان عامًا شاملا ً بالطوفان، الذي أغرق كل من على الأرض إلا من آمن مع نوح. وهذا الهلاك العام يقتضي أن ذنبهم كان عامًا شاملًا قبيحًا. فكأنما يقول الله: كلما عظم الظلم والطغيان، كان العذاب أشد وأعم. ولهذا أهلك قوم نوح بالطوفان الشامل، بينما أهلك عاد بالريح، وثمود بالصيحة.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الظلم والطغيان من أعظم أسباب هلاك الأمم .والذنب كلما كان أعظم كان العذاب أشد.
· الرسائل النفسية: توليد النفرة من الظلم والطغيان، واستشعار خطورتهما .فالمؤمن ينبغي أن يكون بعيدًا عن هاتين الصفتين.
· الرسائل التربوية: تربية النفس على العدل والرفق، ونبذ الطغيان في كل صورة) طغيان بالمال، بالجاه ، بالكلمة، بالسلوك.(

المحور الرابع: إهلاك قوم لوط (الآية 53)

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ(53) ﴾

يأتي المشهد الرابع وهو من أشدها هولا ً وتصويرًا: والمؤتفكة أهوى. "المؤتفكة" هي قرى قوم لوط. والمؤتفكة من الأفك، وهو القلب. والمعنى: المنقلبة، التي ائتفكت بأهلها، أي انقلبت بهم. "أهوى" أي أسقطها من أعلى إلى أسفل، رفعها جبريل بجناحه ثم أهوى بها إلى الأرض، فجعل عاليها سافلها، ثم أمطر الله عليهم حجارة من سجيل.

١.معنى الآية وتصويرها المرعب:
لقد اختار القرآن لفظ "أهوى" الذي يرسم صورة السقوط المدوي من علو شاهق. إنها صورة القرى وهي ترفع إلى عنان السماء، ثم تلقى وتهوي إلى الأرض هَويًا مفزعًا، فتنقلب وتنطمس. وهذا التصوير يهز الوجدان، ويجعل الإنسان يتخيل هول ما حدث، فيرتعد قلبه خوفًا من بأس الله.

٢.لماذا هذا التصوير الخاص لقوم لوط؟
لأن عذابهم كان فريدًا من نوعه، قلب الأرض بهم، وخسفهم، وإمطارهم بالحجارة. وهذا العذاب يناسب جريمتهم الفريدة الشاذة (اللواط) التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين. فكان الجزاء من جنس العمل: قلبوا الفطرة، فقلب الله بهم الأرض. ولهذا كان العذاب مشهدًا مهولا ً لا يُنسى.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الفواحش سبب لخراب الديار، والشذوذ عن الفطرة يؤدي إلى عذاب يطابق الذنب.
· الرسائل النفسية: استقباح الفاحشة، والنفور منها، واستشعار خطرها على الفرد والمجتمع.
· الرسائل التربوية: تربية النشء على الفطرة السليمة، وغرس العفة والحياء في القلوب.

المحور الخامس: العذاب الذي غشي (الآية 54)

﴿فَغَشّاهَا مَا غَشَىٰ(54) ﴾

بعد أن ذكر قوم لوط وعذابهم بـ "أهوى"، يأتي هذا التعقيب المرعب، الذي يستخدم أسلوب الإبهام للتهويل والتعظيم: فغشاها ما غشى.

١.معنى الآية وتفسيرها:
"فغشاها" أي فغطاها وغطى تلك القرى المنقلبة، وألبسها، ما غشاها ."ما" نكرة تفيد التهويل، أي: غشاها من العذاب ما لا يوصف ولا يدرك كنهه: من الحجارة المنهمرة، والنار المشتعلة، والخسف المروع .إن عدم تعيين ما غشاها يترك للخيال أن يصور أهوالا ً لا حصر لها، وهو أبلغ في التخويف وأوقع في النفس .وهذا الأسلوب القرآني سبق أن رأيناه في قوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، فالتعبير واحد.

٢.لماذا أبهم هنا؟
الإبهام للتهويل والتعظيم. فلو قال: "غشاها الحجارة"، لكان المعنى محدودًا. ولكن عندما يقول: "غشاها ما غشى"، فإنك تقف حائرًا متخيلا ً أنواعًا من العذاب لا تعلمها، فتشتد الهيبة في قلبك. إنه أسلوب يخاطب الوجدان لا العقل، ليهز النفس هزًا.

٣.الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: عذاب الله لا يمكن تصوره أو حصره .فلا يأمن أحد مكر الله.
· الرسائل النفسية: الرهبة والخوف الشديدان من المجهول الذي لا يعلمه إلا الله.
· الرسائل التربوية: الأدب مع النصوص، فوقوفك عند ما أبهمه الله يقف بك عند حدود العبودية، فلا تتكلف تأويل ما لم يبينه الله.

المحور السادس: التوبيخ الختامي (الآية 55)

·{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ(55) }·

بعد هذا المشهد الطويل المرعب من مصارع الأمم، يأتي الاستفهام التوبيخي الموجع: فبأي آلاء ربك تتمارى؟ "الآلاء" هي النعم. و"تتمارى" أي تتشكك وتجادل. والخطاب موجّه إلى كل شاكّ مكذب، ويدخل فيه كفار قريش دخولا ً أوليًا. والمعنى: بعد كل هذه النعم التي تفضل بها ربك عليك (بإرسال الرسل، وإنذارك بهلاك الأمم السابقة كي تعتبر، وإمهالك لتتوب)... بأي نعمة من نعم ربك هذه تتشكك أيها الإنسان؟ وكيف تجادل في آيات الله، وتشك في صدق رسوله، وتكذب بما يخبرك به من أخبار الأمم السابقة؟

.١معنى الاستفهام ودلالته:
هذا الاستفهام ليس طلبًا للجواب، بل هو توبيخ وتقريع. فهو يقول: إن كل ما مضى من الآيات، من بيان قدرة الله في الخلق والإماتة والإغناء والإفقاء، وفي إهلاك الأمم السابقة، كلها نعم عليك لأنها تدلك على الحق وتنذرك من الباطل. فبأي هذه النعم تكذب؟ وبأيها تجادل؟ إنه أسلوب يخاطب الوجدان والعقل معًا، ليجعل المكذب يشعر بالخجل من نفسه.

.٢كيف يخدم هذا الاستفهام الختامي؟
إنه يختم هذا المقطع كله بخاتمة تجعلك تراجع نفسك: أتشك في قدرة الله على إهلاكك مع أنه أهلك من هم أشد منك؟ أتشك في عدل الله مع أنه أنذرك وأمهلك؟ أتشك في صدق الرسول مع أن أخباره عن السابقين حق؟ إنه توبيخ يهز الضمير، ويوقظه من غفلته، ويجعله يستسلم للحق.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: النعم لا تقتصر على العطاء، بل النعمة الحقيقية هي في الهداية والإنذار.
· الرسائل النفسية: الخزي والحياء من الجدال بالباطل، والندم على التكذيب.
· الرسائل التربوية: تربية النفس على شكر النعم، وعدم مقابلة الإحسان بالإساءة، وعدم المجادلة في الحق بعد وضوحه.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "منهجية الاعتبار بالتاريخ":

.1عرض مصارع الأمم: سرد قصص عاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط.
.2بيان أسباب الهلاك: التكذيب، الظلم، الطغيان، الفواحش.
.3وصف أنواع العذاب: الريح، الصيحة، الطوفان، قلب القرى، الحجارة.
.4توجيه التوبيخ: الاستفهام الإنكاري لزجر المكذبين.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة "عادًا الأولى": إشارة إلى قدمهم في الهلاك، وزيادة في تقريع قريش بعبادتهم لرب عاد.
· دلالة "فما أبقى": شدة الإهلاك وعدم الإبقاء على شيء.
· دلالة "أظلم وأطغى": بيان أن شدة العذاب مرتبطة بشدة الظلم.
· دلالة "المؤتفكة أهوى": تصوير مرعب لانقلاب القرى وسقوطها.
· دلالة "فغشاها ما غشى": إبهام للتهويل والتعظيم.
· دلالة "آلاء": تذكير بالنعم في مقام التوبيخ لزيادة الحسرة والخزي.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "سنن الله في الهلاك": تقرير أن لله سننًا لا تتغير، وأن التكذيب والطغيان عاقبتهما الدمار.
.2قضية "الاعتبار بالتاريخ": الدعوة إلى قراءة التاريخ للاتعاظ والاعتبار.
.3قضية "تخويف المكذبين": استخدام مشاهد الإهلاك لتخويف المعاصرين من عذاب الله.
.4قضية "نعم الله الظاهرة والباطنة": أن النعمة قد تكون في التحذير والإنذار.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

.1الخوف من بأس الله: ألا نأمن مكر الله.
.2الاعتبار بأحوال الأمم السابقة: أن نقرأ التاريخ ونتعظ به.
.3ترك الظلم والطغيان: ففيهما هلاك الأمم.
.4الشكر على نعم الهداية والإنذار: ألا نقابلها بالتكذيب.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية؟ (البرنامج التطبيقي)

.1اقرأ تاريخ الهالكين واعتبر: في كل أسبوع، اقرأ قصة من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وتأمل في نهايتهم.
.2حاسب نفسك على الظلم والطغيان: حتى لو كان ظلمًا صغيرًا لنفسك أو لأهلك أو لجارك.
.3عظم حرمات الله: خاصة ما يتعلق بالفطرة والعفة، كي لا تكون من جنس قوم لوط.
.4لا تجادل في الحق بعد وضوحه: استسلم لأمر الله، ولا تكن ممن يتمارى في آياته.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس القوة لا تغني) من: ﴿أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾:

· الدرس: لا قوة مهما بلغت تمنع عذاب الله.
· التطبيق: لا تغتر بصحتك أو مالك أو جاهك، فالكل زائل.

.٢درس الإهلاك التام) من: ﴿فَمَا أَبْقَىٰ﴾:

· الدرس: الذنوب قد تهلك صاحبها ولا تبقي له أثرًا.
· التطبيق: تب من الذنوب قبل أن تهلكك.

.٣درس عاقبة الظلم) من: ﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾:

· الدرس: كلما زاد الظلم زاد العذاب.
· التطبيق: كن عادلا ً في كل أمورك، وانصر المظلوم.

.٤درس فظاعة الفواحش) من: ﴿الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾:

· الدرس: الفواحش سبب لخراب الديار وهلاك الأمم.
· التطبيق: طهّر بصرك وسمعك وقلبك من الفواحش.

.٥درس التهويل الإلهي) من: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾:

· الدرس: عذاب الله لا يوصف، فلا تأمن.
· التطبيق: عش خائفًا من الله، راجيًا رحمته.

.٦درس الشكر على النعم) من: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾:

· الدرس: نعمة الهداية والإنذار أعظم نعمة.
· التطبيق: اشكر الله على نعمة الإسلام والقرآن، ولا تخذلها.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الغفلة إلى اليقظة: سأنظر إلى آثار الأمم السابقة بعين الاعتبار، لا بعين الفرجة.
.2من الأمن من مكر الله إلى الخوف الدائم: سأدرك أنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.
.3من الاستهانة بالذنوب إلى استعظامها: سأرى في كل ذنب بذرة هلاك، كما كانت ذنوب عاد وثمود.
.4من الجدال بالباطل إلى التسليم للحق: سأستسلم لأمر الله، ولا أجادل في آياته.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة قراءة التاريخ قراءة تحليلية : ربط الأحداث بنتائجها، لاستخراج السنن.
· مهارة الوعي بالمخاطر : التعرف على عوامل الهلاك) الطغيان، الفواحش (لتجنبها.
· مهارة ضبط النفس(: الخوف من العاقبة يمنع من المعاصي.
· مهارة الجدال بالحسنى(: تعلم أن الجدال بالباطل) التماري (مذموم.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: تقرير أن الإهلاك بيد الله، وأنه يجازي الأمم بأعمالها.
· الأبعاد الدلالية: تنوع ألفاظ العذاب بين) أهلك، فما أبقى، أهوى، غشى (لكل أمة ما يناسب ذنبها.
· الأبعاد النفسية: إثارة الخوف والرهبة والحياء والندم.
· الأبعاد الفكرية: بناء عقلية تاريخية ناقدة، تربط الأسباب بالنتائج.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد الزجر والتخويف: دفع المكذبين إلى الإيمان.
· مقصد التثبيت: تثبيت المؤمنين بأن العاقبة لهم، وأن الباطل زائل.
· مقصد بناء الأخلاق: التحذير من الظلم والطغيان والفواحش.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· عند رؤية آثار الهالكين: قل: "سبحانك، هذا عذابك، فاجعلني من عبادك المتقين".
· عند وسوسة الشيطان: تذكر أن الذنب قد يهلك، فلا تستهن به.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

.١مفهوم "سنن الإهلاك") من قصص الأمم(:

· في تعاملك مع الحياة: افهم أن للنجاح سننًا، وللهلاك سننًا .التزم بسنن النجاح) الإيمان والعمل الصالح(، واجتنب سنن الهلاك) الظلم والفواحش.(

.٢مفهوم "الاعتبار بالآخرين") من: ﴿أَهْلَكَ عَادًا﴾(...:

· في توبتك: لا تنتظر حتى ترى العذاب، بل اعتبر بغيرك، وتب قبل فوات الأوان.

.٣مفهوم "الخوف من الإبهام الإلهي") من: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾(:

· في خوفك من الله: لا تتصور أن عذاب الله محصور في شيء معين، بل خف من المجهول الذي لا يعلمه إلا هو.

.٤مفهوم "التسليم لا التماري") من: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾(:

· في حواراتك الدينية: كن مسلمًا للحق، ولا تجادل في آيات الله.

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· الخوف الرادع: خوف يمنعك من الوقوع في الذنوب.
· الحياء من الله: كيف تقابل نعمه بالتماري والتكذيب؟
· التعظيم لله: رؤية آثار قدرته في الإهلاك تعظمه في قلبك.

المفاهيم الفكرية والعقلية:

· السببية التاريخية: ربط الأفعال) التكذيب (بالنتائج) الهلاك.(
· نقد الذات: هل أنا ظالم؟ هل أنا طاغ؟ محاسبة دائمة.

المفاهيم التربوية والسلوكية:

· تربية الخوف من الله: بقصص الهالكين.
· تربية مكارم الأخلاق: بذم الظلم والطغيان والفواحش.
· تربية الاستسلام للحق: بالنهي عن التماري.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة

.1ركن الخوف والرجاء: خائف من سنن الهلاك، راج رحمة الله.
.2ركن العفة والاستقامة: بعيد عن الفواحش والظلم.
.3ركن الاعتبار والاتعاظ: عينه على التاريخ، يستلهم الدروس.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة

.1الوقاية من عوامل انهيار الحضارات: المجتمعات التي تكثر فيها الفواحش والظلم، تنهار .هذه الآيات جرس إنذار.
.2بناء حضارة على التقوى: حضارة تقوم على الإيمان والعدل والعفة.
.3التخطيط للمستقبل بناءً على سنن الماضي: أمة تقرأ تاريخها وتاريخ غيرها، لا تكرر الأخطاء.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من آيات مصارع الأمم

.1اعتبر بمن سبقك: اقرأ التاريخ لتأخذ العبرة، ولا تكن غافلا ً.
.2لا تغتر بقوتك: عاد كانوا أشد منك، فأهلكوا.
.3لا تأمن مكر الله: ثمود أهلكوا فما أبقى الله منهم أحدًا.
.4احذر الظلم والطغيان: قوم نوح أهلكوا لأنهم كانوا أظلم وأطغى.
.5طهّر نفسك من الفواحش: قوم لوط أهلكوا بجريمتهم الشنيعة.
.6عظّم عذاب الله: "فغشاها ما غشى" تجعلك ترتعد خوفًا من المجهول.
.7لا تجادل في الحق: "فبأي آلاء ربك تتمارى" خذ الحق بقوة ولا تتردد.
.8اشكر نعمة الهداية: نعمة الإسلام أعظم نعمة، فلا تقابلها بالتكذيب.
.9اجعل الخوف من الله رادعك الداخلي: قبل أن تذنب، تذكر مصارع الأمم.
.10عش بين الخوف والرجاء: خف من عذاب الله، وارجُ رحمته، فكلاهما دافع للعمل الصالح.

بهذه الوصايا، نكون قد جعلنا من هذه الآيات الكريمة سوطًا يدفعنا إلى الطاعة، وسورًا يمنعنا من المعصية، ومرآة نرى فيها مصارع الغابرين فنعتبر. اللّهم لا تجعلنا من الغافلين، ولا من المعتبرين الذين لا يعتبرون، واجعلنا ممن يتعظ بآياتك، ويرعوي عن ذنوبه، ويسلم لأمرك، يا قوي يا عزيز، يا من أهلكت عادًا الأولى وثمود فما أبقيت، نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

القسم الخامس

يا من وعيتَ مصارع الأمم، ورأيتَ كيف أهلك الله عادًا الأولى وثمود وقوم نوح والمؤتفكة، وسمعتَ التوبيخ الإلهي: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾... تعالَ معي الآن لنقف على خاتمة سورة النجم، حيث تبلغ الذروة في الإنذار والتحذير، وحيث يُقرع سمعَك نذيرٌ من جنس النذر الأولى، وحيث تسمع وقع أقدام الساعة وهي تقترب، وترى بأذنيك – إن كنتَ من ذوي القلوب الواعية – أهوال يوم القيامة وهي تُعرض عليك في آيات تتلى. نحن الآن على موعد مع الآيات (56-62) من سورة النجم، حيث يُختتم هذا الصرح القرآني العظيم بإنذار قرشي كإنذار عاد وثمود، وبإعلان أن الساعة قد أزفت واقتربت، وباستنكار تعجب الكفار من القرآن وضحكهم وبكائهم، وأخيرًا بالأمر الإلهي الحاسم: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾. إنها خاتمة تليق بما سبقها، تجمع الخوف والرجاء، والإنذار والتبشير، والأمر بالعبودية الخالصة لله الواحد القهار.

أولًا: مقدمة تمهيدية – في رحاب النذير الأخير واقتراب الساعة

بعد أن ساق الله جل جلاله مشاهد إهلاك الأمم السابقة (عاد، ثمود، قوم نوح، قوم لوط)، وبيّن أن سنته في المكذبين واحدة لا تتبدل، يأتي هذا المقطع الختامي ليربط الماضي بالحاضر، وليوجه الخطاب إلى مشركي مكة مباشرة، محذرًا إياهم من مصير كالأمم السابقة إن هم أصروا على تكذيبهم. إنه يعلن أن محمدًا ﷺ نذير من جنس النذر الأولى، فما جاء به ليس بدعًا، والمنذرون به ليسوا أول من كُذّب، فإن أصروا فعليهم أن ينتظروا ما حل بأولئك. ثم ينتقل إلى مشهد الساعة الكبرى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾، أي قربت القيامة، وليس لها من دون الله كاشفة. ثم يعجب من حال المشركين الذين يتعجبون من هذا القرآن، ويضحكون ولا يبكون، وهم لاهون ساهون. ويُختتم المقطع كله، بل السورة كلها، بأمر إلهي خالد: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾. إنها خاتمة جامعة: إنذار، وإعلان قرب الساعة، وتوبيخ للمعرضين، وأمر بالخضوع المطلق لله.

إن الأفكار الرئيسية في هذه الآيات هي: إعلان أن النبي ﷺ نذير كالنذر الأولى، بيان اقتراب الساعة وانفراد الله بعلمها وكشفها، التعجب من استهزاء المشركين بالقرآن وغفلتهم، والأمر بالسجود والعبادة لله وحده. أما مقاصد الآيات وأهدافها العميقة فهي: تحذير المكذبين المعاصرين من مصير الأمم السابقة، وملء القلوب خوفًا من قرب الساعة، وحث النفوس على ترك اللّهو والغفلة، والمبادرة إلى السجود والعبادة قبل فوات الأوان، وختم السورة بما بدأت به من الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بـ العبادة.

ثانيًا: تحليل تفكيكي لمحاور الآيات بأسلوب تدبري

المحور الأول: النبي نذير كالنذر الأولى (الآية 56)

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ(56) ﴾

قف معي الآن عند هذا الإعلان القوي، الذي يربط الحاضر بالماضي، ويسقط كل ذرائع المكذبين. "هذا" إشارة إلى النبي محمد ﷺ، أو إلى القرآن الكريم، وكلاهما حق، فالنبي نذير، والقرآن إنذار. "نذير من النذر الأولى" أي: هذا رسول من جنس الرسل الذين سبقوه، وهذا إنذار من جنس الإنذارات التي سمع بها أسلافكم من قبل.

١.معنى الآية وتفسيرها:
المعنى: ليس محمد ببدع من الرسل، وما جاء به ليس بأمر جديد غريب لم تسمعوا به من قبل. لقد جاءكم نذير من جنس النذر الأولى: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وغيرهم. فما أنكرتم منه إلا وقد أنكر أمثالكم من الأمم السابقة مثله. وكما أن أولئك النذر أنذروا أقوامهم بالعذاب إن كذبوا، فهذا النذير ينذركم أن يصيبكم ما أصابهم. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ، وتهديد للمكذبين.

.٢لماذا هذا الربط بين النبي ﷺ والنذر الأولى؟
فيه عدة حكم:

· تثبيت النبي ﷺ: كأنه يقول له: اصبر، فما أنت إلا واحد من إخوة لك سبقوك، كذّبوا كما كذّبتَ، فصبروا، وستكون العاقبة لك كما كانت لهم.
· إقامة الحجة على المشركين: أنتم تعلمون أخبار النذر الأولى، وما حل بمكذبيهم، وهذا النذير من جنسهم، فعلامَ التكذيب؟ أتنتظرون أن يصيبكم ما أصاب عادًا وثمود؟
· وحدة الرسالة: الدين واحد، والإنذار واحد، وعاقبة التكذيب واحدة.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية والعقلية: التاريخ يعيد نفسه .سنة الله في إهلاك المكذبين لا تتبدل.
· الرسائل النفسية: طمأنينة للنبي ﷺ والمؤمنين بأنهم ليسوا وحدهم في هذا الطريق، وسكينة بأن الله ناصرهم كما نصر من قبلهم.
· الرسائل التربوية والعملية: تربية الأمة على أن تنظر إلى نفسها كحلقة في سلسلة الأنبياء و المصلحين، فلا تيأس من التكذيب.

المحور الثاني: اقتراب الساعة (الآيتان 57-58)

﴿أزِفَتِ الآزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ(58) ﴾

بعد الإنذار، يأتي ما هو أشد منه: الإعلان عن قرب وقوع الموعود. أزفت الآزفة، أي قربت القيامة. "الآزفة" من الأزْف وهو القرب، وهي من أسماء يوم القيامة، لأنها قريبة، وكل ما هو آتٍ قريب. "ليس لها من دون الله كاشفة"، أي ليس لها من يدفعها أو يكشف ضرها ويصرفها إذا جاءت إلا الله وحده، أو ليس هناك نفس كاشفة تظهرها وتبين وقتها إلا الله.

.١معنى الآيتين وتفسيرهما:
إن يوم القيامة قد اقترب، وآن أوانه، ولم يبق إلا القليل. وإذا جاءت، فلا أحد يستطيع أن يكشفها أو يمنعها أو يصرف عذابها إلا الله. وهذا تهديد عظيم: ماذا أعددتم لهذا اليوم القريب؟ إن غفلتكم عنه لا تبعده، ولهوكم لا يؤجله. إنه آتٍ قريب، وليس لكم من دون الله ملجأ ولا منجى. وهذا المعنى أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.

.٢لماذا ذكر اقتراب الساعة هنا؟
بعد ذكر إهلاك الأمم السابقة (وهو نموذج مصغر من العذاب)، يأتي ذكر العذاب الأكبر: يوم القيامة. فكأنه يقول: لا تنظروا فقط إلى ما حل بعاد وثمود، بل انظروا إلى ما هو أعظم وأشد: الآزفة التي أزفت. إن كان عذاب الدنيا فظيعًا، فعذاب الآخرة أفظع وأبقى. وفي هذا حث على سرعة التوبة، وعدم الركون إلى الدنيا.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الساعة آتية لا محالة، وهي قريبة، والغفلة عنها لا تمنع وقوعها.
· الرسائل النفسية: شعور بالخوف والفزع من قرب هذا اليوم العظيم، واستشعار أنه لا ملجأ إلا الله . وهو دافع قوي للتوبة والاستعداد.
· الرسائل التربوية: تربية النفس على الاستعداد للموت والساعة، وعدم الاغترار بطول الأمل.

المحور الثالث: التعجب من غفلة المشركين (الآيتان 59-61)

﴿أفَمِنْ هَـٰذَا الحَدِيثِ تعْجَبُونَ (59) وَتضْحَكُونَ وَلَا تبْكُونَ (60) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ(61) ﴾

ينتقل الخطاب إلى توبيخ مباشر لمشركي مكة على موقفهم العجيب من القرآن. أفمن هذا الحديث تعجبون؟ أي: أمن هذا القرآن الذي أنزلته عليكم، وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تتعجبون استهزاءً وإنكارًا؟ إنه استفهام توبيخي إنكاري، أي: لا ينبغي لكم أن تتعجبوا، بل

كان ينبغي أن تؤمنوا وتصدقوا.

.١تفصيل الموقف العجيب للمشركين:

· تعجبون: أي تستغربون وتستنكرون أن يكون القرآن منزلا ً من عند الله، كما حكى عنهم: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾.
· وتضحكون: أي تسخرون وتهزؤون به.
· ولا تبكون: أي لا تبكون خوفًا مما فيه من الوعيد والإنذار بأهوال القيامة ومصارع الأمم .وهذا هو العجب العجيب: أن ينزل بهم هذا الخبر المهول، فيضحكوا ولا يبكوا! إنها قسوة القلوب وغفلتها.
· وأنتم سامدون: أي لاهون غافلون، معرضون عن الحق، منشغلون باللهو واللعب .وقيل: "سامدون" أي متكبرون شامخون بأنوفكم.

.٢لماذا هذا التوبيخ الثلاثي) تعجبون، تضحكون، لا تبكون، سامدون(؟
لأنه يرسم صورة كاملة لموقفهم النفسي والعقلي والسلوكي: عقولهم متعجبة منكرة، وقلوبهم قاسية تضحك ولا تخشع، وجوارحهم لاهية ساهية. إنها صورة المرء الذي استدرجه الشيطان حتى أطبقت عليه الغفلة من كل جانب. وفي ذلك تحذير للمؤمن أن يكون حاله مع القرآن عكس ذلك: أن يتلقاه بالتصديق، ويبكي من خشية الله، ويقبل عليه بخشوع لا بلهو.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: الغفلة عن آيات الله والاستهزاء بها مرض قلبي خطير.
· الرسائل النفسية: استقباح الضحك في مقام البكاء، واستنكار اللهو في مقام الجد .توليد شعور بالخجل من هذه الصفات.
· الرسائل التربوية: تربية القلب على الخشوع عند سماع القرآن، وعلى البكاء من خشية الله، وترك اللهو في مواطن الذكر.

المحور الرابع: الأمر الختامي بالسجود والعبادة (الآية 62)

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا(62) ﴾

وبعد كل هذا المسير الطويل في رحاب سورة النجم، من أول آية إلى هنا، وبعد بيان الحقائق وإقامة الحجج وإيراد مصارع الأمم والإنذار بقرب الساعة... يأتي الأمر الحاسم الفاصل: فاسجدوا لله واعبدوا. إنها خاتمة السورة، وخلاصة الرسالة، وعنوان الدين: السجود لله والعبودية له وحده. وهذه آية سجدة عند جمهور الفقهاء، يسجد لها التالي والمستمع.

.١معنى الآية وأبعادها:
"فاسجدوا لله" أي ضعوا جباهكم على الأرض خضوعًا لله وحده، اعترافًا بربوبيته وألوهيته ."واعبدوا" أي أخلصوا له العبادة كلها، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا به شيئًا .والأمر هنا شامل: اسجدوا الآن، واعبدوه دائمًا .السجود هو قمة الخضوع، والعبادة هي منهج الحياة.

.٢لماذا ختمت السورة بهذا الأمر؟

· لأنها بدأت بالحديث عن الوحي والنبوة والمعراج: فختمت بالأمر بالسجود لله الذي أوحى، والعبودية له وحده.
· لأنها ذكرت أصنام المشركين) اللات والعزى ومناة (وسخرت منها: فختمت بالأمر بالسجود لله وحده دون الأصنام.
· لأنها أنذرت بقرب الساعة وأهوال القيامة: فختمت بالأمر بالعبودية التي هي سبيل النجاة من تلك الأهوال.
· لأنها حاجت المشركين وأقامت عليهم الحجة: فختمت بإعلان التوحيد الخالص.
إنه الختام المناسب الذي يجمع كل ما تفرق من معاني السورة في كلمتين اثنتين: اسجدوا لله واعبدوا .وهما رأس الإسلام: الخضوع لله، والتذلل له، واتباع أمره.

.٣الرسائل النفسية والتربوية والفكرية المستخلصة:

· الرسائل الفكرية: السجود والعبودية هما حقيقة الدين وجوهره .لا قيمة لكل ما سبق من معارف إن لم ينتهِ إلى الخضوع لله.
· الرسائل النفسية: الشعور بالسكينة والطمأنينة عند الخضوع لله .سجود الجسد هو ترجمة لخضوع القلب.
· الرسائل التربوية: المبادرة إلى السجود امتثالا ً لأمر الله، والتربية على أن تكون العبودية لله هي منهج الحياة.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والفوائد من الآيات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية وأهم دلالاتها والقضايا التي تعالجها؟

أولًا: كيف نفهم الآية؟ (المنظومة المعرفية)
نفهم الآيات من خلال "منهجية الربط بين الإنذار والعبودية":

.1تذكير بأن المنذر واحد من سلسلة النذر.
.2إعلان قرب الساعة.
.3توبيخ الغافلين.
.4الأمر بالعبودية سبيلا ً للنجاة.

ثانيًا: ما هي دلالات الآيات؟ (الأبعاد والإشارات الدقيقة)

· دلالة "نذير من النذر الأولى": ربط الرسالة المحمدية بسابقاتها، وتهديد للمشركين.
· دلالة "أزفت الآزفة": تصوير الساعة وكأنها شخص قادم قريب.
· دلالة "ليس لها من دون الله كاشفة": انفراد الله بالتصرف المطلق.
· دلالة التوبيخ بأفعال المضارعة) تعجبون، تضحكون، لا تبكون(: استحضار حالهم الذميم.
· دلالة "فاسجدوا لله واعبدوا": الأمر الحاسم الجامع.

ثالثًا: ما هي القضايا التي تعالجها الآيات؟

.1قضية "وحدة النذارة": الرسل كلهم نذر.
.2قضية "الإيمان بالساعة": وأنها قريبة.
.3قضية "الموقف من القرآن": لا عجب ولا ضحك، بل خشوع وبكاء.
.4قضية "العبودية لله": هي الخلاصة والسبيل.

الأمر الثاني: ما الذي يريده المولى سبحانه وتعالى منا في هذه الآيات؟ وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولًا: ما الذي يريده المولى عز وجل منا؟ (المطالب الإيمانية)

.1الإيمان بأن النبي ﷺ هو النذير الأخير.
.2استشعار قرب الساعة والخوف منها.
.3الخشوع للقرآن والبكاء من خشية الله.
.4تحقيق العبودية الخالصة لله.

ثانيًا: إلى ماذا تدعونا الآيات في حياتنا العملية؟ (البرنامج التطبيقي)

.1احذر من تكذيب الحق كالأمم السابقة.
.2استعد للساعة بالعمل الصالح.
.3اتلُ القرآن بخشوع، وابكِ من خشية الله.
.4اسجد لله سجدة تلاوة امتثالا ً لأمره.
.5اجعل العبودية لله شعار حياتك.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

.١درس الوحدة مع المؤمنين) من: ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾(:

· الدرس: أنت جزء من أمة الأنبياء.
· التطبيق: لا تشعر بالوحدة، فإخوانك الأنبياء ساروا قبلك.

.٢درس قرب الساعة) من: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾(:

· الدرس: الساعة أقرب مما تظن.
· التطبيق: سارع بالتوبة، ولا تسوف.

.٣درس الخشوع للقرآن) من: ﴿تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾(:

· الدرس: القرآن ليس للتعجب والاستهزاء، بل للبكاء والخشوع.
· التطبيق: عند قراءة القرآن، تباكَ إن لم تبكِ، وتدبر آياته.

.٤درس الخضوع لله) من: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾(:

· الدرس: ذروة الإيمان: السجود والعبودية.
· التطبيق: إذا قرأت هذه الآية فاسجد فورًا، واجعل حياتك كلها عبادة لله.

الأمر الرابع: كيف تغير هذه الآيات من نظرتي للحياة؟

.1من الغفلة إلى اليقظة: سأعيش وكأن الساعة ستقوم غدًا.
.2من اللهو إلى الجد: سأترك اللهو وأقبل على العبادة.
.3من التعجب من الحق إلى التسليم له: سأتلقى القرآن بالتصديق والخشوع.
.4من العبودية للهوى إلى العبودية لله: سأجعل حياتي كلها لله.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية من الآيات والمهارات العملية

· مهارة الوعي بالزمن) : استشعار قرب الساعة يحسن إدارة الوقت.
· مهارة الذكاء العاطفي(: البكاء من خشية الله، وعدم الضحك في موطن الجد.
· مهارة التسليم : تعلم كيف تكون عبدًا لله في كل حركاتك.
· مهارة ربط العلوم بالعمل(: الاستماع إلى القرآن يجب أن ينتهي إلى السجود والعمل.

رابعًا: القيم والمفاهيم من الآيات وأبعادها وآفاقها

الأمر الأول: الأبعاد والآفاق من الآيات

.١ما هي الأبعاد الدلالية والعقدية والنفسية والفكرية للآيات؟

· الأبعاد العقدية: تقرير أن محمدًا ﷺ رسول كسابقيه، وأن الساعة حق، وأن العبودية لله وحده.
· الأبعاد الدلالية: تنوع الأساليب بين الخبر) نذير(، والإنشاء) أزفت(، والاستفهام) أفمن هذا الحديث(، و الأمر) فاسجدوا.(
· الأبعاد النفسية: التخويف، التوبيخ، الاستنهاض، الأمر.
· الأبعاد الفكرية: ربط النذارة الأولى بالأخيرة، وتقرير أن السبيل الوحيد للنجاة من الساعة هو العبودية.

.٢ما هي الآفاق والمقاصد العملية للآيات؟

· مقصد إيقاظ الغافلين: بقرب الساعة.
· مقصد تقريع المستهزئين: بوصف حالهم الشائن.
· مقصد جمع الناس على العبودية: بالأمر الختامي.

.٣ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية؟) بروتوكول السلوك اليومي(

· في الصباح: استشعر أن يوم القيامة أقرب.
· عند سماع القرآن: اخشع وابك.
· عند قراءة آية السجدة: اسجد فورًا.

ثانيًا: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية (البرنامج التطبيقي اليومي)

.١مفهوم "النذارة" ـ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾:

· في دعوتك: كن نذيرًا بالتي هي أحسن.

.٢مفهوم "اقتراب الساعة" ـ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾:

· في تخطيطك: خطط لآخرتك قبل دنياك.

.٣مفهوم "السجود" ـ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾:

· في كل يوم: أكثر من السجود، فهو أعظم أوقات القرب من الله.

ثالثًا: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية المستخلصة من الآيات

المفاهيم النفسية:

· الخوف المحمود من قرب الساعة.
· لذة السجود والعبودية.

المفاهيم الفكرية:

· وحدة التاريخ) النذر كلهم متشابهون.(
· حتمية الساعة وقربها.

المفاهيم التربوية:

· تربية القلب على الخشوع.
· تربية الجوارح على السجود.

رابعًا: مفاهيم البناء والتنمية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة والتطور الحضاري

أولا ً: دور هذه المفاهيم في صناعة الشخصية المسلمة المتزنة:

.1شخصية وجلة من الساعة: فتعمل وتنتج.
.2شخصية خاشعة لله: فتراقبه في كل شيء.
.3شخصية عابدة: فتجعل حياتها كلها لله.

ثانيًا: دور هذه المفاهيم في صناعة التطور الحضاري والنهضة في الحياة:

1. الاستعداد للمستقبل: استشعار قرب الساعة يدفع للإنجاز.
2. الارتقاء الروحي: الخشوع والبكاء يبني إنسانًا سويًا.
3. التوحيد أساس النهضة: الأمر بالعبودية يحرر الإنسان من عبادة غير الله.

الخلاصة التطبيقية: منهج حياة من خواتيم سورة النجم

1. آمن بأن محمدًا ﷺ نذير كالنذر الأولى.
2. استشعر قرب الساعة في كل لحظة.
3. لا تتعجب من الحق، ولا تضحك منه.
4. ابكِ من خشية الله.
5. لا تكن لاهيًا سامدًا.
6. اسجد لله كلما أمرك.
7. اجعل العبادة حياتك كلها.
8. استعد للقاء الله.
9. اعرض عن الجاهلين.
10. اختم تلاوتك للقرآن بالعمل.

بهذه الوصايا، نكون قد ختمنا سورة النجم كما أراد الله: بالسجود له، والعبودية الخالصة لوجهه الكريم. اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين، وارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، واجعلنا ممن يخافون الآزفة، ويستعدون لها، ويسجدون لك طائعين، يا رب العالمين.